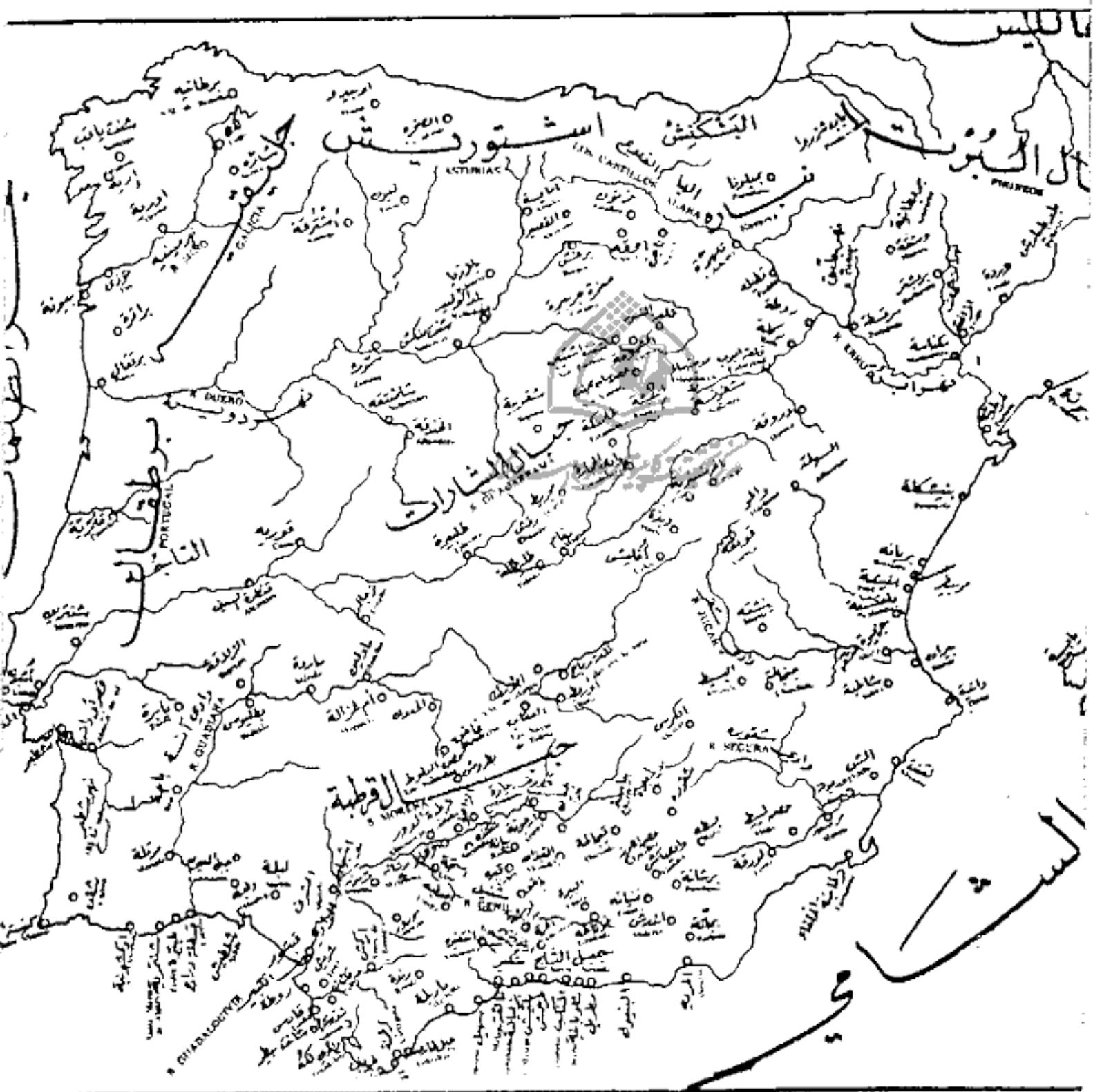


# دِرَاسَاتٌ إِنْدُونِيْسِيَّةٌ

٢٧٥



جوان 1989

العدد 2 : خاص بابن الأبار

ذو القعدة 1409

# مجلة دراسات أندلسية

مجلة علمية مختصة في الدراسات المتعلقة بإسبانيا الإسلامية

مؤسسها ومديرها

جعفر شيخة

الأعضاء الاستشاريون : الدكتور عبد السلام المسدي، الدكتور محمد العلاوي (من تونس)،  
الدكتور عبد القادر زمامه (من المغرب)، الدكتور ميكال دي إيلزا (من إسبانيا).

تصدر المجلة مرئتين كل سنة في جانفي وجنوان.



مركز دراسات إسلام واسطى

ثمن العدد :

— بتونس : 3,000 د.

— بالبلدان العربية : 4,000 د.

— بقية البلدان : 5,000 د.

نوجّه المراسلات باسم مدير المجلة إلى العنوان التالي : د. جعفر شيخة  
ص. ب. رقم 51 - 1008 تونس - باب منارة - الجمهورية التونسية - تليفون :  
227.616

تسدد قيمة الاشتراكات عن طريق حوالات بريدية في الحساب الجاري 94 - 543 تونس أو  
بواسطة حوالات بنكية.

لا تلتزم المجلة بما ينشر فيها من آراء، ولا ترد الفضول المخطوطة إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر.

— يرجى من المؤلفين أن يرفقوا مقالاتهم بملخص بالعربية أو الفرنسية.

# مجلة دراسات أندلسية



مركز دراسات إسلام وآداب  
العدد الثاني (خاص) بابن الأبار

1989 / 1409

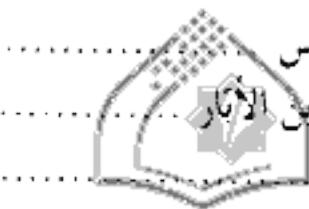
تونس

طبع بمطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار  
(3200 نسخة)

# الفهرس

## الصفحة

3	جامعة شيخة : تصدير
5	أعمال ملتقى ابن الأبار بأندلة
6	رشاد الإمام : ابن الأبار وعصره في تونس
32	جامعة شيخة : القيمة الوثائقية لديوان ابن الأبار
32	— تقديم الديوان ...
39	— العدودة الأندلسية في الديوان
63	— العدودة الإفريقية « »
110	— المشرق العربي « »
111	— مقتل ابن الأبار ...
117	عبد السلام الحراس : شاعر وفي لوطه



## قائمة كتب أندلسية وغيرها منشورات :

31	— الدار التونسية للنشر ...
116	— الدار العربية للكتاب ...
131	— دار التركى للنشر ...

## تصدير

هذا العدد الثاني من مجلة (دراسات أندلسية) يصدر في موعده الذي حدد له وضبط . ولمن عرفنا وتجاهلنا ، أو شرك في نزاهتنا وجديتنا ، نقول : إننا على الموعود دائمًا وسبقى . ومجلة (دراسات أندلسية) وجدت لستمرة في خدمة تراث إنساني خالد ما زال يعيش أرجيه إلى اليوم . وما لاح في الأفق من صعوبات منتظرة وغير متوقعة لا يفل من عزيمتنا ولا ينقص من ثقتنا في أنَّ المشرع التونسي بالأمس واليوم حا و ما زال يحبر الثقافة بربوعنا بكثير من عنایته وتشجيعه .

والدراسات الأندلسية كغيرها من ميادين النشاط الثقافي شملتها هذه العناية . فين ظهور العدد الأول من مجلتنا في ديسمبر 1988 وصدور العدد الثاني هذا في جوان 1989 شاركت تونس على المستويين الرسمي والفكري في ثلاث ملتقيات لهم الأندلس : ففي تونس عاش الجامعيون الإسبان والتونسيون أسبوعاً ثريا بالدراسات العلمية والبحوث الأكademie حول التراث الأندلسي وتأثيره في الثقافة العربية والإسلامية قدماً وحديداً . وقد نظمَ هذا الملتقى مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بتونس<sup>(1)</sup> من 3 إلى 10 فبراير 1989<sup>(2)</sup> .

وفي آلة المدينة الأندلسية الحالية الناف ملتقى علمي حول الشاعر والمؤرخ الكبير ابن الأبار البنسي نظمته جامعة أليكانس تحت إشراف اللجنة الثقافية للتربية والعلوم البنسية ومشاركة بلدية آندة<sup>(3)</sup> ، من 20 إلى 22 فبراير 1989<sup>(4)</sup> .

وفي تونس ثانية انعقد بإشراف مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتونيق والمعلومات بزغوان ، المؤتمر العالمي الرابع للدراسات الموريسكية حول المورسكيين

(1) وعد الدكتور عبد الوهاب بوحدية مدير المركز المنظم للملتقى نشر أعماله في كتاب خاص .

(2) أفتح هذا الملتقى الدكتور عبد السلام المسايي وزير التعليم العالي والبحث العلمي .

(3) اقامت مجلة شرق الأندلس ومجلة (دراسات أندلسية) نشر أعمال هذا الملتقى . وهو هي مجلة (دراسات أندلسية) تنشر بوعدها وتنشر البحوث التي أقيمت بالعربية في ملتقى ابن الأبار في عددها هذا الثاني . ونشرت مجلة (شرق الأندلس) البحوث التي قدمت بالإسبانية والفرنسية .

(4) حضر هذا الملتقى يوم السادس عشر من شهر ديسمبر الأساتذ عبد الرزاق الكافي ، وكان العلم التونسي يرفرف فوق بلدية آندة طيلة انعقاد الندوة .

وتفكيرهم الديني وإشكالية الكتابة التاريخية والערבية الإسلامية عن المورسكيين<sup>(5)</sup> من 15 إلى 19 مارس 1989<sup>(6)</sup>.

ولا نرى في هذه الملتقى إلا ضربا من لقاء العلماء الأجلاء والباحثين المختصين في بلدان من المعرفة مضبوط ومحدد لتدقيق المنهج ، وتبادل الخبرات ، وتوسيع الآفاق . لقد كان العلماء في القرون الماضية يشدّون الرحّال ويضربون في الأرض ويتقلّبون من قطر إلى قطر للقاء عالم أديب ، أو مدرس ليبر ، أو فقيه له نظر ودراية ، أو محَدث له حفظ ورواية . فيما ترى أحدهم في هذا البلد جالسا جلسة المتعلّم منتقلًا من حلقة إلى أخرى يكرّع من بنایع المعرفة ، ويطلب إجازته من شيوخه فيجاز ، تراه في بلد آخر وقد تصدر حلقة الدرس يحدّث بما علم ، ويشرح ما غمض ، ويجيب من سأل ، ويجيز من طلب . وهو لا يخرج من أن يكون الطالب المستفيد حينا ، والشيخ العالم حينا آخر . كل ذلك في تواضع من لا يُشعّ طالبا ، وفي أريحية من لا يتضّبّ عطاء .

وقد لا نجد فرقا بين هذا العالم الرّحالة مع من يلتقي بهم في بلدان مختلفة ، وبين الملتقى العلميّة اليوم . فيما ترى الأستاذ والباحث الشهير متقدّما في اختصاصه محللا ، والأذان إلى كلامه صاغية والأناظر إلى حركاته شاحصة ، تراه بعد قليل مستمعا بدوره مُنصتا ، ولم لا مستفيدا ومستفسرا ! وبهذا التداول تلاقي الأفكار ، وتتدفق المعلومات ، وتنطّور البحوث وتتقدم العلوم . فكم من فكرة في الذهن غامضة اضحت ، وكم منهج في البحث غير قوم استقام ، وكم من رأي غير صائب تمسّك به صاحبه طويلا فتخلّى عنه وقد تحجّلت له الحقيقة . وترى القوم بعد ذلك — خلال فترة الاستراحة — ما بين محبي عن سؤال ، أو مستفسر عن مقال ، أو مهند لكتاب ؟ خلال ذلك نوادر تعكّي وطرائف ثروى تهيئ التقوس للأخذ والعطاء في جلسة علمية أخرى دسمة.

إنّ عصرنا بكلّ ما أوتي من وسائل تقنية في التبليغ متطرّفة قضى بها على الرغبة في مصاحبة الكتاب ، وأغرى الناس بالثقافة السريعة السهلة والسطحية أحيانا ، سوف لن يقدر على المسّ من ناموس الملتقى العلمي والتداوّل الفكرية . فهذه لها نكهتها وطراحتها وفائدها وستقى ما يقى الإيمان بالثقافة الحرة الأصيلة المفتوحة .

د. جمعة شبيحة

مدير المجلة

(5) وعد الذّكور عبد الجليل التّبّاعي مدير المركز المنظم للملتقى بشر أعماله في كتاب حاص.

(6) دشن الأستاذ الحبيب بولعراس وزير التّراث والتّراث الثقافيّة مكتبة المركز ببرغوان يوم افتتاح المؤتمر في

1989/3/15

## أعمال ملتقي ابن الأبار بأنددة

انعقد في الفترة ما بين 20 فبراير 1989 إلى 22 منه ملتقى علمي حول الشاعر والمؤرخ الكبير ابن الأبار - البلنسي مولدا التونسي وفاته - بمدينة أنددة الإسبانية.

والشخصية التي انعقد المؤتمر تحت اسمها شخصية علمية وأدبية مرموقة . جمعت - فيما خلفته لنا من آثار - مع الإبداع الأدبي شعراً ونثراً ، التصانيف العلمية : ندوة وتأريخاً ، فكانت بحث موسوعة علمية لا غنى للمباحثين في تاريخ الأندلس وإفريقية وحضارتها عنها .

وقد وقع الاتفاق على أن تنشر مجلة (شرق الأندلس) الإسبانية البحوث التي ألقيت باللغتين الإسبانية والفرنسية وتتوiki مجلة (دراسات أندلسية) التونسية نشر البحوث التي ألقيت بالعربية وهي أربعة

- 1 - ابن الأبار وعصره في تونس : للدكتور رشاد الإمام من تونس .
- 2 - القيمة الوثائقية في ديوان ابن الأبار : للدكتور جمجمة شيخة من تونس .
- 3 - شاعر وفي لوطنه : للدكتور عبد السلام الهراس من المغرب .
- 4 - بين ابن الأبار وابن عميره : للدكتور محمد بن شريفة من المغرب (٠)

(٠) لم يصلنا النص النهائي من الأستاذ ابن شريفة إلى حد طبع هذا العدد . لذا نرجى نشر مقالة إلى العدد المقل في ديسمبر 1989 .

# ابن الأبار وعصره في تونس

بقلم الذكر رشاد الإمام

سنحاول في هذا البحث التركيز على محورين هامين يتعلكان بأمررين شغلاً بانا منذ زمن : الأمر الأول هو خلفيات مقتل العالم والشاعر ابن الأبار (قتل 20 محرم 6/658 جانفي 1260) بتونس تنفيذاً لأمر المستنصر بالله الحفصي ، ثم حرق أسلاؤه وكتبه وإجازاته وأشعاره وأوراقه معه . وهو حدث يبعث في نفس الباحث الاستغراب من شدة هذا العقاب الرهيب وعنقه ، ومحنه على البحث والتشرب عن خلفيات هذا الإجراء النادر حصوله في تونس ، خاصة وله حصل ولدوله الحفصية في عفوان شبابها وفي أوج قوتها وعزتها من ناحية ، ومن ناحية ثانية تقدّم هذا العقاب المؤلم بل الغريب على أحد كبار علماء الأندلس البارزين لمسلحين الذين شجّعهم الأمراء الحفصيون على الإقامة بتونس عاصمتهم بصفة نهائية ، وأزجلوا لهم العطاء والتجليل والتكريم . الأمر الثاني الذي سترّكَ عليه في هذا البحث هو محاولة إبراز أهمية تواجد العلماء الأندلسيين في تونس وتأثيرهم في مختلف الاختصاصات والعلوم فيها ، والنهوض بذلك العلوم والمعارف إلى مستويات أرقى وأعظم ، بل إدخال طرق وأساليب وعلوم ومناهج ومواد دراسية ومهن وتقنيات جديدة انتفعت بها تونس إفاده منقطعة النظير في القرن 7/13 وما بعده .

وفي هذا الفصل الذي سنحاول فيه بحث أهمية هجرة الأندلسيين إلى تونس في أول عهد الدولة الحفصية ، سنتقصي أيضاً دور ابن الأبار شخصياً ومشاركته في

هذا التأثير العلمي والثقافي والحضاري الممتاز الذي يعود الفضل فيه إلى مهاجري الأندلس .

أولاً : ابن الأبار ونكتبه في تونس ، العوامل والخلفيات:

العنصر الأول: حل أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن أبي بكر القضايعي المعروف بابن الأبار بتونس سنة 635/1238 في عهد أبي زكرياء الحفصي (ت 1249/647)، مؤسس الدولة الحفصية المستقلة عن الموحدين في المغرب الأقصى .

وكان أبو زكرياء وخليفة المستنصر (ت 676/1277) ومن تولى بعدهما من أوائل خلفاء الحفصيين رجالاً أقوباء وشداداً ، تفانوا في التزود عن عرشهم وعن دولتهم الفتية التي لم يمر على تاريخ استقلالها رسمياً سنة 1237/635 سوى عشر سنوات تقريباً لـ حل ابن الأبار بحاضرتهم سنة 1238/636 . وقد نجح أبو زكرياء والمستنصر خاصة في إقامة دولة عتيقة من سنة 1228/625 إلى 1574/982 . وهي أطول فترة تاريخية حكمتها دولة واحدة في كامل تاريخ تونس .

ومن سوء حظ ابن الأبار أنه حل بتونس في عهد أعظم حاكمين حفصيين بل مؤسسي الدولة وهي في عنفوان شبابها . ولا يخفى على أحد مدى غبرة مؤسس عرش جديد على حماية ذلك العرش وترسيخ أسسه مهما كلفه ذلك من تضحيات ، بل من عنف وبطش إذا اقتضى الحال ذلك . خاصة إذا وضعنا هذا الحدث في إطاره التاريخي أي في العصر الوسيط (القرن 7/13) .

ومن أول ما يجب أن نلاحظه في أسباب نكبة ابن الأبار وخلفياتها أن موازين القوى العربية في المجتمع الإسلامي بدأت تتغير عما كانت عليه من قبل ، وخاصة بعد النكبات التي كانت تحل دائماً بالموالي من بربور وفرس وأتراك على يد العنصر العربي الغالب والمتفوق والحاكم . وهنا لنا أن نذكر نكبات عدّة عرقية مثل نكبة البرامكة ونكبة طارق بن زياد بعد عبوره وانتصاره في أول وقائع فتح المسلمين للأندلس وأعظمها .

فإذما تغيرت الأوضاع وتبدل الأسر الحاكمة القوية خاصة في شمال إفريقيا والأندلس . فالحفصيون بربور قدمو من جبال الأطلس ببلاد المغرب الأقصى . وهذه

النزعه البربريه التي تجري في دمائهم كانت واضحة جدا لدى الحفصيين سواء في طريقة حكمهم الصلبه أو معاملاتهم الحازمه مع رعيتهم في الداخل ، أو مجاهاتهم الشرسه العنفه والعتيدة للقوى والدول الأجنبية التي كانت دائمه التهديد أو التخطيط للثيل من سلامتهم واستقلالهم<sup>(1)</sup>.

لما توفي أبو زكرياء الحفصي كانت كامل البلاد التونسية من طرابلس إل بجاية تحت سلطته . وكانت أنظمة هذه الدولة الشاسعة محكمة سواء في المجال السياسي أو الإداري أو الأمني ، و حتى القبائل والعرش التي اعتمدت على إحداث الإضطرابات وإعلان العصيان وإثارة النزاعات أُجبر أهلها على الانضباط والانصياع والطاعة .

عندما تولى المستنصر حكم الدولة الحفصية سنة 647/1249 واصل تركيز أعمدة الدولة بكل كفاءة وجدارة إلى أن بلغت دولته شأناً من المناعة والقدرة جعلتاه يتلقب بخليفة المؤمنين .

وأصبحت الدولة الحفصية تكاد تكون الدولة الوحيدة في العالم الإسلامي التي يسود فيها الاستقرار والهدوء وبالتالي القوة والمناعة . وهذا ينطبق على البلاد الإسلامية بجناحيها المشرقي والمغربي .



وهذا السُّود يتجلى في أنَّ لويس التاسع لـ هاجم تونس في الحملة الصليبية الثامنة سنة 669/1270 ، بعد مقتل ابن الأٰيار بعشر سنوات ، كان يظن أنَّ بقضاءه على الدولة الحفصية القوية في قلب العالم الإسلامي يكون قضى على أهم دولة في ذلك العالم الممزق داخلياً و منهزم أمام القوى الأجنبية خارجياً<sup>(2)</sup> .

نعتقد إذا أنه من سوء حظ ابن الأٰيار أنه نزل تونس ، وهو المتيم بحب السلطة والتفرد ، والدولة الحفصية الفتية في فترة التدعيم والتركيز والتشديد . وما أحضر تلك الفترات على رجالات الحكم والدولة ، وما أشدتها حساسية وما أكثرها مآخذ وانزلاقات

H.R. Idris, «Hafsids» The encyclopedia of Islam, New Edition, (1) Grill-Luzac, 1965, vol 3, pp 66-69

سنشير إلى هذا المرجع فيما يلي من هذه الدراسة بدائرة المعارف الإسلامية.

(2) الزركشي : تاريخ المؤمنين ص 27 - 40 ط تونس 1966 . و: ح. ح. عبد الرؤوف : حلامة تاريخ تونس ص 105 - 116 ط 1953 .

إنه لو تأثر حلول ابن الأبار بتونس سبع عشرة سنة فقط لوجد الخليفة المستنصر سنة 676/1277 أكثر لينا وأقل جرأة لأخذ قرار القتل والتدمير والحرق فيه أو في غيره .

وإذا كانت الدولة الحفصية في عصر فتوتها تلك من أعظم الدول الإسلامية في المشرق والمغرب ، وكانت الدول النصرانية تعمل على البطش بها<sup>(3)</sup>، فإنه بإمكاننا أن نتصور نار الغضب القاتل التي يحرق بها الخليفة كلّ متردّ في ولاته لتلك الدولة أو مشكّك في مقدرتها أو عامل على التّبل من مناعتها . إنّ وضع الدولة الحفصية في خضم الأحداث في كامل حوض البحر الأبيض المتوسط يشبه وضع قوتين عظيمتين : الدولة الحفصية من جهة والدول النصرانية من جهة أخرى . كلّ منها تعمل على البطش بالثانية بأبة وسيلة كانت .

ومن هذا المفهوم يمكننا أن نتصور حرم أمراء الدولة الحفصية وشذّتهم وعنتفهم مع المشكوك في ولائهم ، أو المخالفين لأوامريهم أو المعارضين لهم ، أو الناقمين والحاقدين عليهم من رجال دولتهم وأصحاب الخطط العليا فيها ، وغيرهم من الإطارات والأهالي في جميع مجالات أعمالهم ومسؤولياتهم ونشاطاتهم . فالإخلاص المطلق للدولة والتفاني في خدمتها في تلك السنوات الصعب من تاريخ الدولة الحفصية كان يقتضي الطاعة الكاملة لل الخليفة والتفاني والغداء بالنفس من أجل الدولة وسلامتها داخلها وخارجها . وهو ما لم يتوفّر بصفة قطعية في علامتنا ابن الأبار .

أما العنصر الثاني من العوامل والخلفيات التي شاركت في القضاء على ابن الأبار وموته أشنع ميّة هو عنصر عرقي على ما أعتقد . وقد لمحنا إلى هذا سابقاً ، فقد ولد عالمنا الجليل سنة 595/1198 من عائلة عربية عريقة الجذور في نسبة القضايعي<sup>(4)</sup> . وتلقى علومه في بنسبة على أيدي مشاهير العلماء الأندلسيين من أمثال أبي الريّع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي . وطاف أرجاء البلاد الأندلسية لتلقّي العلم والمعرفة على العلماء الكبار حيثما وجدوا . وقضى فترة طويلة من ثباته في طلب العلم من جهة والتأليف من جهة أخرى . ومن هذه العلوم التي تلقّاها ، وتميز فيها ، وأصبح علما

(3) عبد الرحمن بن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر . طـ بيروت ، 1959 ، ج 6 ، ص 591 - 611 .

(4) عبد الله الطاعـ : كتاب الخلـة السـراء ، بيـروـت 1962 ، ص 14 ، 37 ، 40 .

من أعلامها سواء في الأندلس أو في شمال إفريقيا هو علم الترجم والأنساب وذلك بالمعرفة الواسعة والتأليف والتدريس . فنسب ابن الأبار العربي الأصيل ومعرفته المتميزة جداً بالأنساب والترجم ، وتميزه لدى المؤرخين بأنه كان عيناً من أعيان بلنسية بل شيخاً (من مشيخة أهل بلنسية)<sup>(5)</sup>، جعل صاحبنا شديد الافتخار بنسبه العربي النبيل رسمأ أرومته على غيره من ليسوا عرباً مهما كانت مراكزهم .

أول زيارة أدّاها ابن الأثّار إلى تونس كانت سنة 1238/636 لطلب النجدة من الأمير الحفصي لإنقاذ سقط رأسه مدينة بلنسبة من الحصار المضروب عليها من طرف الإسبان التنصاري . ثم رجع إلى بلنسبة وبعد أيام معدودات التحق بتونس ثانية للاستقرار بها نهائيا ، بعد أن امتنولى خاتمي الأول على بلنسبة في 16 صفر 28/636 سبتمبر 1238<sup>(6)</sup>.

حضره إلى تونس كان من أجل طلب النجدة العسكرية من أبي زكريا الحفصي . وما مبادلة أمير بليبيه وسكانها له ، كما أعلن ابن الأبار ، إلا طمع في النجدة العسكرية . وما يدلنا على أن سفارة ابن الأبار كانت ترمي إلى تحقيق نجدة أبي زكريا العسكرية قول السفير – وهو ابن الأبار – في أول بيت من قصيدة السينية الشهيرة التي ألقاها بين يدي الأمير الحفصي :

غير أن أبا زكرياء لم ينجد لهم إلا بالأقوات والأغطية والمؤن<sup>(7)</sup> ولم يقم بأي عمل عسكري يستجيب لاستغاثتهم ويستهدف فك الحصار على بلنسية . يقول المؤرخون إن سفارة ابن الأبار كانت ناجحة<sup>(8)</sup>، وأنا أعتقد العكس تماما . وأمام هذه الخيبة في التجاه في سفارته يكون خسر ماء وجهه أمام أمير بلنسية من جهة وخسر مناصبه وممتلكاته في تلك المدينة بسبب الغزو المسيحي من جهة ثانية . ولم يتحقق له من كل ما كسب إلا الغرور والعناد السياسي والشعور بالتفوق العرقي فيما بعد في تونس .

(٥) ابن خلدون : العبر . ج ٦ . ص ٦٥٢ .

(٦) نفس المصدر .

(7) نفس المُعذَّر ص 653.

(8) نفی المعتبر .

ولا تخفي أهمية الأنساب العربية والمتميزة في الأسر العربية في مختلف العصور الإسلامية ، وخاصة في تلك الفترة . وكم شيدت ، في تاريخبلاد الإسلام فاطمة ، من دول وعروش بسبب النسب العائلي . والأمر الأكيد ، كما ذكرنا سابقاً ، أن ابن الأبار كان من أكثر علماء عصره معرفة بالأنساب العربية ودورها القاطع في النيل والسودان والسيادة . والأمر الأكيد الثاني هو أن ابن الأبار كان بتأليفه وعلومه ودروسه ، على غرار تبحّره في علم الأنساب والتراجم<sup>(9)</sup> ، من أعظم مؤرخي عصره . وما مؤلفاته في التاريخ والتراجم إلا أكبر دليل على ما نقول .

على العكس من كُلّ هذا كان أمراء بني حفص ، أولياء نعمة ابن الأبار ، أبعد ما يكُونون عن هذا النسب العربي الأصيل . فهم ببربر في نسبهم وفي عصبيتهم وفي انتقامتهم . ولا داعي هنا للتأكد على النفور الذي كان مستفجلاً بين البربر والعرب في تلك العصور سواء في الأندلس أو في شمال إفريقيا .

انتفاء عرق في بهذه الحدة في الاختلاف وبهذه القوّة في الحساسة المفرطة والغيرة الصارخة لا يمكن إلا أن يجعل علاقة ابن الأبار العربي الفرع وأسباده ببني حفص البربر علاقة مبارزة عرقية واختبار تواها وامتحان انتقامات .

لقد ذكر المؤرخون إشارات تدلّ على هذا الصراع بين الطرفين من ذلك قول صاحب العبر (... ولما هلك الأمير أبو زكريا ياعدرجه (ضمير الغائب المفرد يعود على ابن الأبار) المستنصر إلى حضور مجلسه ... وكان في ابن الأبار أنفة وبأو (فخر وتكبر)... فكان يزري على المستنصر في مباحثه ويستقصره في مداركه<sup>(10)</sup>). ويدرك نفس المؤلف في مكان آخر أنه لما عاد ابن الأبار من بجاية بعد أن رضي عنه المستنصر (... عاد هو (ابن الأبار) إلى مساء السلطان بنزعاته...)<sup>(11)</sup>.

ويقول حسين مؤنس في تعليق شناعة مقتل ابن الأبار : (والحقيقة أن ما جرى لابن الأبار كان حلقة من حلقات الصراع بين الأندلسيين والمهاجرين وشيخ تونس من موحدين وغيره، موحدين ...)<sup>(12)</sup> .

(9) محمد مخلوف : شجرة الشجر الزكية ، القاهرة ، 1350 هـ . ج 1 ص 195 .

(10) ابن حمدون : العبر ، ج 6 ، ص 653 .

(11) نفس المصدر ص 654 .

(12) حسين مؤنس : كتاب الخلقة السيرة ، القاهرة ، 1963 ، ج 1 ، ص 40 .

وباعتبار كل ما سبق أرى أن الاختلاف العرقي كان واردا بين ابن الأبار وأسياده من البربر ، وإنْ كان ذلك الخلاف في أغلب الأحيان مستترا جدا ، بل لم يكن من صالح أي طرف البوح به وكشفه بشكل صارخ .

العنصر الثالث من العوامل والخلفيات التي أدت بابن الأبار إلى التهمة هو تمرّسه بالإدارة وتفوقه فيها منذ أن كان في الأندلس ، بشكل جعله متّسرا عن رجالات تونس وزرائها وإدارتها . فقد تولى ابن الأبار مناصب عالية في إمارة بلنسية ومنها السفارة التي قام بها إلى تونس . وكذلك تولى منصب الكتابة والمراسلة لأمير بلنسية وغيره من الأمراء . وبذلك كان متّفقا على حاشية الأمير في تونس وعلى وزرائه إداريا . ومن هذا الباب ، نعتقد ، دبت الفرقـة وتكون الصراع على الخطط العليا ، خاصة منها المتنصّفة بخدمة الخليفة ومقابله مباشرة فكان الصراع على الجاه بين وزيرين أحدهما هو ابن الأبار ذو المهارة السياسية والكفاءة الإدارية مغرياً<sup>(13)</sup> . والثاني هو أبو الحسين أحمد بن إبراهيم الغساني كاتب خط العلامة لدى الخليفة الحفصي ، وكانت براعته وكفافته محدودة بل ( محلية ) بالمقارنة مع ابن الأبار . وما حكاية سعاية الغساني لدى المستنصر ضدّ ابن الأبار ، لأنّ هذا الأخير وصف والد الغساني بقوله : (... إن أبا لا تعرف حياته من موته لأب خامل)<sup>(14)</sup> ، إلا تهويل للأحداث وتضخيم لها . ولا يمكن أن تكون سعاية مبنية على مثل هذا التعریض سببا يؤدي إلى تمزيق السلطان الحفصي لأنّ الأبار ثم حرق أشلاءه وكل مؤلفاته . هذا أمر لا يستقيم للتحليل والمنطق ، بل الأغلب أن سبب الوشاية هي التناقض على السلطة ، أو مظهر من مظاهر الاختلاف في الاتجاهات السياسية بين الوزيرين . وهذا كله هو الذي سبب ولد المخاوف لدى السلطان من ابن الأبار الأكثر قدرة وتمرّسا بشؤون الدولة سياسياً وإدارياً ، وبالتالي خاف من غدره كما سيأتي .

أما العنصر الرابع فيتمثل في أن شاعرنا ابن الأبار لم يستقر في تونس كمدرس عادي أو موظف بسيط أو شاعر مناسبات ، بل رُتّي خطوة كاتب علامة الأمير الحفصي

(13) يذكر ابن خلدون الخطوط السامية التي تولاها ابن الأبار قبل أن يحل بتونس بقوله : (وكتب عن السيد أبي عبد الله بن أبي حفص بن عبد المؤمن بلنسية ، ثم عن ابنه السيد أبي زيد ... ثم كتب عن ابن مردبيش . ولما دلف الطاغية إلى بلنسية ونازلاها بعث زيان بوفد بلنسية ويعتّهم إلـي الأمير أبي زكريا وكان فيهم ابن الأبار ...) (العبر : 654/6).

(14) المصدر السابق .

رئيس كتابه ، وهي من أعظم وظائف الدولة ، وكانت تجعل صاحبها في احتكاك مباشر مع الأمير في كل صغيرة وكبيرة ، وبالتالي كان ابن الأبار مستهدفاً لشكوك الأمير وغضبه . وهذا ما جعل أبي زكرياء يعزل ابن الأبار من خطته ويضعه في الإقامة الجبرية في بيته تحت الحراسة . ثم عفا عنه فيما بعد وأرجعه إلى خطته . وكان الأمير كان حائراً بين شدة حاجته لكتابه من ناحية وعدم ثقته فيه من ناحية ثانية . هنا على الرغم من شفاعة المستنصر – قبل توليه العرش – فيه لدى والده أبي زكرياء للعفو عنه لاستجاراته به .

لما توفي أبو زكرياء أبقى المستنصر ابن الأبار في وظيفته ، ولكن شكوك الخليفة في ولاء ابن الأبار بدأت تتعاظم ، بناء على مواقف شاعرنا المشبوهة والتي كانت تستهدف الخليفة شخصياً و مباشرة بالخط من قبنته وسلطانه . وهو الأمر الذي ضاعف من غضب الخليفة وحاشيته وبعض المسؤولين في بلاطه إلى حد الأمر بإعدامه .

إذا يمكننا أن تعتبر الخطبة المرموقة التي نولاها ابن الأبار وقربه الشديد من المحاكم ، والتحامه اليومي الوظيفي والسياسي بضاعفي ومتخدي القرارات السياسية في أعلى هرم السلطة وفي أوج قوة الدولة الحفصية ، عاملأ أساسياً في نهاية المؤلمة .

العنصر الخامس غرور ابن الأبار وتعنته وسلطة لسانه جعلته هدفاً للانتقاد والتجریح والحدق . فمن غروره وتعنته الغريب أنَّ أبي زكرياء بعد أن عينه رئيس كتبته ، أمره بأن يُقْنَى فراغاً أياً في أعلى كل وثيقة رسمية حتى يتمكن وزيره أبو العباس الغساني<sup>(15)</sup> من كتابة العلامة أي اسم الأمير وإمضائه . وقد كلف بها لأن خطبة مشرقي يصعب على الكتاب في تونس تقليله . فلم يمثل ابن الأبار لهذا الأمر من الأمير وتتجاهله إطلاقاً . ولما وقع الإلحاح عليه في ذلك استنبط غضباً ورمى بالقلم وأشد قول المتibi :

وأطسلِبِ العِزْ فِي لَظَىٰ وَذَرِ الدُّلْ لَ وَلَزُ سَكَانَ فِي جَنَانِ الْخُلُودِ  
نسى ذلك إلى السلطان فأمره بلزوم بيته في إقامة جبرية<sup>(16)</sup> .

(15) ابن خلدون : العبر . ج 6 . ص 653 .

(16) نفس المصدر .

وإذا كان أبو زكرياء مؤسس الدولة متعكماً في غضبه ومسطراً على سخطه ، فإنَّ المستنصر مثيد الدولة والمُتلقَّب بال الخليفة ، والكثير الشكوك فيمن حوله ، وجد في سيرة كاتبه وتحديه له ما لا طاقة له به . وزاد الطين بلة اتهام صاحبنا — بسبب ملارمه للأمير مباشرة ، وهو في قلب جهاز الدولة السياسي والإداري — بأنه يتوقع (المكرور للدولة)<sup>(17)</sup> ويترصد بها الدوائر .

**العنصر السادس :** عدم الولاء المطلقاً . والذي يدللنا على عدم ولاء صاحبنا لولي نعمته هو أن الخليفة المستنصر اكتشف في أوراق ابن الأبار عندما صودرت أبيات خطورة في هجاء الخليفة وفي الحقد عليه<sup>(18)</sup> ، وهو ما عجل بمقتله .

**العنصر السابع :** بالإضافة إلى ما سبق أتهم ابن الأبار في تونس بالتشييع ولكن كان من الصعب تصديق هذا الاتهام لأسباب عديدة ، فإن الإطار الذي وضع فيه هذا الاتهام إطار قاتل . فقد وردت في كتابه «درر السمحط في خير السبط» ، الذي كان يدرسُه ابن الأبار نفسه في حلقات تعليميه للطلبة في جامع الزيتونة ، إشارات فسرت بأنها تدل على ولاء المؤلف لشيعة علي وعلى عداوته للأمويين الستينين<sup>(19)</sup> . لقد ذكر المقربي بعد أن أورد فسما من كتاب ابن الأبار (درر السمحط) أنه كان متشيعاً لعلي والله وأنه لم يورد من كتاب السمحط لابن الأبار في كتابه نفع الطيب إلا ما ذكره (لأنَّ في الباقى ما تشتم منه رائحة التشيع والله سبحانه يسامحه بيته وكرمه ولطفه)<sup>(20)</sup> .

ومن الجدير باللحظة في هذا الاتهام الخطير أن البلاد التونسية تعتبر من أشد البلاد الإسلامية محاربة للشيعة والبدع وتشبتها بالمذهب المالكي الستي .

**العنصر الثامن :** ومن عوامل غضب السلطان وحاشيته على ابن الأبار تفوق علماء الأندلس وأدبائها وإداريها على أمثالهم بتونس في ذلك الوقت . وما تشجع أبي زكرياء الحفصي لخيرة علماء الأندلس على الاستقرار بعاصمته إلا دليل قاطع على هذا التفوق

(17) نفس المصدر ص 655 .

(18) يذكر ابن خلدون أنيط الأول من هذه الآيات وهو :  
طُمِّا بِتُونْسِ خَلْفَ سَمَوَهْ ظُلْمَى خَلْبَة

(العر . ج 6 . ص 655) .

(19) دائرة المعارف الإسلامية : 66/3 .

(20) المقربي : نفع الطيب . ط القاهرة 1302 هـ . ج 2 ص 601 .

وعلى هذا التميّز وعلى الحاجة الملحة إليهم لبناء دولته ، الحديثة الاستقلال عن المورخين ، وبذلك بدأت الهجرة . ومن بين هؤلاء المهاجرين مجموعات من رجال الفكر من مختلف أنحاء البلاد الأندلسية .

ولا شك أيضاً أن الأندلسين المهاجرين إلى تونس ، ومنهم ابن الأبار قد شعروا بالتفوق العلمي والتميز الحضاري لما حلوا بهـونـس . وهذا الواقع ولد لدى أغلبـهم افتـنـاعـاً بـتـفـوـقـهـمـ على باـقـيـ الـمـوـاطـنـيـنـ التـونـسـيـنـ وبـالـتـالـيـ السـعـيـ لـالتـاسـميـ عـلـيـهـمـ وـتـحـاشـيـ الاـخـلاـطـ بـهـمـ .

وإذا كان المهاجرون الأندلسيون في القرن 11/17 قد عاشوا في تجمعات صغيرة خاصة بهم ، وانفردوا بلباسهم وطعامهم وتفاخرروا بها ، وامتنعوا عن مصاهرة الأهالي المحليين ترفاً — ومعظمهم كانوا من الصناع والتجار والمزارعين وأصحاب الحرف . فما بالك بمهاجري القرن 7/13 الذين كانوا في أغلبهم من كبار العلماء والأدباء والإداريين والأطباء والمدرسين والفنانين والكتاب .

لقد بادر معظم هؤلاء بالتشبت بطابع التفوق حتى ظهروا في المجتمع التونسي وكأنهم مجموعة من المهاجرين ناشئة عن المجتمع الذي انفلوا إليه ، تراحم أفراده وتعاديهم<sup>(21)</sup>، بل تصر إصراراً كبيراً على تحديهم<sup>(22)</sup> .

العصر الناصع : هو جمود ابن الأبار إلى حد تمنيه زوال حكم الحفصيين . يقول حسين مؤنس في مقدمة تحقيق الحلة السيراء معللاً مقتل ابن الأبار بأن ما حلّ بابن

(21) حسین مدنیس : الجملة المسیراء ص 40

هناك قصة تروى إلى اليوم في تونس وهي من محلقات أسمار القرون الحاضرة في الوطن القبلي بالبلاد التونسية أرويها باختصار المتلليل على مدى عناد الأندلسي المهاجر بالبلاد التونسية ومدى تشنّه موقفه أو برأيه وإن كان على خطأ تقول هذه القصة الشعبية القصيرة إن أحد الأندلسين المهاجرين كان يتره مع صديقه له من التونسيين الأصليين خارج إحدى المدن عند عرب الشمس . فرأى الأندلسي عن بعد شيئاً أسد يتحرك على الطريق غير واضح المعالم . فقال لصديقه انظر أرأيت ذلك السواد الذي يتحرك على الطريق . ثبت منه أنه قطعيم من العنز تأخر الراعي عن الرجوع به إلى حضيرته إلى هذه الساعة ، فأجابه التونسي بعد التثبت فيه جيداً : هذا ليس قطعيم من العنز بل هو سرب من الغربان . ولما اقترب الصديقان من ذلك الشيء ، الأسود الذي يتحرك فوق الطريق ، طار سرب الغربان وعلا في الفضاء قال التونسي لصديقه : ألم أقل لك أنه سرب غربان وليس قطعيم عن فأجابة الأندلسي بحدة : (معز (أي عنز) ولو طارت).

(22) حسین مائیز : الحلة الستاء ص 40

الأبار يعتبر حلقة من حلقات الصراع بين الأندلسيين وشيوخ تونس من موحدين وغيرهم (بل حلقة من صراع هؤلاء المهاجرين الأندلسيين مع شيوخ كل قطر نزلوه وعلمائه ...) <sup>(23)</sup>.

قد يكون هذا التحليل صحيح في بعض أوجهه ، ولكن عقوبة القتل بأشنع طريقة ثم حرق الجثة والمؤلفات وغيرها لا يمكن أن تكون ناتجة عن زلات صغيرة أو عادات محدودة من ابن الأبار . كان في إمكان الخليفة أن ينفيه أو يحبسه أو يجرمه على الإقامة الجبرية في بيته . ولكنه لم يفعل شيئاً من كل ذلك بل أمر بقتله .

هذا التصرف من الخليفة المستنصر يتجاوز مرحلة احتمال خوفه من ابن الأبار كما يقول حسين مؤنس . ولو كان السلطان خافقاً منه فقط لما أحرقه بعد قتله وأحرق جميع مؤلفاته معه . بل هذا يدل أن السبب تجاوز الخوف الشخصي العادي إلى الخوف السياسي الذي يهدد حكم العائلة الحفصية ويعمل على زوالها . وقد تدعم هذا بفراحة ابن الأبار لطالع ولئي عهد المستنصر وتصريحه بأن الدولة ستسقط في عهده . وهذه تعد في حد ذاتها جريمة سياسية لا تغفر .

أعتقد أن هذه العوامل والخلفيات مجتمعة متكاملة متداخلة قاست على ابن الأبار وليس عملاً واحداً منفرداً منها مهما كانت قوته وتأثيره ، غير أن العامل السياسي كان هو الأقوى بينها جديعاً .

## عصر ابن الأبار في تونس

### ١ - هجرة الأندلسيين إلى تونس :

بدأت هجرة الأندلسيين إلى تونس تظاهر منذ أوائل القرن 13/7 في عهد أبي زكريا الحفصي الذي شجع الأندلسيين على الإقامة في تونس . وقد أغراهم بالامتيازات الشديدة حاجة الدولة الجديدة إليهم وإلي معارفهم في مختلف المجالات العلمية والفكرية والإدارية والأدبية والفنية وغيرها .

(23) المصدر السابق ص 40 .

ومن بين هؤلاء المهاجرين الأوائل المنتمين في مختلف الاختصاصات العلمية والفنية والمهنية قلة من رجال الفكر ينتشرون إلى أنحاء متعددة من البلاد الأندلسية : من كورة ماردة وميرقة وجزيرة شقر وقرطبة وطرطوشة ، وكذلك من بلدية إشبيلية وشاطبة وغرناطة ومالقة ولبلة ورياسة وشريش وبطرنة وشلب .

وقد كانت الوجهة المفضلة لهؤلاء المهاجرين هي تونس بصفة خاصة ليقيموا أمنين في ظل الدولة الحفصية ، بعيدا عن القلاقل والفتنة بالمغاربة الأوسط والأقصى .

ومن الجدير بالذكر أن حدس المهاجرين صدق في تفضيل المدن التونسية عن مدن المغرب الأقصى . فقد ذكر ابن خلدون أنه لما انقرضت دولة الموحدين وظهر بنو مرين بفاس في المغرب الأقصى كانت لهم مشاحنات وخلافات مع الأندلسيين القاطنين بتلك البلاد . فكان الأندلسيون ينتقلون من المغرب ومن الأندلس رأسا إلى البلاد التونسية وخاصة العاصمة<sup>(24)</sup> .

عندما حلّ هؤلاء بتونس — وكان من بينهم ابن الأبار — كانت تلك المدينة — على الرغم من كونها، عاصمة الدولة الحفصية — تعد قرية كبيرة من جملة القرى التونسية . وما أن انتهى القرن 13/7 ، وهو القرن الذي نزح خلاله الأندلسيون ، حتى تحولت تونس عاصمة للمغرب قاطنة وقبلة العلماء ورجال الفكر والطلبة . وشيدت فيها المدارس والمكتبات والجوانع ، وانبعثت النهضة التي جعلت ذلك القرن يتميّز عن بقية العصور التاريخية في تونس إلى درجة يمكننا أن نطلق عليه عصر النهضة التونسية .

وقد تواصل تأثير الأندلسيين في تونس علمياً وحضارياً وفنياً على مدى القرون المواتية . وذلك لسبعين : الأول أن الهجرة الأندلسية لم تقف بانتهاء ذلك القرن بل تجاوزته إلى القرن 14/8 حيث قويت حركتها فشملت ، زيادة على العلماء ورجال الفكر ، التجار والصناع والمزارعين وأصحاب الحرف بأعداد وافرة . وقدم لهم أمراء الدولة الحفصية أحياء في المدن يقطنونها وضياعاً في الريف يسكنونها ويعملون فيها . ويرجع لهؤلاء الفضل في إدخال أنواع من العلوم والاختصاصات جديدة وأساليب صناعية ومهنية و الهندسية لم يسبق للبلاد أن عرفتها .

(24) ابن خلدون : العبر : 6 / 625 .

أما النسب الثاني الذي جعل تأثير الأندلسيين لا يزول من تونس فهو الأعداد الرافة من الطلبة التونسيين الذين تلقوا علومهم عن أعلام أندلسيين في الحاضرة بندر وجود أمثالهم في كامل العالم الإسلامي في القرن 13/7.

ومما يجب ملاحظته أيضاً أن تأثير الأندلسيين في الحياة الفكرية والحضارية بتونس كان من طراز المؤثرات التي لا تزول بمرور السنين والقرون ، لأنها كانت متصلة اتصالاً مباشراً ومتفاعلاً تماماً مع مختلف طبقات المجتمع التونسي وفقائه . فقد تداخلت أفكارهم العلمية والدينية وأساليبهم العملية في جميع العيادين الحياتية للمجتمع التونسي حتى صارت عنصراً من العناصر الحضارية التي يتكون منها ، وعادة من عاداته وتقاليدنا من تقاليده . فلور انتصر تأثير الأندلسيين على مجالس الأمراء والأعيان لا سيما باتهائهم . أما وتأثيرهم كان متفاعلاً مع مختلف قات السكان ، فإن ذلك التأثير لا يزول بزوال الأفراد بل يبقى ساري المفعول مكتوناً عنصراً هاماً من العناصر الحضارية والفكرية والثقافية لأمة بأسرها .

في ذلك العصر ، عصر ابن الأبار في تونس ، شجع أمراء الحفصيين المهاجرين الأندلسيين على نشر المعرفة بكل ما لديهم من وسائل ، فازدهرت المعرفة إلى أن أصبحت الحاضرة مقصد طلاب العلوم والفنون من أفاقي البلاد يتبثثون من أبوابها ويرتورو من يناديها .

## 2 - تأثير الأندلسيين في الشاطئ الثقافي بتونس

لقد جدد الأندلسيون في تونس في القرن 13/7 عدّة مجالات في الميدان الثقافي وأدخلوا طرقاً وأساليب واحتياجات حديثة كان لها تأثير مباشر وفوري في الحياة الثقافية بتونس .

ففيما يتعلق بالمواد الدراسية أدخل المهاجرون الأندلسيون مواد دراسية جديدة في حلقات التعليم . من هذه المواد علم الفلك والأزياج والطب والهندسة وغيرها من العلوم<sup>(25)</sup>، بعد أن كانت المواد الدراسية في تونس قبل مجيء الأندلسيين متغلبة عليها

(25) ابن خلدون المقدمة ص 880 . وكذلك :

R. Brunschwig : La berberie Orientale. Paris, 1940, vol. p. 364

الطابع الديني واللغوي ، فكانت المواد التعليمية لا تخرج عن العلوم الشرعية الفقهية من توحيد وحديث وفقه وفراص وعلوم القرآن والقراءات والسيرة والمغاربي والتاريخ من جهة ، والعلوم اللغوية من نحو وتصريف وأدب وشعر من جهة ثانية<sup>(26)</sup> .

وبذلك التأثير الأندلسي في نشر العلم بتونس بمختلف ميادينه وفروعه صارت الحاضرة في ذلك العصر كما يشهد بذلك شاهد عيان: (لا تنشد بها ضالة للعلم إلا وجدتها ولا تلتمس بغية معوزة إلا استفادتها ... وما من فنٍ من فنون العلم إلا وجدت بتونس من به قائماً ولا مورداً من موارد المعارف إلا رأيت حوله وارداً وحائناً)<sup>(27)</sup> .

وفيما يتعلق بالمدارس في عهد ابن الأبار أنشيء كثير منها بتونس بمحض إرادة الأندلسين بعد أن كانت قليلة فيها . ولم تستظم حلقات الدروس في جامع الزيتونة إلا في منتصف القرن 13/7 . ولم يزد القرن 14/8 حتى كثُر عدد المدارس المخصصة لإقامة الدروس وسكنى الطلبة ، وهذا يعتبر أكبر دليل على ازدهار الحركة العلمية بالعاصمة وببعض المدن التونسية الأخرى خاصة في عهد أبي زكرياء والمستنصر . ينضاف إلى ذلك الجوامع والمساجد التي كانت تعقد فيها حلقات التعليم وكذلك بيوت العلماء ومنازلهم . ومعظم دور العلم تلك كان يدرس بها أولئك الأعلام من الأجيالين الأندلسية .

ومن هذه المدارس المذكورة المسماعة ومدرسة المعرض والمدرسة التوفيقية والمدرسة العنفية ومدرسة ابن نافرقيين ومدرسة جامع الهواء ، ومن الجوامع : جامع الزيتونة وجامع القصبة ، ومن الزوايا : زاوية الرليجي .

هذا عدا المكتبات ودكاكين الوراقين التي أنشئت في تونس في ذلك القرن الراهن وفي عهد أبي زكرياء بالذات ، وهو ما يدلّ على رواج سوق العلم وانتشار الثقافة بالبلاد التونسية . ومن هذه المكتبات الشهيرة مكتبة جامع الزيتونة التي كانت تشمل على ستة وثلاثين ألف مخطوط<sup>(28)</sup> . يذكرها ابن خلدون بقوله : (كان الأمير أبو زكرياء

(26) العسري : الرحلة . ص 125 - 126، 176 - 178 .

(27) المصدر السابق ص 125 .

(28) ابن أبي ديار : المؤسس ص 127 .

الأكبر جمعها واستجاد أصولها ودواوينها<sup>(29)</sup>. ومن المكتبات أيضاً دار الكتب بالقصبة التي أسسها نفس الأمير، وكان مولعاً بالأندلسيين وبعلومهم وثقافتهم . وشهد كذلك سوقاً بأكملها سميت سوق الكتبين بالعاصمة<sup>(30)</sup> ، ولا زالت أجزاء من هذه السوق موجودة إلى الآن ، وهذا كلّه يؤكد مدى ازدهار الحياة العلمية في عصر ابن الأبار .

غير أنَّ هذه المكتبات لم تعمَّل عليها سبعون سنة بعد وفاة أبي زكرياء حتى أباد محتوياتها وباع مخطوطاتها التأثر ابن التجاني سنة 717/1317 . فلم يبق فيها شيئاً ذا أهمية (حتى الكتب التي كان الأمير أبو زكرياء الأكبر جمعها واستجاد أصولها ودواوينها أُخرجت للوراقين فيبعث بذلك كما يعمّل قاتل من الذهب تجاوز العشرين ، وجواليتين من حصى الدرّ والياقوت ...)<sup>(31)</sup>

### 3 - تأثير الأندلسيين في مجال العلوم في القرن 7/13 .

**الطب :** كان أهمُّ أساتذة الطب في تونس في القرن الذي ندرسه أندلسيين ، ليس بينهم تونسي واحد ولا يهودي حسب ما توفره لنا المصادر التي رجعنا إليها في هذه الدراسة . وتكتفي هذه المعلومة لنؤكد على الدور الأساسي والمصيري الذي يمثله الأندلسيون في المجال العلمي . من هؤلاء الأطباء حكيم المستنصر المشهور محمد ابن أندراس المرسي<sup>(32)</sup> .

يصف الغربيني أستاده في علم الطب ابن أندراس بقوله : (... وتبسط للطب طيباً باحثاً جيداً ... وكانت الأبحاث في كل ذلك جارية على القراءين النظرية والاستدللات الجالية<sup>(33)</sup> .

(29) ابن خلدون : العبر . ج ص 748 .

(30) ابن أبي دينار : المؤنس . ص 130 .

(31) ابن خلدون : العبر . ج 6 . ص 748 - 749 .

(32) هو أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الأموي المعروف باسم أندراس من أهل مرية (ت . 674/1275) . ورد على بجاية ثم رحل إلى تونس باستدعاء المستنصر له بعد أن ذاع صيته في الطب (أبو العباس الغربيني : عروض الدراسة فيما عرف من العلماء في بجاية، الجزائر 1910 ، ص 45 - 47) .

(33) المصدر السابق .

كان هذا الطبيب إذا سُئل عن مسألة طيبة لا يجيب عنها إلا بعد إعمال النظر في أسباب المرض وتمييزها ، وينظر في أنساب الأدوية وعندئذ يقدم الجواب . وهذا كما يذكر تلميذه (هو حال حذاق الأطباء وأمّا عوامهم ومن يعد منهم في أعداد القوابل فعندما يُسأله يجيب بغير علم) <sup>(34)</sup> .

بالإضافة إلى هذا الطبيب العالِم هناك عدة أطباء أصلهم من الأندلس ، منهم أبو العباس أحمد بن خالد من أهل مالقة <sup>(35)</sup> . ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الخزرجي الشاطبي (ت . 1291/691) ، وكذلك أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد السلام أصله من تدليس <sup>(36)</sup> . ومنهم محمد بن أبي العباس بن عيسىون .

وتواصل حلول أطباء أندلسيين بتونس في القرن 14/8 ، ومنهم الغرناطيان أحمد ابن علي الخولياني <sup>(37)</sup> وأحمد بن محمد الأنصاري <sup>(38)</sup> ، وابن عثـاب القرطـبي <sup>(39)</sup> وابن الحجاج يوسف <sup>(40)</sup> .

وبسبب وجود الأطباء الأندلسيين في تونس في القرن الذي ندرسه صار علم الطب بها يقوم بالدرجة الأولى على التحاليل وعلى تحصص وتشخيص المركبات الأساسية التي تتعلق بكل جسم وبكل عضو ، مع اهتمام كبير بمعرفة خصوصيات ومركبات المواد الغذائية . وقد نتج عن ذلك شيوع التجديد في طبخ المأكولات بطريقة تطابق ما أدخله هؤلاء الأطباء من آراء طيبة تتعلق بالمواد الغذائية <sup>(41)</sup> .

ويمكنا أن نعرف الشـاؤ الذي بلغته تونس في المجال الطبي في القرن 7/13 بفضل الخليفة المستنصر وإرساله أحد الحكماء الأندلسيين من تونس إلى ملك صقلية . ومثل

(34) المصدر السابق .

(35) عنوان الدراسة : ص 43 — 44 .

(36) المصدر السابق ص 208 .

(37) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، جدر آبا الذكن . 1929 — 1931 ، ج 1 ، ص 219 .

(38) نفس المصدر ج 1 . ص 306 .

(39) نفس المصدر ج 4 . ص 160 .

(40) عبد الله الترجان : شمعة الأرب في الرد على أهل الصليب ، القاهرة 1907 ، ص 8 .

(41) انظر برانشفيك : ج 2 . ص 138 — 139 .

هذا حدث سنة 1278/677 حيث بعث المستنصر للملك شارل الأول ملك أنجور Anjou ، بطلب من هذا الأخير ، كتاب (الحاوي في الطب) للرازي<sup>(42)</sup> .

**الهندسة :** أثر وجود المهندسين الأندلسين على التخطيط المعماري والبناء في البلاد التونسية في القرن 13/7 . وأصبح الطراز الأندلسي هو الغالب على أكثر الأبنية التي شيدت في ذلك القرن . وقد استغل أبو زكرياء عدداً كبيراً من المهندسين والصناع الأندلسين ، وهم الذين قاموا بهندسة وبناء أكثر القصور والجوامع والزوايا والأسواق التي أنشئت في عهد هذا الأمير . وفهي هذا التأثير بعد وفاة أبي زكرياء والمستنصر<sup>(43)</sup> . وهذا التمدد البشري الأندلسي نلاحظه بصفة جلية في بناءات القرن 13/7 في تونس مثل هندسة وبناء جامع القصبة الذي تم بناؤه سنة 1235/633 مع صومعته . وقد وصفها صاحب (المؤنس) بأنها كانت عجيبة الشكل<sup>(44)</sup> . وكذلك يظهر ذلك التمدد الهندسي جلياً في العباني والمعالم التالية : باب المنارة بالعاصمة ، باب للأرجوانة وهو أحد أبواب الجامع الكبير بالقيروان<sup>(45)</sup> . ومن هذا التمدد هندسة بناء أقواس (سوق الفمامش) و (مبضة سوق العطارين) وزاوية سidi قاسم الجلizi<sup>(46)</sup> .

ومما يزيد في تركيز هذا الطابع المعماري الأندلسي وإبرازه: التصميم والهندسة والبناء بالإضافة إلى وجود الزليج في أكثرها<sup>(47)</sup> ، وكذلك اعتمادها في التركيبة على النقش فوق الجدران ، والسطوح المعطاء بالقرميد<sup>(48)</sup> .

**علم التاريخ :** على غرار علوم الطب والهندسة والتحو لا يجد المستقensi للمؤلفات التاريخية التي كتبت في القرن 13/7 بالبلاد التونسية كتاباً واحداً كتبه مواطن أصله تونسي .

(42) المصدر السابق .

(43) Ch. A. Julien: Histoire de l'Afrique du nord, vol 2, p 153

(44) ابن أبي دينار : المؤنس ص 127 .

(45) ش. أ. جوليان : 414/2 .

(46) G.-Marçais: Manuel d'art musulman, 2 vols, Paris 1926 p 527

(47) الزليج كلمة إسبانية أصلها Azulejo .

(48) سليمان مصطفى رئيس : بين الآثار الإسلامية في تونس ط . تونس 1963 ص 52 .

أول هذه الكتب ألفه أندلسي من بنيامة وهو أبو الحجاج يوسف بن أحمد الأنصاري (ت 653/1255)، ألفه لأبي زكرياء وذكر فيه التورات والمحرب الداخلية في الإسلام إلى عهد هارون الرشيد . وقد نشر هذا الكتاب حدثنا ويعتبر من أهم المصادر في موضوعه. أما كتاب أبي محمد عبد الله بن عبد البر التونخي (ت 737/1336) – ويشتمل على التاريخ الإسلامي من الدعوة المحمدية إلى أيام المؤلف – فمفقود ولا نعلم عنه إلا أنه مرتب على حسب السنوات الهجرية مثل تاريخ الطبرى وأنه ينكرى من سنة أجزاء<sup>(49)</sup>.

هذا بالإضافة إلى عدد كبير من العلماء الأندلسيين الذين كانوا يدرسون التاريخ في معاهد العلم ، منهم ابن عبد البر التونخي<sup>(50)</sup> ، وابن الغماز<sup>(51)</sup> ، وابن الآثار نفسه ، وكتابه (درر السمط في خبر السبط) كان مادة تاريخية تدرس في المعاهد العلمية بتونس . هذا بالإضافة إلى كتب التراجم والطبقات التي ألفها أندلسيون في تونس خلال ذلك القرن .

**التعليم :** ولا يقف تأثير الأندلسيين عند هذا الحد بل يتجاوزه إلى مجالات أخرى ثقافية وعلمية وصناعية متعددة مثل التعليم . لقد اقتبس التونسيون منذ أوائل العهد الحفصي طرق التعليم المنطرة عن الأندلسيين . ولا ننسى هنا أنَّ أباً زكرياء الحفصي مؤسس الدولة ورائد نهضتها العلمية والحضارية تثقف على علماء أندلسيين أو عن تلامذتهم كابن عصافور الإشبيلي الذي أخذ عنه علم النحو ناظره فيه<sup>(52)</sup> . وقد أتعجب أبو زكرياء بالطريقة الأندلسية في التعليم واستعاض عنها . ولم يجد حاجة تونس إليها وإلى العلماء الأندلسيين فاستدعى من إشبيلية – وقد أصبح سيد إفريقية وكان في السابق حاكماً لمقاطعة تابعة لها – عدداً من أصحاب الصناعات المختلفة منهم العلماء للقيام بعمليات التعليم بتونس<sup>(53)</sup> .

(49) الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدة والحفصية فـ 111 – 112 .

(50) المصدر السابق .

(51) العبدري : الرحمة ، ص 126 .

(52) مخلوف : شحنة التور الركبة ، ج 2 ص 138 .

(53) كانت عائلة خلدون من هذه العائلات التي جلبها أبو زكرياء من إشبيلية ، أحد أبناء خلدون هذا أصبح وزير مال ، وأبنه محمد حاجاً ثم وزيراً ، وابن محمد هنا كان رجل علم ودين تولى خطة الإنماء بتونس أما حفيده محمد المذكور فهو عبد الرحمن ابن خلدون المؤرخ التونسي الشهير (ولد سنة 722 وتوفي سنة 808 / 1322 – 1405) (انظر كتاب ج . مارسي السابق ص 303) .

وقد أشاد المؤرخون بتفاني هؤلاء العلماء المدرسين في بث العلم والمعرفة في حلقات دروسهم<sup>(54)</sup>. ومن أشهر هؤلاء أبو العباس أحمد بن القماز البلنسي (ت 693/1293)، وأبو العباس اللبلي<sup>(55)</sup> وأبو العباس أحمد المالقي، وأبو العباس أحمد الغرناطي (ت 692/1292) صاحب كتاب المُشرِق في علماء المغرب والمُشَرِق . وكان الخليفة أبو زكرياء بن أبي إسحاق الحفصي (حكم من سنة 678 إلى 683/1279 إلى 1284) يحضر دروسه بمدرسة المعرض في العاصمة التونسية . ولما رأى الخليفة مدى تفاني ذلك المدرس في أداء وظيفته ، وما اتصف به من تبحر في العلوم أجرى عليه مرتبًا عالياً ، وأعطاه كيسين مسلوبين ذهباً وفضةً ليوزعهما على كل من يتلقى العلم في حلقات دروسه<sup>(56)</sup>. ويضيف المؤلف أن ذلك الإجراء من قبل الأمير الحفصي ، شجع الطلبة على التعلم بتلك المدرسة فازداد عددهم حتى أنه لم يبق لبعضهم محل بحالsson فيه . ويلغى إعجاب الأمير بالدروس التي تلقى بتلك المدرسة حذا جعله يفتح بها شباباً على يشه يستمع منه إلى الدروس ويراقب سير التعليم بها<sup>(57)</sup>.

أما طريقة التعليم الجديدة التي أدخلت على أيدي الأندلسيين إلى تونس في القرن 7/13 ، فقد أشاد بها ابن خلدون حيث أنها تحررت من المترال التقليدي الذي يتمثل في استظهار النصوص عن ظهر قلب و التركيز على تعليم علوم القدامى كما تداولتها الأجيال . وأصبح التعليم يعتمد على إطلاق المجال للعقل في التفكير والتحليل وتحليل الآراء و دراستها و مناقشتها . يصف ابن خلدون أصحاب الطريقة التعليمية التقليدية بقوله : (نجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في ملزمة المحاجس العلمية سكتوا لا ينطقون ولا يفاضون ... فلا يحصلون على طائل من ملحة التصرف في العلم والتعليم . ثم بعد تحصيل من يرى منهم أنه قد حصل تجد ملكته قاصرة في عيشه إن فاوض أو ناظر أو علم . وما أتاهم الفصور إلا من قبل التعليم ... وإلا فحفظهم أبلغ من حفظ سواهم نشدة عنائهم به ، وظفهم أنه المقصود من الحركة العلمية وليس كذلك)<sup>(58)</sup> .

(54) العبدري : الرحلة ص 385 .

(55) المصدر السابق ص 126 .

E. Fapauu : Chronique des Almohades et les Hafsidés attribué à Zarkachi , (56) 1895, p. 73 .

(57) المصدر السابق . ص 78 .

(58) ابن خلدون : المقدمة ص 780 .

ويذكر ابن خلدون بالإضافة إلى ما سبق مقارنة أخرى بين الطريقتين في التعليم في ذلك العصر فيؤكد بها ما للطريقة الحديثة من جدوى ، وذلك عندما يعلمنا أن المدة التي كانت معينة لسكنى طلبة العلم بالمدارس عند أهل المغرب الأقصى مدة طويلة جداً وهي ست عشرة سنة . أما بتونس حيث تطبيق الأساليب التعليمية الحديثة فإن المدة لا تتجاوز الخمس سنوات فقط . وهي أقل مدة متعارف عليها بالمدارس في ذلك الوقت . ثم يعقب مؤرخنا الشهير بقوله (فطال أمدها في المغرب لهذه المدة لأجل عسرها من قلة الجودة في التعليم خاصة ، لا مما سرى ذلك) <sup>(59)</sup> .

لقد ازدهرت طرق التعليم الناجحة في تونس بسبب التجديد فيها والتحديث في أساليبها كما رأينا ، وبسبب وجود المدرسين الأندلسين العلماء ووفرة المدارس المستحدثة . وهذا من شأنه أن يلقي الأفكار ويشحذ الأذهان ويزيد في طلب المعرفة ونشرها . ولقد ازدهرت طرق التعليم والتدرис في تونس في القرن 13/7 إلى درجة جعلت المدرسين بالغرب الأقصى يسعون بأساتذة من بلادهم إلى تونس للتدرّب . وقبل رجوعهم إلى أوطانهم كانوا يُمتحنون قبل تسلّمهم خطة التدرّيس في مدارس بلادهم . وكان هذا الامتحان يشتمل ، من حملة ما يشتمل ، على معرفة مدى حذق المدرس في التبليغ واعتماده على المعاشرة والتعليل والاستنتاج لا على الحفظ والاستظهار <sup>(60)</sup> .

واعتماداً على ما لاحظناه ، فيما تقدم من هذه الدراسة ، من تأثيرات إيجابية مبدعة للأندلسين في تونس في مختلف المجالات الثقافية والعلمية وغيرها ، فإنه لا يسعنا إلا أن ننوه بنظر أبي زكريا الحفصي الناقب وذكائه الحاد وصواب رؤيته المستقبلية لما افتتح من أول وهلة ، لما تولّى الحكم بإفريقية أن حاجة تونس وازدهارها ومستقبلها لا تتحقق كما يتصوره إلا بحلب أعلى الإطارات في مختلف الاختصاصات من بلاد الأندلس . لقد عاش أبو زكريا حضارة الأندلس وتقديرها وتفوق علومها وتقنياتها وتشبع من تمدنها . ولا شك أنه صُنع لما انتقل إلى تونس حيث وجد البوz شاسعاً جداً بين البلدين والهوة سحبة بين العدوتين . ولم يجد بدا من إغراء رجالات الأندلس المتميزين لجلبهم إلى تونس من أجل بعث ثورة علمية وثقافية في حاضرة دولته

(59) المصدر السابق ص 780 - 781 .

(60) المصدر السابق ص 109 .

الجديدة ، وقد أرادها أن تكون مثل مدينة إشبيلية وقرطبة وغرناطة من بلاد الأندلس في علومها وصناعاتها وهندسة بناها . وقد بلغت دولته العز والسؤدد في عهد خليفته المستنصر بالله، حيث صارت تونس كعبة العلماء والأدباء والمؤرخين والمدرسين .

يذكر ابن خلدون بلاط المستنصر بقوله : (وكان شأن هذا المستنصر في ملوك آل أبي حفص عظيماً وشهرته طائرة الذكر بما الفسح أمد سلطانه ... وما اجتمع بحضوره من أعلام الناس الواقدين على أبيه وخصوصاً الأندلس من شاعر مفلق وكاتب بلغ وعالم نحير ... متفيئين ظلّ ملكه متغرين في الباز به لطموس معالم الخلافة شرقاً وغرباً على عهده ، وخفوت صوت الملك إلا في إبراهيم)<sup>(61)</sup> .

#### 4 - ابن الأبار ومشاركته في نهضة تونس في القرن 13/7 :

في حضن إنجازات المهاجرين الأندلسيين في حاضرة الحفصيين في القرن 13/7 حلَّ أبو عبد الله ابن الأبار بإفريقية ليقيم في العاصمة كمواطنه الأندلسيين . وكانت له المشاركة الفعالة في العطاء علمًا وأدبًا ، وشعرًا وثقافة .

ألف ابن الأبار ما يزيد على الخمسة وأربعين كتاباً في فنون مختلفة . وليس ذلك بغرير ، فقد كان علامة (في الحديث ولسان العرب ، بلغافي الترسـل والشعر)<sup>(62)</sup> . ويصفه صاحب شجرة التور التركية بأنه (الإمام العافظ النظار ، الرواية المتبحر في العلوم ، العامل لواء المتشور والمستلزم)<sup>(63)</sup> . ويقول فيه أيضًا : (ومن اعتنانه بالرواية لا يكاد كتاب من الكتب الموضوعة في الإسلام إلا وله فيه رواية إما بعموم أو بخصوص)<sup>(64)</sup> .

بالنسبة إلى التاريخ ، كان عمدة فيما كتبه عن الأندلس والمغرب . وقد انتفع في تواريحة المتعلقة بإسبانيا بكتب المؤلفين السابقين . (وهو بالنسبة إلى تاريخ بنى هود في سرقسطة والمرابطين والموحدين مصدر في غاية الأهمية . وقد وصف لنا أحوال

(61) ابن خلدون : العبر . ج 6 . ص 675 .

(62) ابن خلدون : العبر ج 6 . ص 653 .

(63) محمد مخلف : شجرة التور ج 1 . ص 195 .

(64) نفس المصدر .

دولة الموحدين في أواخر أيامها ، وكذلك فتوح التماري في الأندلس وصف معاصر وشاهد عيان) <sup>(65)</sup> .

أما عبد الله الطباع فعند حديثه عن ابن الأبار باعتباره مؤرخا يبرز أهميته وتقوفه بقوله : (... وقد درست بعد ذلك قيمة ابن الأبار العلمية والتاريخية مبرهنًا أن مؤرخنا بالرغم من أن ابن خلدون لم يأت على ذكره بين كبار مؤرخى العرب ، فهو يستحق أن يحتل مكانة بينهم كمؤرخ الأندلس وإفريقيا الشمالية وأنه من حقه أن نذكر اسمه إلى جانب اسم ابن حيان ، أكبر مؤرخى الأندلس الإسلامية ... لقد أكدت في النهاية أن مؤرخنا ابن الأبار كان أول من خطط من بين المؤرخين العرب ، نحو نقد التاريخ ، هذه الشهرة التي اكتسبها فيما بعد ابن خلدون) <sup>(66)</sup> .

وفي الترجم كتب ابن الأبار عدة مؤلفات منها التكملة لكتاب الصلة لابن بشكوال ترجم فيها لأعيان أهل الأندلس وعلمائها وشعرائها . وله أيضًا كتاب الحلة السيراء في ترجم بعض أعيان الأندلس والمغرب منذ الفتح إلى عصره . وهو كتاب قيم جدًا بالنسبة إلى الترجم وتأريخ الطوائف وتاريخ الأندلس في القرن 6/12 .

ولهذا العالم مؤلفات أخرى <sup>(67)</sup> بدبيعة منها : معادن التجين في مراثي الحسين . يقول محلوف في شأنه : ( ولو لم يكن له من التأليف إلا هو لكتفاه على علو درجته في العلوم وسمو رتبته) <sup>(68)</sup> . وله كتاب آخر في منتخب الأشعار سمّاه : قطع الرياض ، وله كتاب : هداية المعرف في المختلف والمخالف ، وله المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي : وهو يشتمل على ثلاثة وخمسين ترجمة لطائفة من علماء الأندلس <sup>(69)</sup> ، وتحفة القادر ترجم فيها للشعراء بالأندلس ، ودرر السعوط في خبر السبط يتحدث فيه المؤلف عن آل البيت : وهو الكتاب الذي أظهر فيه مؤلفه تشبعه

(65) يوسف أشباح : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ترجمة محمد عبد الله عبان ، الطبعة 2 ، القاهرة ، 1958 ، ص 505 .

(66) عبد الله أنس الطباع : كتاب الحلة السيراء . ص 17 ، ص 153 .

(67) حسين موتيس : الحلة السيراء ص 46 - 54 ، وكذلك دائرة المعارف الإسلامية الجديدة .

. 66/3

(68) شجرة التورج 6 . ص 196 .

(69) نفس المصدر .

لعلى بن أبي طالب وهاجم فيه الأميين السنة بشدة<sup>(70)</sup> . ومن هذه المؤلفات أيضا كتاب : إعتاب الكتاب ، كتبه ابن الآبار لما أعني من منصبه وأبعد عن القصر وألزم بالإقامة العبرية في داره ، وهو كتاب تاريخي أيضا ترجم فيه المؤلف لكتاب تعرضوا لغضب الملوك والسلاميين والخلفاء ثم حلّت بهم نعمة الرضى فأعتبرهم ، وهو الكتاب الذي استشفع فيه مؤلفه بولي العهد الحفصي فقرر الأمير له وافق عثرته<sup>(71)</sup> .

وإذا نظرنا بدقة في كتب ابن الآبار التي وصلتنا وهي ستة ، والكتب التي خاعت وهي تسعة وثلاثون ، يمكننا أن نلاحظ أنها ركزت على أربعة محاور رئيسية هي الحديث والأدب والتاريخ والترجم . ويمكننا أن نلاحظ أيضا أن ميدان ابن الآبار الحقيقي كان التاريخ والترجم . وكتبه الثلاثة الباقية في هذا الفن تشهد بمقدراته وهي : الحلقة السيراء والتكميلة لكتاب الصلة ، والمعجم في أصحاب أبي علي الصدفي<sup>(72)</sup> .

إن ابن الآبار كان عالما مؤلفا ، ومدرسا قديرا ، وشاعرا عظيما . ولهذا السبب يمكننا أن نقرر أنه شارك مشاركة فعالة و مباشرة في التهضة التي ابنت في تونس منذ العقد الثالث من القرن 13/7 . فكتبه كانت متداولة بين الناس قبل مقتله وبعده . وشعره أيضا كان مرويا في كامل المغرب العربي وكذلك الأندلس . إن الأوصاف التي يبعث بها عالمنا في القسم الأول من هذا البحث لا تدع أي شك في مكانه . أضف إلى ذلك الدروس التي كان يلقاها أمام طلبه في بجاية ثم في تونس ، فقد سجلها هؤلاء الطلبة في مؤلفاتهم ورحلاتهم وخلدوها إلى اليوم . لقد كان ابن الآبار يدرس بجامع الزيتونة . وكانت كتبه من بعده تدرّس في الحوامم وحلقات العلم ، منها كما – يذكر العبدري – كتاب درر النسط في خبر أنسبيط<sup>(73)</sup> . ومن تلاميذ ابن الآبار سراء في بجاية أو في تونس ابن رشيد . وقد أتني هذا الطالب على أستاذة في رحلته ، وكذلك درس عليه أبو عبد الله الشجاني قريب صاحب الرحلة وأجازه أيضا<sup>(74)</sup> .

كان لابن الآبار تأثير ملموس في محبيه حيث كانت له ثقافة علمية باهرة ، عليها قامت شخصيته العلمية والأدبية الفذة . وقد طبع عصره بنشاطات علمية ومؤلفات قيمة

(70) دائرة المعارف الإسلامية الطبقية الجديدة : 3 / 66 .

(71) ابن خطدون : العبر . ج 6 . ص 654 .

(72) حسن مؤنس : الحلقة السيراء ص 48 – 57 .

(73) العبدري : الرحلة . ص 126 .

(74) شعرة الترجم 1 . ص 196 .

سواء في العلوم أو في الأدب أو في الشعر أو في التاريخ والترجم أو في غيرها . وامتازت كتبه بالدقة والإتقان بسبب ملكته التاريخية الواضحة . وهو (واحد من أعلام مؤرخي العلم في الأندلس ومرجع من المراجع التي لا يستغني عنها مؤرخ خلال القرنين السادس والسابع الهجريين خاصة) <sup>(75)</sup> .

لقد كان ابن الأبار (مؤرخا فحلا واسع الاطلاع نافذ النظر صادق الحكم ، ومادة الترجم لديه متعادلة من حيث القيمة والغزارة والأصالة ، غنية بكل ما ينفع المؤرخ) <sup>(76)</sup> . وبضيف حسين مؤنس بعد هذا الحكم قوله : (ولا أذكر أنتي قرأت لغير ابن الأبار في الأندلس شيئا يدل على سعة العلم على هذه الصورة . فهو متمكن غزير المادة سواء أكتب عن خلفاءبني العباس أو خلفاء الفاطميين أو أمراء الأندلس وخلفائها أم أمراء الطوائف ومن عاصرهم . وهو ليس غزير المادة فحسب ، بل ناقدا لا يمْرُّ بخطاً في تاريخ أو اسم إلا استدرك عليه . وتبعدو منه بدوات هنا وهناك تدل على أنه بالفعل من أعلم الناس بتاريخ المسلمين السياسي والعلمي والأدبي) <sup>(77)</sup> .

أما تأثيره في المجال الشعري في تونس فإنه متأكد وقصيدته السينية التي ألقاها بين يدي أبي زكرياء الحفصي كانت ذاتها الصبيت في تونس وفي معظم العالم الإسلامي

وبكفي أن نشير هنا إلى تأثيرات ابن الأبار في الشعر بمثال واحد أورده محمد مخلوف ذكر فيه أن قصيدة ابن الأبار السينية المشهورة كانت محل نقاش وتحليل ونقد من طرف الأدباء والنقاد ، وعارضها بعض الشعراء . ودافع عنها أبو إسحاق التتحاني بكتاب ألفه خصيصا لهذا الغرض وهو كتاب مؤازرة المؤاذن ومبازرة الناقد في الانتصار لابن الأبار <sup>(78)</sup> . وبصفة عامة يعتبر ابن الأبار (أكبر مصنف لمعاجم الرجال أنتجته الأندلس) <sup>(79)</sup> .

(75) حسين مؤنس : الحلقة المسيرة ص 51 .

(76) المصدر السابق ص 53 .

(77) المصدر السابق ص 53 .

(78) شجرة التورج 1 ص 195 .

(79) حسين مؤنس : الحلقة المسيرة . ص 53 .

وما لا شك فيه أن هذه القيمة العلمية التي يمتلك بها في نظر العلماء والطلبة في السابق ، والمستشرقين وغيرهم اليوم كانت نتيجة لخبرته ونتاجه المفكري ، فقد كان يمتاز بملكة نقدية صحيحة قوية ، إلى جانب عاطفة جياشة تذكرنا بفحول الشعراء العرب القدامى ، وأسلوبهم في الحياة والإحساس وهو شيء نادر بين معاصريه...<sup>(80)</sup>

عاش ابن الأثير ثلاثة وستين سنة مجردة : الشان وأربعون منها في الأندلس والباقي في تونس ولم يسعد لا في هذه ولا في تلك ، كما يقول حسين مؤنس (... فاما في الأندلس فقد عاش مرؤع السرب بحروم فوقه شبح الموت في كل حين ... ثم فقد وضه وخرج بما حملت يدها إلى المغرب (تونس) حيث تلقفه الأعداء وأعانهم على نفسه بسوء خلقه وتطليعه إلى الوظائف والجاه . فلم يسعد في وطنه الجديد ولا هذا بالله راتبه أمره إلى هذه النهاية الفاجعة)<sup>(81)</sup>.



### من الطريق في دنيا القليب، كتاب :

عبد العزيز العروي : شاهد عصره : للأستاذ محمد التركى (بالفرنسية). نشر دار التركى للنشر) جمع فيه المؤلف — الذي تعرف على العروى عن كتب — وثائق عديدة من تونس وفرنسا أهتمها مقالاته الصحفية وأسماره الإذاعية، إضافة إلى أقوال من عمل معه في الحقل الإذاعي ومن عاشره من أفراد أسرته وأصدقائه. فجاء الكتاب مرآة تعكس حياة المترجم له منذ صباه إلى حين وفاته بنفس الدقة التي كان هو يصور بها المجتمع التونسي بكل شرائعه في الثلاثينيات وما بعدها.

(80) الصناع : كتاب الحلقة المسناء ص 112 .

(81) المصدر السابق ص 46 .

# الدار التونسية للنشر

من أعرق دور النشر وأهمها على مستوى المغرب العربي أنشئت في 3 جوان 1966.

مقرّها : 36 نهج باب الخضراء . تونس — الهاتف : 344.565 — الحساب الجاري البريدي : 77229 ، الدفتر التجاري : 33510 .  
من أهدافها الأساسية : نشر التراث الوطني والقومي ، والاتجاح، الفكري والأدبي تشجيعا للطاقات المبدعة الجديدة.

أصدرت أكثر من 700 عنوان في ميادين شتى :

## I — التراث الأندلسي :

- 1 — ديوان المعتمد بن عباد : جمع وتحقيق. د. رضا السوسي .
- 2 — خربدة القصر وجريدة العصر لأبي عبد الله الإصفهاني . تحقيق آذرنوش آذرنوش . تنقيح وإضافات للأستاذة : محمد المرزوقي ، ومحمد العروسي المطوري ، والجيلاوي بن الحاج يحيى (جزء I ، II : شعراء المغرب والأندلس) .
- 3 — قرطبة الإسلامية : د. محمد عبد الوهاب غلاف .
- 4 — ابن سيدة المرسي : حباته وأكاره . د. كابانيلاس ، تعریف : د. حسن الوراکلی .
- 5 — الرحلة الأندلسية : علي بن صالح الورداي . تحقيق : الأستاذ عبد الجبار الشريف .

## مركز توثيق وتأريخ الأندلس

### II — الموسوعات :

- 1 — تفسير التحرير والتثوير للشيخ العلامة محمد الطاهر بن عاشور (30 جزءا في 15 مجلدا) .
- 2 — ترجمة معاني القرآن الكريم في جزءين : الأستاذ الصادق مازيع .
- 3 — الأعمال الكاملة لأبي القاسم الشافعي (أغاني الحياة ، الخيال الشعري عند العرب ، مذكرات الشافعي ، رسائل الشافعي) ، (مجلدان) .
- 4 — المقدمة لابن حليدون : تقديم د. جمعة شيخة (في جزءين) .
- 5 — إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان لأحمد بن أبي الضياف (8 أجزاء) .

III — السلسل : كما تقوم الدار بنشر سلسل من الكتب : كسلسلة الكتب شبه المدرسة باللغة الفرنسية، وسلسلة المكتبة الفلسفية وسلسلة علامات، وسلسلة الكتاب الجامعي، وسلسلة علم الاجتماع العربي، وسلسلة إبداعات.

## القيمة الوثائقية لـ ديوان ابن الأبار<sup>(١)</sup>

yclism : د. جمعة شيخة  
كلية الآداب - مترية - تونس

تقديم الديوان .

رغم ما تعرض له التراث الأندلسي من معن و كوارث أدت إلى إتلاف جزء كبير منه ، فإنَّ الدارسين لم يألوا جهداً في البحث عما يبقى منه ، سواء في المكتبات العامة أو الخاصة ، لتحقيقه ونشره في مرحلة أولى ، و درسه وتقسيمه في مرحلة ثانية .

وهذا المعهد لا شك أنَّ نقاد الأدب عامة ، والشعر منه بصفة خاصة ، في حاجة أكيدة إليه ، لأنَّه لا يمكن لهم إبداء أي حكم يقسم بالذقة والشمول معاً إلا إذا توفرت لديهم التصور ، وهي دواوين الشعراء .

ولقد توفر للمهتمين بالشعر الأندلسي بعض هذه الدواوين . فمنذ سنوات تم تحقيق مجموعة لا يأس بها نذكر منها :

— ديوان يحيى بن حكم الغزال ت 864/250 (تحقيق محمد رضوان الذهبي ط 1 دمشق 1982) .

— ديوان ابن دراج القسطلاني ت 1029/421 (تحقيق د. محمود علي مكي ط 2 بيروت 1389) .

— ديوان ابن شهيد ت 1035/426 (تحقيق شارل بلا بيروت 1963) .

(١) طبع بتونس 1985 بالدار التونسية للنشر . تحقيق الأستاذ عبد السلام الهراس في صفحة 496

- ديوان أبي إسحاق الإليري ت 1067/460 (تحقيق محمد رضوان الداية ط بيروت 1976).
- ديوان المعتضد بن عباد ت 1069/461 (تحقيق رضا السوسي . فصل من مجلة التربية بطرابلس).
- ديوان ابن زيدون ت 1071/463 (تحقيق محمد سيد كيلاني، ط 3 مصر 1965).
- ديوان المعتمد ت 1095/488 (تحقيق د. رضا السوسي ط تونس 1975).
- ديوان ابن البانة ت 1013/507 (تحقيق محمد مجيد السعيد. ط البصرة 1977) : جمع لشعره .
- ديوان الأعمى التطيلي ت 1130/525 (تحقيق إحسان عباس ، ط البصرة 1977).
- ديوان ابن الزفاف ت 1135/529 (تحقيق عفيفة محمد ديراني ، ط بيروت).
- ديوان ابن خفاجة ت 1139/533 (ط بيروت 1961).
- ديوان ابن قرمان ت 1160/555 (تحقيق ف. كورينطي ، ط مدريد 1980).
- ديوان الرصافي اللبناني ت 1176/572 (تحقيق إحسان عباس ، ط 2 بيروت 1983).
- ديوان ابن سهل الإسرائيلي ت 1251/649 (تحقيق محمد قوبعة . ط تونس 1985).
- ديوان حازم القرطاجي ت 1285/684 (تحقيق عثمان الكعاك ط بيروت 1964).
- ديوان ابن العجائب ت 1347/749 (تحقيق السيدة خبوس رويرا . ط غرناطة 1982).
- ديوان ابن خاتمة ت 1368/770 (تحقيق محمد رضوان الداية ، ط دمشق 1972).
- ديوان ابن الخطيب ت 1375/776 (تحقيق محمد الشريف قاهر . ط الجزائر 1973).
- ديوان يوسف الثالث ت 1417/820 (تحقيق عبد الله كتون ، ط القاهرة 1965).
- ديوان ابن فركون ق 9/15 (تحقيق محمد ابن شريفة ط المغرب 1987)<sup>(2)</sup>.

(2) وظهر ونحن بقصد القيام بهذا البحث ديوان عبد الكريم القبيسي الأندلسي ق 9/15 . (تحقيق جمعية شيخة ومحمد الهايدي الطرابلسي ط . تونس 1988).

وأضاف إلى هذه المجموعة القيمة من الأعمال خلال سنة 1985 ثلاثة دواوين : إثناي عشر تحقيقهما وهما ديوان ابن سهل وديوان المعتمد (وفيه قسم مخصص لشعر أبيه المعتمد بن عباد) . والثالث ديوان حقق لأول مرة وقام بتحقيقه الدكتور عبد السلام الهراس أستاذ الأدب الأندلسي بكلية الآداب جامعة الملك سيدى محمد بن عبد الله — فاس — المغرب : وهو ديوان ابن الأبار .

ولا شك أن الأستاذ الهراس بعمله هذا — وقد انتظرناه طويلاً — سد نغرة لا يستهان بها في تاريخ الشعر الأندلسي . فصاحب الديوان هو إحدى الشخصيات المرمومة خلال القرن 7/13 على المستويين السياسي والأدبي : مارس السياسة في أحلك فترة من فترات تاريخ شرق الأندلس، كما مارسها في أصعب بلاط وأنحصاره بإفريقية . وخرج من المرحلة الأولى وقد سلب وطنه ، وأخرج من الثانية وقد أزهقت روحه<sup>(3)</sup> . أما من الناحية الفكرية والأدبية ، فقد وصلنا من آثار ابن الأبار — رغم أن جل مؤلفاته أحرقت معه عند مقتله — ما يدل على أنها أمام رجل قادر ذي ثقافة موسوعية ، طرق مجالات من المعرفة شتى فلم يخفق له قلم ، وكتب في مواضيع متعددة فلم يكتب له جواد . ولم يمنعه نشاطه السياسي المتنوع ، ولا شواغله الفكرية المتعددة من أن يكون أحد كبار شعراء المغرب والأندلس في القرن 7/13 . ولعل ديوانه هذا الذي أصبح في متناول الأيدي خير دليل على ذلك .

جاء هذا الدبران في 496 صفحة متشعبة على النحو التالي :

1 — المقدمة ( ص ص 30-5 ) أشار فيها الأستاذ الهرام أن تحقيقه لديوان ابن الأبار يمثل القسم الثاني من رسالة جامعية تقدم بها لنيل شهادة الدكتوراه الترولية من كلية الفلسفة والآداب بجامعة مدريد سنة 1966 . أما القسم الأول من بحثه — ولم ينشر إلى حد علمنا — فهو المتعلق بدراسة الديوان وحياة صاحبه وشاعريته . وبما أن المحقق درس حياة الشاعر وشعره في هذا القسم الأول من الأطروحة ، فلم يرد تكراره في هذه المقدمة ، واقتصر على التعريف بابن الأبار تعريفاً موجزاً . كما قام بتقديم النسخة الوحيدة التي اعتمدتها في التحقيق والمحفوظة في الخزانة الملكية بالمغرب تحت رقم 4602 .

2 — النص المحقق ( ص ص 33 — 469) ويشتمل على :

— محتوى النسخة السابقة . وجاءت القصائد فيها مرتبة على الحروف

(3) قتل ابن الأجير بتونس يوم الثلاثاء 20 محرّم 658 الميلادي / 6/1/1260

الهجائية حسب الترتيب المغربي الأندلسي<sup>(4)</sup> باستثناء الحروف الأربع التالية : خ - ز - ط - ظ .

ب - ملحق 1 : وفيه ما جمعه المحقق من شعر ابن الأبار في مصادر مختلفة مطبوعة ومحفوظة، ولم يرد ذكره في الديوان .

ج - ملحق 2 : وفيه قصيدةان وجدهما المحقق في ورقتين ملصقتين بالديوان ورجح أنهما لابن الأبار .

3 - فهارس (ص ص 473 - 496) للقوافي ، والقصائد حسب الأغراض ، والقصائد حسب البحور .

ونحن نشاهد الدكتور الهراس في (أن الإقدام على التحقيق على نسخة واحدة معamura محفوفة بالمخاطر والمزاليق خصوصا وهي حافلة بالتصحيف والحروم)<sup>(5)</sup> . ولكن نعتقد أن المحقق خرج موقفا من هذه المغامرة . فقد قدم لدارسي الأدب الأندلسي تصا سليما في جملته ، فيه من التعالقات اللغوية والتاريخية ما يجعل قراءته مفيدة ، ولم لا ممتعة؟ .

لكن كل هذا لا يمنع من أن نيدي بعض العلامات عنت لنا بعد اطلاعنا على هذا العمل الجيد : يبدو أن الأستاذ الهراس كتب مقدمة الديوان منذ سنة 1969 ، ولم ير موجبا للرجوع إليها عند طبعه . وهذا ما جعلنا نجد في هذه المقدمة أشياء تجاوزتها الأحداث كما يقال ، فبعض الكتب التي ذكرها المحقق مخطوطة قد حقق وطبع كمرحلة ابن رشيد (تحقيق الأستاذ محمد الحبيب بلخوجة) ، والذيل والتكميلة (تحقيق الأستاذ محمد ابن شريفة) . والإحاطة (تحقيق الدكتور عبد الله عنان) . وسئل المقال (تحقيق الأستاذ عبد الواحد الزغلامي)<sup>(6)</sup> .

ويبدو كذلك أن المحقق كتب المقدمة بسرعة مما جعله يرجع بعض الآراء بطريقة غير منهجية ففي ص 23 يقول : (إن نسخ هذا الديوان وقع حوالي سقوط الأندلس) .

(4) الترتيب الهجائي المغربي والأندلسي هو كالتالي : أ - ب - ت - ث - ج - ح - خ - د - ذ - ر - ز - ط - ك - ل - م - ن - ص - ض - ع - غ - ف - ف - س - ش - ه - و - ي .

(5) الديوان ص 24 .

(6) قد يكون الأستاذ الهراس استعمل هذه المصادر مخطوطة سنة 1969 . لكن بما أنها في سنة 1985 يجب مراجعة ما قلناه في سنة 1969 وخاصة بمناسبة طبع الآخر المحقق .

لكن ما هو الدليل على ذلك؟ وفي ص 13 نجد (وامتدت به (ابن الأبار) الإقامة في بجاية بالتحقيق (يقصد بالضبط) سبع سنوات من سنة 650 – 657، وإن كنا نظن أنها أكثر قليل) لكن ما هي الحجة في هذا الترجيح؟ إن البحث العلمي لا يمكن أن يطمئن إلى الحدس والتخمين ولا يقوم إلا على الحجّة والدليل. ومن نتائج هذا السرّع :

— إبراد المحقق بعض أسماء المؤلفين دون ذكر عناوين كتبهم . ففي ص 29 يذكر من بين عناوين الكتب : (عبد المجيد) والحقيقة أنّ هذا هو اسم المؤلف وعنوان كتابه الذي لم يذكر هو (ابن الأبار) . والعكس يذكر اسم الكتاب دون ذكر لصاحبه فمن هو مؤلف كتاب (قبائل العرب) المذكور في ص 35 تعليق 29؟ ومن هو مؤلف (هة الأيام في أخبار أبي تمام) ص 43 تعليق 34؟ وقد يذكر المصدر لكن بدون ذكر للصفحة (انظر ص 418 تعليق 5) .

— ذكره بعض المعلومات هي في حاجة إلى مزيد التدقيق . فأبو الحسين (وتارة أبو الحسن) عيسى ابن لب ... ابن دسم هو زوج ابنة (ابن الأبار) ص 15 . وتارة هو زوج ابنته أو ابنته ص 16 . فإن كانت المصادر هي التي اختلفت في ذلك فما على الباحث إلا أن يشير إلى هذا الاختلاف . كما أنّ ما ذكره في التعليق 7 ص 418 من احتمال ، هو بعيد جدًا عن روح القصيدة ، فلو دفع المحقق لرأى أن كلمة (مصرية) لا يمكن أن تعارضها كلمة (مغربية) أو (حضرية) .

— عدم ضبطه لمصادره بالطريقة المنهجية المتمثلة في ذكر المؤلف والمحقق ومكان الطبع وزمانه (انظر كيف جاءت قائمة المصادر في ص 29) .

— إهماله لترقيم أبيات الفصائد ، ولعل هذا الإهمال جرّه إلى إهمال أكبر هو عدم وضعه لفهرس الأماكن والأعلام<sup>(7)</sup> . والأستاذ الهراس لش لم يقم بالترقيم والفهرسة للأعلام والأماكن ، فقد حاول أن يشير في تعليق له ، رمز لها بشكل نجمة ، إلى الظروف التي حفت بقول القصيدة أو المناسبة التي قيلت فيها . لكن يجب أن تكون هذه التعليقات دقيقة و كاملة . فعلى سبيل المثال نجد في ص 55 ابن زيد . من هو

(7) قد يرى بعضهم أن فهرس الأعلام والأماكن في ديوان شعر عديم الجدرى . وهذا خطأ محض لأن الأحداث التاريخية والمظاهر الحضارية توجد مبشرة خلال الأبيات مما يجعل ترقيمها ووضع فهرس من هذا النوع محتما .

أين زيد هذا؟ يكتفي المحقق بإرجاعنا إلى المصادر لمعرفته وهذا غير عملي بالقصيدة إلى القارئ . وابن زيد هذا (خطأً مطبعي) هو أبو زيد عبد الرحمن الموحدى حاكم بلنسية أطروه منها أبو جميل زيان ابن أبي الحملات في صفر 626/جانفي 1229 . فلجاً إلى أرماغون وتمسح . وكان ابن الأبار قد خرج معه ثم رجع<sup>(8)</sup> وفي ص 197 تعليق 27 و 29 وفي ص 427 تعليق 21 نجد : ابن إسحاق : هو ابن غانية . لكن من هو منها على أو يحيى؟ أو من بقي من إخوتهما في الجزائر الشرقية؟ المقصود بطبيعة الحال في القصيدة هو يحيى بن غانية الذي بقي بعد مقتل أخيه علي ثائراً صاماً في وجه الدولة الموحدية ثم الحفصية حوالي نصف قرن . وفي ص 80 نجد المحقق يعلق على القصيدة 25 بقوله : (أنشأها بمناسبة بيعة بعض مدن الأندلس والمغرب لأبي زكريا الحفصي ، وذلك حوالي 641 هـ/1243 لأن إشبيلية (حمس) بايعت هذه السنة) . وهذا تعليق مقتضب وغير دقيق . فال الأولى أن نذكر هذه المدن — خاصة وقد عدّها الشاعر في القصيدة — بأسمائها ، ونعرف بالظروف التي كانت تمر بها كل واحدة منها حتى رأت من الضروري التدخل في طاعة الحفصيين ولو اسمياً . وفي ص 417 يقول المحقق في تعليقه على القصيدة 201 : أنشأها (بسعد أبي زكريا وولي عهده ولعله أبو يحيى في طالع سنة جديدة ولعلها سنة 640 هـ/1242 أو 641 هـ/1243) والبحث المنهجي لا يمكن أن يقبل مثل هذه التعاليل التقريبية غير الدقيقة .

والأستاذ الهراس لمن اعتمد على نسخة واحدة وفي ذلك ما فيه من المشقة والجهد ، فإنَّ كثيراً من شعر ابن الأبار مجده مثوثاً في عدة مصادر مطبوعة . وهذا من شأنه أن يسهل نسبياً على الباحث استخراج نصٍ مفروعٍ وهنا كان من المستحسن أن يقوم المحقق بعملية تحرير للأبيات — وذلك بالمقارنة بين المصادر — في بدلة تعليقه على كل قصيدة حتى يتمكن النّارسون من معرفة ما أضافه الذّي وان من جديد<sup>(9)</sup> .

والأستاذ الهراس قام بشرح الكلمات الصعبة ، لكنه أغفل كثيراً منها ، بعضها يدو أصعب مما شرح . ففي ص 137 قصيدة 59 بيت 4 يشرح كلمة رداخ ويترك كلمة

(8) ذكر المحقق هذا في المقدمة عند ترجمته لا بن الأبار . لكن يجب ذكره هنا في هذا المكان المناسب لإعانة القارئ على فهم القصيدة .

(9) قام المحقق بالإشارة إلى ذلك داخل القصيدة ، ولكنه كان بذلك فقط المصادر دون مقارنة بينها ودون تحديد للأبيات كقوله ص 59 في تعليقه على القصيدة 13 (وردت بعض الأبيات في المغرب 312/2 . والقدر 192 وهي الراءات 82) .

رأد . وفي ص 141 بيت 1 لا يشرح الكلمة حدثان وبيت 7 الكلمة إهطاع إلخ ...  
بل إنَّ أبياتاً كثيرة في حاجة إلى التعليق لعسرها على الفهم . ومن أولى شرحها من  
المحقق ؟

وقام المحقق بشكل الشعر ، وأغفل شكل بعض الكلمات نرى أنَّ شكلها واجب  
نظراً إلى أنَّ الصعوبة تكمن فيها . وقد نجد بعض الهنات في الشكل . ففي ص 133 ،  
قصيدة 58 ، البيت 10 نرى أنَّ كلمتى (وجданها المنشود) يجب أن تقرأ منصوبة  
لا مرفوعة لأنَّها مفعول به لأسمعت . وفي ص 421 ، البيت 6 يجب أن تقرأ يزخر  
فتح العين لا بضمها . وفي ص 417 البيت 3 : الظلال هي التي تلاعب المياه .  
لذلك نرى أنَّ يُقرأ الصدر هكذا : (إذا لاعبت المياه ظلامه) .

وفي ص 137 قصيدة 59 . بيت 5 يجب أن تكتب هكذا :  
**وَنَقْطَعَتْ مَا يَتَنَاهَا الْأَسْيَابُ قَالَ أَقْلَامُ حَسْرَسْ وَالرِّبَاعُ زَوَاجُ**  
حتى يستقيم الوزن في الصدر والعجز<sup>(10)</sup> . وفي ص 141 ، البيت 7 يجب أن  
تعرض البهزة القطعية في (المغربية) بهمزة وصلية للوزن كذلك .

لكنَّ كلَّ هذه الملاحظات الجزئية لا يمكن بحال أن تنقص من قيمة عمل الذكر  
الهرّاس<sup>(11)</sup> فيخبرته العميقه بمناهج التحقيق ومعرفه الشاملة بعصر الشاعر ، وضع بين  
أيدينا ديواناً على غاية كبيرة من الأهمية . فهو زيادة على أنه يكشف عن بعض جوانب  
من حياة الشاعر الشخصية ويدققها ، يعطينا صورة عن القرن السابع الخطر والخطير  
في نفس الوقت : فيه انقضىت عُرُى الوحدة التي أقامها بنو عبد المؤمن ، وفيه انتقال  
— ولو إلى حين — من مركز القتل السياسي من المغرب الأقصى إلى إفريقيا . وديوان  
ابن الأبار يعكس بصورة واضحة الدور الذي لعبه هذا المركز الجديد في محاولة منه  
لاستقطاب كامل القوى السياسية على الساحة المغربية والأندلسية وصهرها في بوتقة  
الدولة الحفصية بتونس . فكيف بما كلَّ ذلك من خلال هذا الأثر الشعري ؟

إنَّ الناظر في ديوان ابن الأبار يمكن أن يتظر فيه من زاويتين : فإنَّ كان نادراً أو  
أسلوبياً كانت غايتها منه القيمة الجمالية فيه ، وإنَّ كان مؤرخاً للأدب أو دارساً للتفكير  
فيه كان هدفه منه القيمة الوثائقية .

(10) جاء البيت في الديوان هكذا :

**وَنَقْطَعَتْ مَا يَتَنَاهَا الْأَسْيَابُ قَالَ أَقْلَامُ حَسْرَسْ وَالرِّبَاعُ زَوَاجُ**

(11) ذكر المحقق بتواضعه المعهود منه أنَّ صعوبات كثيرة اعترضته وأنَّ (هناك مشاكل لا يمكن  
حلها إلا بالثور على نسخة أخرى من الديوان) ص 27 .

ولقد نظرنا في ديوان ابن الأبار من الزاوية الثانية أي بحثاً عن قيمته الوثائقية ، فبذا لنا أن ديوانه — كحياته — يمكن أن نلاحظ فيه قسمين أو مرحلتين :

1 — المرحلة الأولى : تمثل الفترة التي قضتها الشاعر في شرق الأندلس من مولده سنة 595 هـ/1198 م إلى انتقاله إلى العدوة الإفريقية سنة 636 هـ/1238 م .

2 — المرحلة الثانية تمثل الفترة التي قضتها في إفريقيا وتمتد من هجرته إلى بجاية سنة 636 هـ/1238 م إلى مقتله سنة 658 هـ/1260 م .

وفي كلتا المرحلتين عاش ابن الأبار أحدهما جساماً تركت بصمات واضحة في شعره . وقد حاولنا أن نتبع هذه الأحداث من خلال ما نظمه ابن الأبار من شعر ، فكان ما وصلنا إليه تارة مدعماً لما جاء في المصادر التاريخية واضحاً ، وحياناً مدققاً لما جاء بها عاماً وطوراً ثالثاً مضيفاً أشياء قد لا يهمّ بها المؤرخون عادة في القرون الوسطى ولكنها بالنسبة إلينا اليوم على جانب كبير من الجدوى . وسنبدأ بالمرحلة الأولى أي الفترة الأندلسية من حياة ابن الأبار وننتهي بالمرحلة الثانية أي الفترة الإفريقية منها .

## العدوة الأندلسية في ديوان ابن الأبار



### 1 — فتحة بيران (12)

قام بها أهل هذه القلعة فتحة بيران وهي بزيد عبد الرحمن بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن والتي بلتبية . ولكن سرعان ما أذاعت هذه القلعة لابنه أبي يحيى وأعلنت طاعتها سنة 622/1225 . وذكر ابن الأبار في قصيدة مدح فيه أبي زيد ما كان يتضرر القلعة من تدمير وتخريب لو أصرت على المقاومة . وهو في مدحه لا يخفى اتهامه بهذه التبيحة التي أدت إلى فوز الأمير بطاقة القلعة ونبيل القلعة عفو الأمير . [البسيط] (13).

- 1 — لَلَّهُ فَلْقَةُ بِرَانٍ وَعَزَّتْهَا عَلَى الْأَعْاصِرِ
- 2 — عَنَتْ وَدَائِتْ عَلَى حُكْمِ الْمُنْتَقِي فَرَقَا مِنْ سَيِّدِ قَدْمَوْتِ مِنْ أَرْفَعِ السُّورِ

(12) حصن من أعمال دائمة (ابن سعيد : المغرب 2/419).

(13) د/ص 442 (د = ديوان ابن الأبار) .

- 3 - وَأَذْغَتْ وَهِيَ الشُّرَكَاءُ ذُرَوْنَهَا  
 4 - وَلَسْرُ أَصْرَثْ غَلَى الْإِغْرَاضِ ثَانِيَةً  
 5 - مَدْتُ إِلَيْكَ أُمَّا زَنْبِ بِطَاغِتَهَا  
 6 - وَأَكْدَثْ فِي الرُّضَى وَالصُّفَحِ رَغْبَتَهَا  
 7 - فَجَدْتُ حُوذَكَ بِالْعَنْسِي بِسَا سَالَتْ

## 2 - معركة أنيشة :

وقعت هذه المعركة يوم الخميس 20 من ذي الحجة 634/14 أوت 1237 بين جيش بلنسية بقيادة الأمير زياد بن مردانيش وجيش أراغون في محاولة من المسلمين الاستيلاء على حصن أنيشة الذي اتخذته التصارى قاعدة للانطلاق والإغارة على تواحي إقليم بلنسية . وانتهت المعركة بهزيمة فادحة للمسلمين وكانت بمثابة انهيار الجدار الأندلسي بعد انهيار الجدار الموحدى في معركة العقارب . واهتم ابن الأبار بهذه المعركة من خلال رثائه<sup>(14)</sup> لشيخ أبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي ، وقد سقط صريعاً على أرض الميدان . وفي الديوان نجد تحديداً للمعركة من حيث المكان والزمان . قال ابن الأبار [طويل]<sup>(15)</sup> .

- 25 - سَقَى اللَّهُ أَشْلَاءَ يَسْفَعَ أَنِيشَةَ سَوَابِسَعَ تَرْجِيَهَا تَفَالَ الْعَمَائِسَ  
 24 - أَضَاعُهُمْ يَوْمَ الْحَمِيسِ حِفَاظُهُمْ وَكَوْهُمْ فِي السَّازِقِ الْمُتَلَاجِمِ
- وقال الشاعر يصف قتل المسلمين في هذه المعركة ، وفي وصفه لهم إكبار وإجلال يخفي في نهاية كثيراً من الحرمة والألم : [طويل]<sup>(16)</sup> بـ

- 1 - إِلَمَا بِأَشْلَاءِ الْعَلَى وَالْمُكَارِمِ تَفَدُّ بِأَطْسَرِافِ الْفَنَسَا وَالصُّورَامِ  
 2 - وَعُوجَاجَ عَلَيْهَا مَارِبَا وَمَفَازَةً مَصَارِعُ غُصْنَتِ الْعَلَى وَالْجَمَاجِمِ  
 3 - تَحْمِي وَجْهُهَا فِي الْجَنَانِ وَجِيهَةً بِـمَا لَقِيتُ حُنْرَا وَجُرْوَةَ الْمُلَاجِمِ  
 4 - وَأَجْسَادَ إِيمَانِ كَسَافَا لَجِيَهَا مَجَاسِدَ مِنْ تَسْعِ الظُّبَى وَاللَّهَادِمِ  
 17 - تَلْعَلَّ يَقِهَا كُلُّ أَنْتَرَ ذَابِلٍ وَجَذَلٌ مِنْهَا كُلُّ أَنْيَضَ نَاعِمٌ

(14) خصص لرثائه قصيدة بـ 101 بيت .

(15) د/ص 277 .

(16) د/ص 275 - 276 - 277 .

- 21- فَعَامِلُ رُمْحٍ دُقٌّ فِي صَدِيرٍ عَامِلٍ وَفَائِسٌ سَبِيفٌ قَرْبِي رَأْسٌ فَائِسٌ
- 22- وَبِإِرْبٍ صَوَامِ الْهَوَاجِرِ فَاصِيلٌ هُنَالِكَ مَصْرُومُ الْخَيْرَةِ بِصَارِمٍ  
وَهُؤُلَاءِ الْقَتْلَى ، لَئِنْ فَرَقْتَ السَّنَ بَيْنَهُمْ ، فَقَدْ جَمَعْتَهُمْ بِذَلِكَ النَّفْسِ جَهَادًا  
وَاحْسَابًا ، قَالَ الشَّاعِرُ [الْطَّوَيْل] <sup>(17)</sup> :
- 20- أَصْبَيْوَا ، وَكَانُوا فِي الْعِبَادَةِ أَسْتَوَةَ شَبَابًا وَشَيْئًا بِالْقَوَاشِيِّ الْفَرَاثِيمِ  
وَالْعَزَاءِ الْوَحِيدِ الَّذِي قَدْ يَهُونَ مَا فِي نُفُوسِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ وَجْدٍ عَلَى إِخْوَتِهِمْ ، هُوَ  
مَا يَتَنَظَّرُ هُؤُلَاءِ الشَّهِداءِ مِنْ جَزَاءٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ <sup>(18)</sup> .
- 7- تَساقُوا كَثُورًا سَمُوتٍ فِي حَوْمَةِ الْوَغْنِيِّ فَمَالَتْ بِهِمْ تِيلَ الْعَصُونِ التَّوَاعِسِ  
6- هُمُ الْقَوْمُ رَاحُوا بِالشَّهَادَةِ وَأَغْتَلُوا وَمَا لَهُمْ فِي فَوْزٍ مِنْ مُقَاوِمٍ

### 3 - اللجوء إلى النصارى :

لما فرّ العاًمون الموحدي الانتقال من إشبيلية إلى مراكش سنة 626/1229 م، انحصر الصراع في الأندلس في مرحلة أولى بين ابن هود من جهة وولاة الموحدين من جهة أخرى. وزادت الأمور تعقيداً عندما نجم ثائر آخر من سرقسطة الأندلس وهو أبو جميل زيان بن أبي الحملات بن مرديش، وقام بطرده إلى بلنسية من الموحدين وهو أبو زيد فاضطرّ هذا الأخير، وقد انهارت السلطة الموحدية أو كادت بالأندلس، إلى الانتحاك بالنصارى وكان معه كاتبه ابن الأياز. ويبدو أنّ هذا الوالي وحاشيته لم يتمكّنا، وقد أجبروا على الخروج من ديارهم، أن يصطحبوا معهم كلّ أهلهم وذويهم. فكان ذلك ممّا زاد في ألم المعنة ووطأة الغربة. قال الشاعر [البسيط] <sup>(19)</sup> :

- 1- الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا أَهْلَ لَا وَلَدٌ لَا فَرَازٌ وَلَا صَبَرٌ لَا جَلَسٌ  
2- سَكَانُ الرَّمَانِ لَنَا سَلَمًا إِلَى أَمْبَدٍ فَعَادَ خَرْبًا لَنَا لَمَّا اتَّقْضَى الْأَمْدُ

(17) د/ص 277.

(18) د/ص 276.

(19) د/ص 178.

وما إن وصل ابن الأبار إلى مملكة أراغون مع سبده حتى ندم ، وبدأ حينه إلى الأهل والوطن يُنفَضَّ عليه حياته في بلاد النصارى قال [الوافر]<sup>(20)</sup> :

١- إِلَى الْأَفْئِنِ مِنْ أَفْلِيلِ وَدَارِ تَأْوِيْسِي اشْتِيَاقِي وَادْكَارِي  
٢- وَخَنَّ الْقَسْلَبُ أَغْشَارًا إِلَيْهَا حَيْنَ الْوَالِهَاتِ مِنْ الْعِشَارِ

وقوي هذا الحين في نفس الشاعر واشتدا ، وبات ابن الأبار يشعر بغبة جسدية وهو بعيد عن الوطن والأهل ، وروحية وهو المسلم بين النصارى ، حتى أن إقامته في تلك الرسوع أصبحت بمثابة الأسر والسجن له . قال [الكامل]<sup>(21)</sup> :

١- غَلَبَتْ عَلَيُّ لِيُغَدِّكُمْ أَشْجَارِي وَجَفَّا الْكَرَرِي مِنْ بُعْدِكُمْ أَجْفَارِي  
٥- أَسْرَ وَقَسْرَ لَأَقْرَازَ عَلَيْهِمَا وَتَغَرَّبَ غَنْ أَسْرَرِي وَمَكَانِي  
٤- لَرَأَنْ تَهْلَكَ أَتَحْمُلْ بَعْضَ مَا حَمَلَكَهُ خَسَرَتْ ذَرَى تَهْلَكَ

ولما قرر ابن الأبار مغادرة مملكة أراغون والانتقال إلى أرض الإسلام لم يتوجه مباشرة إلى بلنسية كما تُوهم بذلك المصادر التاريخية ، وإنما اتجه إلى شاطبة وبها أبو الحسن يحيى الخزرجي . وكان يحكم هذه المدينة باسم ابن هود ، كما كان في عداء مع حاكم بلنسية ابن مرديش الذي اقتلَّ منه مدينة دابية .

ويبدو من خلال ديوان ابن الأبار أنَّ **والى شاطبة هو الذي شجع ابن الأبار على الانتقال من بلاد أراغون إلى شاطبة** وقال الشاعر [الوافر]<sup>(22)</sup> :

١٤- أَمَّا أَنَّ اللَّيَالِي غَالِيَاتٍ وَلَنْ يُغَرِّرِي بِنَصْرِي الْفَرْقَدَانِ  
١٥- إِذَا لَمْ تَفَهَّمْهَا يُعْلَمُ أَنَّ عَيْسَى وَحْسِنِي مِنْ حَسَامٍ أَوْ سَيَافِانِ  
١٦- فَلَمَّا تَلَقَّهُ مِنَ الإِبَابِ عَلَى يَقِينِي  
١٧- فَإِنْ أَنْتَ أَبَا الْحُسْنَى يَسْأَلُ مِنْهَا  
١٨- لَتَفَهَّمَهَا مَتَى تَهَدَّثُ لِخَرْبِي  
١٩- وَعَلِمْتُ أَنَا الْحُسْنَى عَنَّاهُ أَنْتَيِ  
٣٨- زَمَشَلُكَ رَقَّ سُؤَدَّدَهُ لِيَمْلَى  
٣٩- وَرَاثَنَ جَنَاحِي الْمَفْصُوصَ ظَلَّمَا

(20) د/ص 199.

(21) د/ص 327.

(22) د/ص 324 - 325.

ويندو أن الشاعر تعرض إلى السلب وهو في طريقه إلى شاطبة . وهذا أمر ليس بالغريب في منطقة شرقى الأندلس وفي مثل تلك الظروف العصبية التي احتللت فيها الحابل بالنابل . قال الشاعر يصف حاله وهو كالأسير في بلاط النصارى ، ويندب حظه وهو سليم في طريقه إلى شاطبة [الكامل]<sup>(23)</sup> :

- 7- وَكَفَاكَ أَنَّ الرُّومَ كَائِثٌ جَمْرَتِي  
 8- مِنْ شَدَّةِ الْخَسَرَاتِ فِي أَغْلَالِ  
 9- وَأَطْمَسْلُ فِي الْأَنْهَارِ وَالْأَصَابِ  
 10- كَائِثٌ عَقَالًا ثَابِيَا كَعَفَالِي  
 11- وَدَعَانِي الشَّوْقُ الْمُدِيبُ جَرَانِجِي  
 12- لَاقَنِي بِي الْجَهُدِ الْغَنُورِ عَصَابَة  
 13- فَاسْتَأْنَفْتُ نَفْسِي بِحُكْمِ شَفَاهَا خَرُوضًا لِأَهْرَوْلِ غَلَى أَفْوَالِ

ويبدو أن ابن الأبار ترك شاطبة بعد وفاة الخزرجي في شعبان 634/1237 وقد بلنسية . وعليه لينال حظوة لدى ابن مرذيش أن يتصل من مخدوميه أبي زيد المرحدى وأبي الحسين الخزرجي وأن يشيد بالذغاوة العباسية التي انضوى تحت رايتها السوداء ابن مرذيش . قال يخاطبه [الطويل]<sup>(24)</sup>

- 1- شَاصِيلُ غَنِيَ دِبْنَ الْمَهْدَى وَقَدَافِعُ كَلْكَ بَنِ الْهَيْجَاءِ أَبُوكَ (مُدَافِعُ)  
 2- تَسَاصِيلُ غَنِيَ الْعَبَاسِ تَلْمُكَ مَنْ عَدَا لِذَغُونِهِمْ مِنْ قَبْلِهَا وَهُوَ خَالِفُ  
 3- تَسَرُّعُ بَنِ الْمَهْدَى كُلَّ مَشْهَدٍ فِيَامٌ يَنْهَى التَّحْرُرُ أَبْيَضُ تَاصِيفُ  
 39- أَمِيرُ الْعَلَى أَزْجُو وَمِثْلُكَ سَامِعُ

ونعرض ابن الأبار سواء في شاطبة أو بلنسية إلى اللوم ، إذ رأى بعضهم في خروجه إلى أرض الروم منفعة ، فقال يرد عليهم مينا أن خروجه هو ضرب من الوفاء لخدمته ، وأن ذلك لم يمس في شيء دينه ومعتقده . وذهب في الدفاع عن نفسه إلى أنه في خروجه إلى أرض الروم يشبه الصحابة من قربش الذين هاجروا إلى العيشة .

(23) د/ص 250.

(24) د/ص 359 ، 1 - 360.

وابن الأبار يبالغ في قياسه لأن هؤلاء الصحابة هاجروا من أجل عقيدتهم مضطربين بينما التجأ هو من أرض الإسلام إلى أرض الكفر باختياره . قال ابن الأبار [البسيط] (25) :

- ١- قالوا : الخروجُ للأرضِ الرَّوْمِ مُشَفَّصَةٌ قُتِلَتْ : كُلًاً وَلَكِنْ صَادَهَا إِبَاءٌ
- ٢- إِذَا خَرَجْتُ وَقَاءَ ثُمَّ غَدَثْ نُفِىٌ أَتَتْ يَفْعُلِي عَذَابِي وَالْأَجَاءُ
- ٣- وَكَانَ لِي فِي قُرْبَتِهِ أُمَّةٌ وَكَفَىٰ مَسْعَ النَّجَاشِيِّ تَرْصَاهَا الْأَلْيَاءُ

#### ٤ - سقوط بلنسية :

لقد فتحت هزيمة أبيشة الطريق أمام خابيبي الأول ملك أراجون ليحقق أمنية طالما راودته ، وهي الاستيلاء على عاصمة شرق الأندلس بلنسية . وكانت هذه المدينة ، بعد أن سقطت كل الحصون التي كانت بعثابة الدرع الواقي لها ، قد أصبحت تعج بالآلاف العساكنين من أهلها ومن قررت تحت ضغط الرزحف التصرياني من أرباضها وقرابها .

وببدأ خابيبي الأول حصار بلنسية في 5 رمضان 635/21 أبريل 1138 بعد أن وصلت إليه الحشود التصريانية من جهات متعددة براً وبحراً .

لقد أثرت معركة أبيشة وما سبقها من أحداث في معمويات سكان بلنسية فلما وقع حصارها ثم سقوطها لم يكن ذلك — في نظر ابن الأبار — ناتجاً عن قوة خارقة للعدو فقط ، وإنما كان كذلك نتيجة لانهيار معمويات أهلها الذي إلى شبه فراغ عسكري وأشار إليه الشاعر [البسيط] (26) :

- 22- خَلَالَةُ الْجَرُّ فَامْسَدْتُ يَسْدَاهُ إِلَىٰ إِذْرَكَ مَائِمَ نَطَأٌ رِّجْلَةً مُخْتَلِسًا
- 23- وَأَكْثَرَ الرَّغْمَ بِالثَّلِبَتِ مُتَفَرِّدًا وَلَزْ رَأَى زَائِهَ التَّرْجِيدَ مَسَائِبًا

لقد أدرك النصارى نقطة الضعف هذه ، وهم يحاصرون بلنسية ، فامعنوا على مرأى وسمع من أهلها في إنلاف ما تألفوا سنتين طريلة في إقامته من حدائق ورباط خارجهما . وعملوا إلى الآلات المخربة بتصويبونها على ما تفتن البلنسيون مدة في إشادته من معالمه

(25) د/ص 55.

(26) د/ص 397.

غمراة دا�لها . قال ابن الأبار يصف بدابة هذا الحصار وما لحق المدينة المحاصرة من أضرار [البسيط]<sup>(27)</sup> :

- 14- وَأَرْبَعَانَمِنْتَأْمُونَ الْرِّبِيعَ لَهَا  
نَاثِفَتْ مِنْ خَلْعِ مُؤْسِيَةٍ وَكَسَى  
فَصُوْخَ النُّفُرِ مِنْ أَدْواهِهَا وَغَسَى  
15- كَانَتْ حَدَائِقُ الْأَخْدَاقِ مُؤْيِّفَةً  
يَسْجُلُسُ الرُّكْبُ أَوْ يَسْرُكُ الْجُلْسُ  
16- وَخَالَ مَا خَوَلَهَا مِنْ مُنْظَرٍ غَمْبَرٌ  
غَيْثُ الدُّبُى فِي مَنَابِهَا الَّتِي كَسَى  
17- سَرَغَانَ مَا غَاثَ جَيْشُ الْكُفَّرِ وَأَخْرَبَهَا  
يَخْيَفُ الْأَسْدُ الْعَارِي لِمَا افْرَسَ  
18- وَأَنْزَرَ بِرْئَهَا مِمَّا تَحْيَفُهَا  
فَأَيْنَ غَيْثُ حَتَّيَاهُ بِهَا حَضِيرًا  
19- مَحَا مُخَابِسَهَا طَاغٍ أَيْمَنَ لَهَا  
مَائِمَ غَرْبُ هَضِيبَهَا جَبَاؤُلَائِمَهَا  
20- قَادَرَ الشَّمْ مِنْ أَغْلَامَهَا حَسَنَهَا  
وَرَجَعَ أَرْجَاءَهَا لَمَّا أَخْاطَهَا  
21- وَصَرَرَهَا الْعَوَادِي الْعَابِثُ بِهَا  
يَسْتَرْجِعُ الْطُّرْفُ مِنْهَا ضَعْفَ مَا أَيْسَى

ولم يجد البنسيون ، وقد ضيق التصارى عليهم الحصار بـرا وبـرا ، من وسيلة للخلاص إـلا الاستجاد . واتجهت الأنظار في تلك الآونة إلى الدولة الحفصية بتونس ، بعد أن حبا كلـ أمل في دولة الموحدـين بـراـكـش . ووصلت سـارة من أمـير بلـنسـية أبي زـيان إلى أبي زـكريـا الحـفصـي بـقـودـهاـ ابنـ الأـبارـ . فـبلغـ هـذاـ الكـاتـبـ الأـندـلسـيـ بـعـةـ شـرقـيـ الأـندـلسـ إلىـ الأـمـيرـ الحـفصـيـ وـأـنـشـدـهـ مـسـنـتـهـ المـشـهـورـ بـحـثـهـ فـيـهاـ عـلـىـ إـدـراكـ بـلـسـبةـ وـقـدـ أـخـذـ بـمـخـفـقـهاـ العـدوـ . وـكـانـ أـهـمـ وـتـرـ عـرـفـ عـلـيـهـ ابنـ الأـبارـ لـعـنـ الـاسـنـاعـةـ ، الـوـتـرـ الـدـينـيـ . فـهـوـ عـلـىـ يـقـيـنـ مـنـ أـنـ الدـوـلـةـ الـحـفـصـيـةـ الـفـتـيـةـ تـوـقـعـ إـلـىـ أـنـ تـحـلـ مـحـلـ الدـوـلـةـ الـدـينـيـ . فـهـوـ عـلـىـ يـقـيـنـ مـنـ أـنـ الدـوـلـةـ الـحـفـصـيـةـ الـفـتـيـةـ تـوـقـعـ إـلـىـ أـنـ تـحـلـ مـحـلـ الدـوـلـةـ الـمـوـحـدـيـةـ الـمـحـضـرـةـ فـيـ دـوـرـهـاـ الـدـفـاعـيـ عـنـ الإـسـلـامـ وـالـمـسـلـمـينـ . فـهـاـ قـدـ حـانـ الـفـرـصـةـ لـهـاـ لـتـبـرـهـنـ عـلـىـ أـنـهـاـ قـادـرـةـ ، عـنـ جـدارـةـ ، عـلـىـ الـقـيـامـ بـهـذـاـ التـورـ . فـالـإـسـلـامـ فـيـ الـأـندـلسـ بـمـيـادـيـهـ وـمـعـالـمـهـ أـصـبـحـ مـهـدـداـ . [الـبـيـسطـ]<sup>(28)</sup> :

- 12- يَا لِلْمَسَاجِدِ عَادَتِ الْعَدَى بِعَدَا وَلِلْمَنَدِيَّ غَيْدَا أَنَّهَمَا جَرَسَا  
13- لَهُفِيَ عَلَيْهَا إِلَى اسْتِرْجَاعِهَا مَذَارِسُ الْمَنَابِيِّ أَصْبَحَتْ دُرْسَا

(27) د/ص 7 - 396.

(28) المـفـريـ : دـ / 4ـ / 457ـ - دـ/صـ 396ـ . (دـ = نـفـحـ الطـبـ) .

وقد تأثر الأمير أبو زكريا القصيد ابن الأبار ، وبادر بتجهيز بعض قطع من الأسطول الحفصي . وشحنتها بالسلاح والأطعمة والكمسي والأموال وخرجت في اتجاه بلنسية . قال ابن الأبار وكله أمل في كسر شركة العدو [الوافر] (29) :

- ١- ظهير سرايا التوكيل وأنقضناه ففتن الكفر أن نلة أنسقناه  
 ٣٤- هبسا غامم إقبال جديد يُمسى طلوعه غمّ الهراء  
 ٣٥- وإغناه لغزو الشرك تركوا ينشئون المؤنة والخزاء  
 ٤١- فليلتلي بث وهمن وأنقضناه وللتوجيه بـ أنسد وآرقة

لكن هذه الإعانة لم تصل إلى المدينة نظراً إلى مناعة الحصار المضروب حولها من كل الجهات وانتهى بها الأمر إلى أن أفرغت حمولتها في نهر دانية بعيداً عن أرض المعركة .

ولم تستطع بلنسية ، بعد حوالي 7 أشهر من الحصار ، الاستمرار في المقاومة وقد نضبت أو تکاد مواردها الغذائية ، فبدأت المفاوضات مع ملك أراجون لتسليم المدينة صلحاً على أن يؤمن أهلها في أنفسهم . وبعد أن صبّط نصّ وثيقة الاستسلام دخل خاببي الأول بلنسية دخول الفاتحين متوجاً باكاليل الغار في 27 صفر 9/636 أكتوبر 1238.

### مركز توثيق تاريخ طنجة

وهذه النكبة في هولها وشدتها كربيع عاتية عصفت بكلّ نفس ففرّكتها ترسل الآهات ترجموا وتندفعوا . قال ابن الأبار [البسيط] (30) :

- ٣- كزغز الربيع صَلَّى الدُّرْخَ عَاصِفَهَا فَلَمْ يَدْعُ مِنْ حَنْيٍ فِيهَا وَلَا غَصْنٍ  
 ١٤- وَاهْمَا وَاهْمَا يَمْرُثُ الصَّبَرُ يَتَهْمَا مَوْتَ الْمَحَمِيدِ يَسِّنَ الْبُخْلَ وَالْجُنُونَ

(29) د/ص 46 ، 9 - 48 .

(30) د/ص 1 - 320

لقد تسلط الأعداء ، بتعذيبهم ، على مقدساتها فدنسوها ، وبربريتهم ، على معالمها الحضارية فخرّبوا ، وبوحشيتهم ، على بهجة الحياة فنَفَّضُوها . قال الشاعر [الكامل]<sup>(31)</sup> :

- 20— يأبى مَدَارِسُ كَالْطَّلْسُولِ دَوَارِسَ سَحَثَ تَوَاقِيسُ الصَّلَبِ بِنَدَاءِهَا  
 21— وَمَصَابِعُ كَسَفِ الظَّلَالِ صَبَاحِهَا فَيَحَالُهُ الرَّائِي إِلَيْهِ مَسَاءِهَا  
 22— رَاحَتْ بِهَا الْوَزْقَاءُ تُسْمِعُ شَنَوْهَا وَغَدَتْ تُرْجِعُ تَوْخَهَا وَبُكَاءِهَا  
 26— أَمَّا الْمُلْوَجُ فَقَدْ أَخَالُوا خَالِهَا قَمِنَ الْمُطْبَقِ عَلَاجِهَا وَشِفَاهِهَا.  
 27— أَهْرَى إِلَيْهَا بِالْمَكَارِهِ جَارِخَ لِلْكُفَّرِ كَرَّةً مَاءِهَا وَهَوَاهَا

والشاعر ، لفنَّالْعَ على وصف فسدة النصارى في حصارهم للمدينة ، فقد أشار إلى تأهيلهم للقتال واستعدادهم ونوره بشجاعتهم ونفانيهم في المعركة . ولما باللاتمة على قومه . فقد أخطئوا التقدير وتهانوا ، وكفروا بالتعنة وبطروا . قال ابن الأبار في فصيدة مطلعها [البسيط]<sup>(32)</sup> :

١— وَطَنْ عَلَى الدَّاهِيَنِ : الدَّمْعُ وَالشَّجَسُ لِأَدَابِ الدَّاهِيَنِ : الْأَفْلِ وَالْوَطَنِ

ثمَّ أضاف واصفاً النصارى لانتقام قبره طعن سدي

- 10— زُرْقَا أُسْتَهِمْ مِنْ جَسْرِ أَغْيِهِمْ مُشْتَقَّةً مِنْ قِتَالِ الْفَرْضِ وَالْمُتَّسِّي  
 11— فَذَ الْبَسْوَا خَلِيلُهُمْ أَمْثَالُ مَا ادْرَغُوا وَاسْتَقْبَلُوا حُصُونَهَا فِي ذَرَى حُصُونِ  
 12— هُمْ أَخْرَجُونَا مِنَ الْأُوْطَانِ عَنْ حَنْقِ وَزَخْرُحُونَا عَنِ الْجِرَانِ مِنْ ضَغْنِ  
 13— فَكُمْ لَقِيَنَا عَلَى الْأَمْصَارِ مِنْ قَبْدِ وَكَمْ تَرَكْنَا لَدَى الْكُفَّارِ مِنْ لَذَبِ  
 17— أَبْيَحَ لِلْرُّومِ مَا وَفَى مَرَامِيهِمْ فِيهَا يُؤْكَلُ بِطْوَلِ الْغَبَنِ وَالْغَنِ

(31) د/ص 5 — 34

(32) د/ص 1 — 320

وبنسيمة عند هذا الشاعر جنة الخلد . ومن غرائب الأمور أن أصبحت الجنة — وهي مأوى المؤمنين — مرنعا لأهل النار من الضالين [الكامل]<sup>(33)</sup> :

- 23— عَجَّا لِأَهْلِ النَّارِ حَلُّوا جَهَنَّمَ مِنْهَا ثُمَّ عَلَيْهِمْ أَقْبَاءَ فَسَا  
24— أَمْلَثْ لَهُمْ ، قَعْدُلُوا مَا أَمْلَوْا أَيَامَهُمْ ، لَا سُوْغَرَا إِمْلَاهُمْ  
وكمما خرج منها الإيمان ورحل ، ودخلها الكفر وثوى ، أصبح معروفة منكرا وقولها  
زورا وتقرواها زيفا [الرمل]<sup>(34)</sup>:

- 14— يَا سَاحَاتِ تَرَاهُمْ إِلَيْيَ فِي هَذَا الْمَفْرُوفِ مِنْهَا مُنْكِرًا  
15— رَاحَ مَنْ آمَنَ عَنْهَا زَاجِلًا وَغَدَا يَخْلُهَا مَمْنُ كَفَرًا  
16— فَعَسَرَ الشَّرُكُ عَلَيْهَا فَنَّةٌ لَيْتَهُمْ قَبْلَمْ فِيهَا الْحَجَرَا

وأصبحت المدينة في أعماق نفس الشاعر موطن المتناقضات ، فهي محل الماء  
ومصدر العطش ومشوي الحب والكره ، ومكان الأنس والوحشة [الطوبل]<sup>(35)</sup> :

- 1— بِلَنْسِيَّةِ يَا غَذَبَةَ الْمَاءِ وَالْجَنَّى سُقِيتْ وَإِنْ أَشْفَقْتْ صُوبَ السَّرْوَاجِير  
2— أَجَبَ رَأْقَلَسِي بِمُنْكِ حَالًا وَمَاضِيَا بِسُوكُرِجَنَّةِ مُؤْمَنَا بِعَهْدِ الْأَوَانِي  
3— وَمِنْ عَجَبِ أَنَّ الدَّيْسَارَ أَوْاهِلَّ وَأَنَّدَهَا تَذَبَّطَ الطَّلْوَلَ السَّدَّارِس

ويغلب اليأس على النفس ، وهي غارقة في بحر أحزانها ، فلم تعد ترى إلا حقيقة  
واحدة مُرّة ولكن لا مفر من الإصداع بها : وهي أن ما ضاع من المكاسب بسقوطه  
بنسيمة يصعب استرجاعه . قال ابن الأبار [كامل]<sup>(36)</sup> :

- 16— إِنَّهُ بِلَنْسِيَّةِ وَفِي ذِكْرِكِ مَا يُمْرِي الشَّوَّرَنَ دِمَاءَهَا لَأَمَاءَهَا  
17— كَيْفَ السُّبْلُ إِلَى اخْتِلَالِ مَعَاهِدِ شَبَّ الْأَعْاجِمُ ذُونَهَا فَيَجَاءَ فَسَا

(33) د/ص 5 — 34

(34) د/ص 186.

(35) د/ص 400.

(36) د/ص 34.

ويضطر الشاعر إلى الرحيل نهائياً عن بلسيّة بعد سقوطها وليس له من أهل إلا ما  
سيجده لدى حاكم تونس الحفصي من أمن وإكرام وُعد بهما أو شعر وهو يمدح أنه  
سيحبه بهما ، لو استقر بكتفه وحل بجواره . قال الشاعر بصف البحر الذي ركبه  
مع عائلته [الطوبل]<sup>(37)</sup> :

- 33— ألا حبذا ذلك مواخر زاخمت غواص طام لا ينهى طامخ  
34— حرث فوق موج كالجبال تناورت فكيف لحث من توجها المتساوح

ويعلّم الشاعر في هذه الرحلة ألم الفراق لوطنه محبوب ومنشأة السفر في بحر  
مخيف مع عائلة عديدة أفرادها شديد عبؤها . [الطوبل]<sup>(38)</sup> :

- 27— صنعا للمعالي منه<sup>(39)</sup> غابل صبيبة حشائمه طي السخنة والجوانح  
28— يصابر ضراء التسويف والئوى وتطوي علىها الكشخ بحفة كاشع  
29— قوارير<sup>(40)</sup> لم يربأ بها البحر سابقها ولا زاد عنها البر حمل القرادح  
30— وكاد عليها النفس تذهب خستة إذا لاحتها الغبن وسط الضحاضع<sup>(41)</sup>

ويغلب شعور الأبوة على ابن الأكابر فيبني قبلاً وطنه ويتذكر شعوره على أبنائه وما  
بحيط بهم من أحطمار [الطوبل]<sup>(42)</sup> :

- 37— يحسن جانبي رئي لا يجيء كوت في يطون المنشآت السوابع  
38— وتطوى على نار الثلثي أضلعي وحامي الجوبي من خائمات الجوانح  
39— شاخ من الأقدار مزق شملها بكنعه مغير أو إغارة كسامع

(37) د/ص 125.

(38) د/ص 5 — 124

(39) الضمير يعود على المدح و هو أبو زكرياء

(40) بناته

(41) البحر

(42) د/ص 125.

ويستقر الشاعر بأفريقيَّة ويعيش من قرب أجواء البلاط الحفصي ، ويُعاوده الحنين إلى وطنه البعيد ويحاول إخفاء مشاعره فلا يستطيع إلى ذلك سبيلا [الغَفِيف]<sup>(43)</sup> :

- 3 - رَأَمْ أَنْ يُخْفِي الْعَرَامَ وَلَكِنْ لَمْ يَجِدْ مِنْ إِنْدَاءِ حَافِيَهِ بُدُّا  
 6 - يَا سَقِيَ اللَّهُ لِلرِّصَافَةِ غَهْدَا كَسِيمِ الصَّبَابِيِّ رُقْ وَتَنْدَى  
 9 - لَيْتَ شِغْرِيْ هَلْ تَرْجِعُ الدَّهْرَ غَيْشَا يَشْهَدُ الطَّبَّ أَنَّهُ كَانَ شَهْدَا  
 14 - وَالْمُرْئَا يَحْارِبُ الْبَذْرَ يَخْكِي رَاحِةً أَزْمَاثَ لِلْفَطَسِّمَ خَدَا

وبحَّ الشاعر خاصةً إلى الرِّصافة ببلنسية وهو المكان الذي قضى فيه سنين شبابه . لكن آنَّ الرَّسُولَ إِلَيْهِ وَالْعَدُوُّ بِهِ مَقِيمٌ وَرَابِضٌ [الكَامل]<sup>(44)</sup> :

- 1 - مَا لِهُوَ إِلَّا الرِّصَافَةَ مَأْرُوبٌ بَعْدَ الْغَدِيرِ فَكَيْفَ يَصْفُرُ مَشْرُوبٌ؟  
 44 - وَأَنْعَفَ مَا حَمَلْتُ مِنْ عَبْءِ الْهَوَى أَنْ أَسْتَرِيَخَ إِلَى مَطَامِعِ شَعْبٍ  
 45 - يَا مَثْرِلَأَكَانَ الْحِفَاظُ يَعْلَمُ وَالْجُرْدُ بِالْعَبْنَانِ يَسِمُ يَرْجُبُ  
 46 - أَهْوَى حُلُولَكَ ثُمَّ يَسْلِيَنِي الْهَوَى أَنَّ الْغَدِيرَ يَحْارِبُكَ مُطَمَّنٌ  
 47 - أَصْبَحْتُ فِيكَ مَعْذَلًا وَمَعْذَنًا وَكَذَا الْبَحْبُ مُعَذَّلٌ وَمَعْذَنًا<sup>(45)</sup>

ويخلق هذا التمرق النفسي حالة مرضية لدى الشاعر . فهو عاجز عن التبيان وغير قادر على الرجوع [الوافر]<sup>(46)</sup> :

- 1 - إِلَى أَوْطَانِيْ خَنَّ الْعَمِيدُ فَظَلَّ كَائِنَهُ غَصْنَ يَمِيدُ  
 2 - وَمَسْقَطَ رَأْيِهِ ذَكَرَ اشْتِيَّا فَذَابَ فَرَوَادَهُ وَهُمَّرَ الْحَدِيدُ  
 3 - وَلَسْرَ دَامَ السُّلُورُ أَبَثَ عَلَيْهِ مَعَامِدَ . غَهْدَهَا الْمَاضِيَ حَمِيدُ

(43) د/ص 175.

(44) د/ص 59 ، 3 - 62

(45) د/ص 66

(46) د/ص 177

وأشد ما يؤلم الشاعر هو ضياع الدين بضياع الوطن . لقد كان لهذا الدين في بلنسية وغيرها من أرض الأندلس من يحميها وينصرها كالحافظ القرقي المنصور بن أبي عامر . لكن ما إن ذهب منصور الإسلام حتى زحف سفاح التنصاري . قال [الكامل]<sup>(47)</sup> :

7- فَذَلِيلُ الْإِسْلَامِ فِيهِ إِلَى الْعِدَى  
8- لَمْ يَأْخُجْ بِنَسْرَةِ الْحَرَى  
ولم يبق للشاعر وقد غالب اليأس وأطبق القنوط إلا البكاء على وطن ضاع إلى الأبد [الوافر]<sup>(48)</sup> :

7- يَنْتَهِ عَنْ أَهْلِي تِرْوِيْجِي  
8- فَكِّمْ أَنْكِي الدِّيَارَ وَمَا كِبِّهَا  
يُطَرِّفُ مُنْجِدَ وَدَمْ هُنْدَعْ

## 5 - سقوط إشبيلية :

لقد أصبح الموقف في غرب الأندلس على درجة كبيرة من الخطورة في بداية العقد الرابع من القرن 13/7 بعد سقوط كامل شرق الأندلس بيد أراجون . فملك قشتالة سيعمل على أن يظهر بأنه لا يقل حساساً عن ملك أراجون في حركة الاسترجاع المسيحية . ولهذا ما فتئ ، يتطلع بنظره إلى إشبيلية عاصمة الموحدين بالأندلس بعد أن استولى على قرطبة عاصمة الخلافة الأموية بها .

وكان الوضع الداخلي بإشبيلية عاماً مشجعاً لهذا الملك التنصري على تحقيق ما تصبوا إليه نفسه ، نتيجة للصراعات الداخلية المتالية بها . وكان سكان إشبيلية على يقين أن دورهم في حركة الاسترجاع التنصري سباقي ، وكانوا مفتعين بأن مدتيتهم لا تستطيع أن تقف بمفردها لمواجهة الخطر التنصري ، ولهذا وقع الاستجاد بالدولة

(47) د/ص 131.

(48) د/ص 365.

الموحدية بعد الرجوع إلى طاعتها سنة 635/1237 . ولما رأوا ضعف هذه الدولة انضموا تحت لواء الدولة الحفصية آملين أن تصلهم التجدة من لدنها .

ولقد تسبّب وصول الوالي الحفصي الذي أرسله أبو زكريا إلى إشبيلية في فتنة أدت إلى مقتل ابن الجد حاكم المدينة ، فاتخذ فرديناند الثالث ملك قشتالة ذلك ذريعة لغزو المدينة . وبدأ في أوائل 644/1246 بالهجوم على قواعدها الأمامية ، ثم عاد إليها في سنة 645/1247 وحاصرها براً وبحراً . وفي يوم الإثنين 5 شعبان 646/23 نوفمبر 1248 وقع الاتفاق على تسليم المدينة على أن يغادرها أهلها في ظرف شهر .

ووصلت هذه الأنباء المؤلمة إلى البلاط الحفصي ، لقد افتكت المدينة وهي خاضعة — ولو إسمياً — إلى الحفصيين . فهل يعتبر هذا من باب الاعتداء عليهم ؟

إن قصيدة مدحية في ديوان ابن الأبار توحى بأنَّ حُكَّامَ تونس أصبحوا على يقين بوجوب العبور إلى الأندلس للقيام بواجب الجهاد . فالأندلس تعيش في ظروف شبيهة بما عاشته مع ملوك الطوائف قبيل الزلاقة . وتعيش في مناخ عسكري شبيه بما كانت عليه قبيل عبور عبد المؤمن بن علي إليها . فالفرصة سانحة إذا لإعادة (أرك) ثانية وأخذ التأْرُّ من (العقاب) والظُّهُور بمعظمه المنقذ للأندلس كما ظهر يوسف بن تاشفين بطل معركة الزلاقة والمنصور الموحدي بطل معركة الأرك . قال ابن الأبار [المديد] (49) :

- 1— أَذَّتْ أَرْضُ الْعَدَى بِإِثْمَاحٍ هَلَّ وَرَأَهُ اللَّيلُ غَيْرُ الصُّبَاحِ
- 5— إِنَّ لِلتَّرْجِيدِ عَزْمًا صَبِيجَخَا يَسْوِيْغُ التَّلْبِيتَ كَرَّ اَكْبَسَاحِ
- 6— وَيُسَاقِي الصُّفَرَ حَمَرَ الْمَنَابِـا بِالصَّمَادِ السُّمَرِ أَوْ بِالصَّفَاحِ
- 7— وَعِدَّتْ أَنْدَلُسَ مِنْهُ يَرْزُمِـا هِيَ لِإِسْتِفَالِـا فِي اِرْتِيَاحِ
- 8— كُـلَّ أَزْمِـا قَبْلَـا وَالْيَوْمِـا لِالْفِرَاجِ تَقْنَـةً وَالْتَّضَاحِـ
- 9— إِنْ يَكُـنْ عِيْدًا لِـنَخِـرِ وَذَبَـعِـ
- 10— بِالْفَسَادِ اعْتَمَـدُـا كُـلَّ صَنْـعِـ
- 11— أَحْمَـى حَمْـضَـرِـا أَبَـحُـوا جَهَـازَـا وَجَـمَـاهَـا لَـمْ يَـكُـنْ بِالْمَيَـاحِـ
- 12— لَا وَيَـخْـبَـيِـ الْمَرْـئَـيِـ لَـأَهْـنَـاهَـمْـ
- 13— إِنَـمَا يُـرْـثُـ بِـمَـقَـاتِـ شَـعِـرِـ هَـرَـأَـاتِـ بِـيِـ ضَـمَـانِـ التَّـجَـاحِـ

(49) د/ص 119 - 120

إن العوامل المشجعة على العبور كثيرة وأهمها استباب الأمن داخلياً ، وبه يكود المنفذ قد جمع بين الشرعية الزمنية بانتماهه إلى عذى بن كعب جد عمر بن الخطاب ، والشرعية الآية بقضائه على جميع التورات والفن . ولم يبق له إلا أن يحقق المجد عن طريق الجهاد في الأندلس . قال الشاعر [المديد]<sup>(50)</sup> :

32- هذِهِ الْعَزْبُ اسْتَكَاثُ وَكَاثُ فِي التُّعَاصِي مَثْلًا وَالْجَمَاحُ  
 36- دُولَةٌ حَفْصِيَّةٌ فِي أَقْبَالٍ وَغَلَى مَهْدِيَّةٌ فِي طَفَاحٍ  
 37- مَتَهَا مَا فِي عَدِيَّ نَسِيْنِ كَفَبٍ وَذَرَاهَا فِي الْكَابِ الْعَرَاجِ  
 ويشير الشاعر في ديوانه أن الأسطول الحفصي عبر فعلا مضيق جبل طارق في محاولة لإنجاد أهل الأندلس عامة وأهل حمص خاصة . فهل تم فعلا ذلك ؟ قال [المديد]<sup>(51)</sup> :

18- دَغَ أَسَالِبَ الشَّبِّ وَحْدَةٌ فِي أَسَاطِيرِ الْأَسَاطِيرِ  
 19- أَخْسَرَاتُ الْجَنَّى سَابَحَةٌ ذَاتُ تَرَيْنِيَّةٍ وَتَرَيْنِيَّةٍ  
 22- لَا إِرَازَ الْعَجَسُمُ ثَعْجَمَهُ طَرَسُ تَعْجِسَرُ وَتَعْجِسَرٌ  
 24- خَلَسَتُ مُخْلَسَةٌ بِهِمْ شَرَّ تَخْلِيَّةٍ فِي وَتَخْلِيَّةٍ  
 25- وَسَلَتُ بَخْرَ النَّجَارِ بِنَمَا طَرَبَتْ كَالْنَّبِيلِ لِلشَّيْلِ  
 26- غَزَمَهَا وَالرَّوْمُ بِالْعَسْدَوَى تَسَنَّنَ شَجَبَسَدُ وَشَجَبَسَدٌ  
 33- مَا أَلَى الْفُرْقَانِ إِنْ صَدَقُوكُونْ عَرْمَهُمْ بِمَنْ جَمِيلُ الْجَبَالِ  
 34- بِالْجَوَارِيِّ الْمُسْتَنَّاتِ لَهُمْ جَزَرِيِّ ثَيَّسَرُ وَثَيَّسَرٌ  
 39- خَالَسَتْ يَخِيَّسِي تَحْلِيقَتْهُ حَسَنَ ثَائِيَّرُ وَثَائِيَّرٌ

ويقى الشاعر يحن إلى إشبيلية بعد سقوطها ، كما يقى يحن إلى بلنسية مسقط رأسه دون قدرة على الرجوع إليها كالطائر المقصوص الجناح لا قدرة له على الطيران . قال [الطوويل]<sup>(52)</sup> :

20- يَسَائِلُ عَنْ تَجْبِيدِ صَبَاهَا مُعَاشِيرَ وَأَسْأَلُ عَنْ جَنْصَنَ التَّعَامِيِّ وَأَسْتَفْصِي  
 21- وَلَوْ كُنْتُ مُؤْفَرَ الْجَنَاحِ لَطَارِبِي إِلَيْهَا وَلَكِنْ حَصَّةُ الْيَسْرِ بِالْمَغْصُ

(50) د/ص 121

(51) د/ص 4 - 233

(52) د/ص 331

## ٦ - علاقه بأمراء الأندلس :

لا شك أن ابن الأبار يربط علاقات ود وصداقة مع كثير من الأمراء والوزراء بالأندلس فزيادة على من خدمهم بقلمه من حكام بلنسية وشاطبة ، كانت له مراسلات مع بعضهم الآخر . ومن هؤلاء هناك :

أ - أبو علي عمر بن أبي موسى والي جيان : وقد راسل الشاعر وهو بإفريقية عندما كان واليا على بجاية أو المهدية<sup>(٥٣)</sup> . ومن هذه المراسلات ما كتبه مع تمر أهداه إلى ابن الأبار [الطويل]<sup>(٥٤)</sup> :

١- أثلى تعلقات بمحنتي الخلائق بها غنيمة عن كل ما في العذائق  
فأجابه ابن الأبار [الطويل]<sup>(٥٥)</sup> :

١- أَمْوَالِي حَقُّ الْعَبْدِ تَقْرِيرُ عَذَّرِه  
٦- كَانَ الْذِي نَهَيْتُهُ مِنْ ثَمَرَهَا اغْتَدَى  
٧- مَنْتَ بِهَا مُتَشَرِّرًا وَمَفْتَهَا  
فرد أبو علي متراها بقطعة ابن الأبار هذه [الطويل]<sup>(٥٦)</sup> :

١- أَثَتْ فَجَّابَهَا نُورِهَا شَارِقَ  
٢- وَجَاءَتْ مُرْسَاهَا مِنْ أَفْلَامِكَ الصَّلَى  
فأجابه ابن الأبار مشيدا بشعر أبي علي [طويل]<sup>(٥٧)</sup> :

١- لَعْنَ كَلِمَ كَالْتُلُوُرِ الْمُتَسَاقِ لَهَا فَضْلٌ مَوْصُوفَاهُنَّ الْبَرَاقِ  
٤- يَعِيشُ بِهَا بَخْرٌ مِنَ الْعِلْمِ وَالنُّدُى خَنَا كُلُّ أَفِيقٍ مِنْ حُلَاءٍ يَقَائِقِ

(٥٣) تولى أبو علي هذا ولادة بجاية للدولة الحفصية ثم انتقل منها إلى المهدية في رجب 1240/638 (الحلة : 282/2).

(٥٤) المصدر السابق ص 285.

(٥٥) د/ص 4 - 453.

(٥٦) الحلة : 2/ص 287

(٥٧) د/ص 454

ب - سعيد بن الحكم حاكم منورقة<sup>(58)</sup> : من الصعب القول إن ابن الأبار اتصل بهذا الأمير وهو بجزيرته . والراجح أن الشاعر راسله وهو مقيم بأفريقيَّة لما سمعه عن بلاطه الذي أصبح ملادًا لأدباء العصر وعلمائه بعد سقوط ميورقة ومنطقة شرقى الأندلس بيد أрагون . ونجد في ديوان ابن الأبار ثلاث مقطوعات مدحية في هذا الأمير الذي استطاع بحنته أن يحفظ بحكم هذه الجزيرة حوالي نصف قرن إلى أن توفي سنة 1272/680 . قال ابن الأبار مؤكدا على خصالٍ تعلق بها سعيد بن الحكم ، فل وجودها في ذلك الزمان [الخفيف]<sup>(59)</sup> :

- 1 - بِئْدَ أَبْيَدَ رَئِيسَ بَيْسَيْنَ فِي أَمَارِيَرِه صِفَاتُ الصَّاحِ
- 2 - فَقَرَرَ فِي أَفْقِي الْمَعَالِي تَجْلِي وَتَحْلِي بِالسُّودَادِ الْأَوْضَاحِ
- 3 - سَلَمَ الْبَخْرُ فِي السُّمَاخَةِ مِنْهُ لِجَوَادِ سَنَرَةِ بَخْرِ السُّمَاخِ

وهي خصال سياسية بالدرجة الأولى مكتبة من تحجب الغزو النصراني . وكان ذلك في متناول أيديهم [مجروء الرجز]<sup>(60)</sup> :

- 1 - إِنْ سَعِيدَنْبَنْتَ الْحَكْمَةِ صِنْوُ الْعَلَى تَخْلُلُ الْكَرْمِ
- 2 - رَئِيسَةَ بِيَثَلَهِ يَفَاجِيْرِ السَّيْنَ فَالْقَلْمَنْ
- 3 - وَسُودَادَ مَجْمُوعَهِ يَنْخَلِي بِإِسْنَ الشَّيْنَ

ولمن كان ابن الأبار معجباً بخصال هذا الأمير ، فلا شك أنه كان يتظر أن يصله منه بعض هباته ، خاصة وقد عاش في إفريقيَّة — عندما كان مغضوباً عليه — فرات صعبه . قال مؤكداً على كرم سعيد بن الحكم [الوافر]<sup>(61)</sup> :

- 1 - كَانَ عَلَاكَ أَفْلَاكَ زَفَلَكَ بِسَارَافِ الْبَرِيَّةِ جَارِيَاتُ
- 2 - كَمَانَ هَبَابَهَا مِنْ غَيْرِ وَغَيْرِهِ تَائِيْجُ مَا لَهُنْ مُقَدَّسَاتُ
- 3 - وَمَهْمَا اهْتَرَ جَيْشَكَ تَخْرُجَنِيشُ فَلَائِتِ سَيَّاسَةَ وَهُنَوْ الْفَقَاءَ

(58) هي إحدى الحجر الثلاثة من الحجر الشريطة وهي : ميورقة ومنورقة وبابسة .

(59) د/ص 129 .

(60) د/ص 459 .

(61) المطرب ص 179 .

ويبدو أن هذا الأمير – وهو الأديب – يحب أحيانا ابن الأبار شرعا، فقال صاحب الحلقة ردًا على إحدى مفطوغاته مؤكدا على حماية سعيد بن حكم لجزيرة منورقة بتأمين العياد وفك الرقاب . قال [الكامل]<sup>(62)</sup> :

- ١- تِلْكَ الْجَزِيرَةُ<sup>(63)</sup> أَبْلَتْ ثُوبَهَا سُحْبٌ تَسْأَلُ بِتَقْبِيهِ سَأْوِيهَا  
 ٤- أَلْفَتْ أَبَا عَنَانِهَا<sup>(64)</sup> ذَاهِرَةً غَرِيبَةً تُولِيهَا سَأْوِيهَا  
 ٨- فَلَكَ الرِّقَابُ مَتَابِعًا مُذْفَامَ لَمْ يَسْكُنْ يَأْنِيهَا كَمَا يَؤْنِيهَا

## ٧ - التعریض على الجهاد بالأندلس :

لقد أصبحت مشاعر ابن الأبار وأحساسه بعد سقوط بلنسية أولاث إشبيلية ثانية مركزة في وطنه السلب وأهله المشردين . وأدرك الشاعر ، وقد ساء مزاجه ، أن حكام العدو الإفريقية قد تخلوا عن هذا الوطن أو كانوا . لذا عليه واجب مقدس هو إذكاء جذوة الحمية في نفوس هؤلاء الحكام لعلهم يغرون بما يفرضه عليهم واجب الأغرة والذين والجوار .

والشاعر نفسه وهو يحرض البلاط الحفصي على نجد الأندلس ، بين يأس من النتيجة وأمل فيها . قال وهو في الحالة الأولى مخاطبا أبي زكريا الحفصي [البيط]<sup>(65)</sup> :

- ١- أَدْرِكْ بِحَيْلَكَ خَيْلَ اللَّهِ أَنْدَلْسَا إِذْ السُّيُلَ إِلَيْيَ مُنْجَاهَهَا دَرْسَا  
 ٢- وَهَبْ لَهَا مِنْ غَيْرِ النُّصْرِ مَا تَمَسَّتْ فَلَمْ يَرْزُلْ مِنْكَ عِزُّ النُّصْرِ مُفْسَسَا  
 ٣- رَحَاسِيْ مِمَّا تَعَانِيْهِ حُشَاشَهَا فَطَالَمَا ذَاقَتِ الْبُلْوَى صَبَاسَخَ مَسَا  
 ٤- بِالْجَزِيرَةِ أَضْحَى أَهْلَهَا جَرَزاً لِلْحَادِثَاتِ وَأَمْسَى جَدْهَا إِائِسَعاً  
 ٧- ثَقَاسِمَ السُّرُومُ لَا تَأْتَ مَقَاسِمَهُمْ إِلَّا عَفَافُهُمَا الْمَخْجُونَةُ الْأَسَا

(62) د/ص 462 .

(63) جزيرة منورقة .

(64) كنية سعيد بن حكم .

(65) د/ص 395

وفي الحالة الثانية قد يقوى الأمل في نفسه إلى درجة أنه يعتقد أن أهل الأندلس سيأتى يوم يأخذون فيه بثأرهم من النصارى بإعانة الحفصي . قال [الرمل]<sup>(66)</sup> :

- 16- إِنْ يَكُنْ طَاغِيَّةُ الرُّومِ بَعْدِي قَطُبُ الْهَشَدِ لَهُ بِالْمَزْصِدِ
- 18- غَرَّهُ الْبَغْدُ وَعَنْ قُرْبِ يَرَى جِزِيزَةُ الْكَفَرِ تُؤْدِي عَنْ يَدِ
- 19- سُرْفُ ئِعْتَادُ الْجَوَارِي مِلْوَهَا مَلَائِكَةُ الْأَمْدِ ذَاتُ الْبَدِ

ومن العناصر الأساسية في التحريرض لدى ابن الأبار هو التأكيد على الحالة المزرية التي أصبح عليها أهل الأندلس وانعداد أملهم الوحيد في أبي زكريا وفي نجده ومروءته . قال [الطوبل]<sup>(67)</sup> :

- 19- وَيَا إِرْضَى أَرْضِ الْجَزِيرَةِ بِالَّذِي تَيَمَّمَهَا يَنْهَى لَهَا الْقُسُورُ بِالْأَفْقَا
- 20- فَإِنَّدَلِسَ قَدْ بُشِّرَتِ بِلِقَائِهِ ئَرْقُبُ مِنْ تِلْقَائِهِ الْفَلَكُ وَالسُّفَنَا
- 21- لِتُصْرِنِيهِ مَا أَشْرَقَتِ رَأْيِيَّاهَا وَمَا صَبَرَتِ عِلْمًا يَقِيَّا بِهَا الطَّنَا
- 22- لَعَلَّ بِلَادًا حَسَالٍ بِالرُّومِ حُسْنَهَا يُعْدِي عَلَيْهَا غَرِيْرَهُ الظَّافِرِ الْحَسْنَا
- 23- فَيَرْتَبِّشُ الْعَادِي بِهَا الْمَاءُ سَلَسَلًا وَيَعْتَبِسُ الصَّاجِي النَّسِيمَ بِهَا الْذَّلَا
- 24- وَعَانَ عَلَى الْخَرْبِ الْعَوَانِ دِيَارُهَا بِمَا مُبَيَّثَ مِنْهُمْ قَدِيمًا وَمَا ثَمَّى
- 25- تَوَمَّلُ بِخَيْسِي الْمُرْئَضِي لِحَيَاَهَا وَتَرْجُو بِلِقَائِهِ الْأَفَالَةُ وَالْمَسَا

والأندلس ، في نهاية الأمر يخرج من الدولة الحفصية بعد وصول يعتها إليه . وبكتفى المدوح أن يأخذ بعض القبائل المناصرة له من دباب وعرف حتى يغيروا واقع المعركة ويرتدوا كيد العدو في نحره . قال ابن الأبار [الكامل]<sup>(68)</sup> :

- 4- هِيَ دَارُكَ الْقُصُونِي أَوْتُ لِيَالِيَةِ ضَمَّنَتْ لَهَا مَعَ تَصْرِفَهَا إِيَّاهَا
- 13- طَافَتِ بِطَافِقَةِ الْهُدَى آمَالَهَا تَرْجُو بِحَيْسِي الْمُرْئَضِي إِحْيَاهَا
- 30- مَوْلَايِي هَالَكَ مَعَادَةً أَبْيَاهَا<sup>(69)</sup> لِتَنْبَلِ مِنْكَ سَعَادَةً أَبْنَاهَا

د/ص 152 (66)

د/ص 298 (67)

د/ص 33 - 34 - 35 - 36 (68)

أي أن ما ذكره هنا كان قد قاله في فصيحته السببية . (69)

35 - ئاللَّهُ لِرَدِيثٍ لَهَا (ذِيَابُهَا) لطَوْتُ عَلَيْهَا أَرْضَهَا وَسَمَاءَهَا  
 36 - وَلَرِ استَفَلْتُ (غَزُونُهَا) لِقَنَالِهَا لاستَفَلْتُ بِالْمُقْرَبَاتِ غَفَاءَهَا  
 47 - هَذِي رَسَائِلُهَا ثَاجِي بِالثَّبِي وَقَفْتُ عَلَيْهَا زَيْنَهَا وَجَاهَهَا  
 ولبلاد الأندلس تعودت من المدح هذه التجدة وتلك المروعة . فكم مرة نادنه  
 ولئن نداءها وحياتها بالكثير من عنده [الطوبل]<sup>(70)</sup> :

25 - وَمِنْ قَبْلِ مَا اسْتَفَلْتُ أَنْدَلُسَ فَلَمْ تَجِدْ جُودَكَ الْفَيَاضَ غَيْظًا وَلَا تَرْضًا<sup>(71)</sup>  
 والشاعر وهو يحرّض على نصرة الأندلس وإنقاذهما من براثن العدو يشير إلى اصطدام  
 الأسطول الحفصي بالأسطول التصريطي . ولكن يغلب على الظن أن ما ذكره الشاعر  
 من انتصارات لهذا الأسطول هو من باب ما يأمله ويترقبه لا من باب ما تم فما بهجه  
 وأسعده . قال [الطوبل]<sup>(72)</sup> :

42 - سَرَابِحَهُ عَمُ الأَعْدَادِي عَذْوَهَا بَرَارًا ، وَأَسْنَى السُّعْدِي مَا اتَّضَمَ الْبَرَا<sup>(73)</sup>  
 43 - سَمَّتْ لِأَسْاطِيلِ النَّصَارَى فَقَهْقِرُوا يَصْنُوِيَهُمَا مُشَيْقِيَنْ بِنَهَا الْفَهْرَا  
 45 - وَرَأَمَتْ لَيْوَتِ الرُّومِ فُخَاحَ كَرَاسِيرَا فَسَأَوْجَدُوا نَصْرًا وَلَا عَدْمُوا هُصْرَا  
 46 - أَرَاقَتْ عَلَى الدَّانِيَاءِ خُمْرَ دِمَائِهِمْ نَرَاقَتْ شَيْقِيَا بِيَنْتَسِعَ مُخْمَرَا  
 وهذا الأسطول بما حققه من انتصارات أخاف العدو ، فأرسل الروم تطلب هذه  
 وسلمـا مع صاحبه ، فهل تم ذلك فعلـا؟ أو لأنـ الشاعر يريد رفع معنويات ممدوحـه  
 بعد أن أرسل أسطولـه لإعـانـة بلـسيـة المحـاصـرة . قال ابن الآثار [الـطـوـبـلـ]<sup>(73)</sup> :

60 - وَهَذِي مُلُوكُ الرُّومِ شَخْصُ رُسْلَهَا يُسْلِمُكَ شَيْقِيَ الْمُسْلَامِيَةِ لَمَّا  
 61 - يَطَاغِيَةِ الْكُفَّارِ أَسْرَعَ ذَلْيَةَ تُجْنِمَهُ مِنْ حَمْلِهَا مَا إِنْجَنَّهَا  
 64 - تَصْنُورَ تَجْهِيزَ الْأَسْاطِيلِ تَحْوَةَ تَعْيَّلَ بِالْمُنْجَاهَةِ مِنْهَا وَهَلْمَنَّا

---

(70) د/ص 347.

(71) التـرضـ : الماء يـسـيل قـليـلاـ .

(72) د/ص 8 - 207.

(73) د/ص 3 - 272.

65 - وَأَفْسَحَ ثُبُرِيَّ خَاطِبًا فِي بَطَابِهِ وَمَا النَّفَرُ ، لَوْلَا الْمَبْدُ أَغْجَمَ طَنْطَمَا  
66 - فَهَا هُوَ إِنْ لَمْ يَخْطُطْ مِنْكَ بِذِمْمَةِ ظَفَرِ الْمَتَابِرِ مَدْمَمَا  
68 - سَيَّاسِيٌّ بِرَأْسِ الْكَافِرِ الْكَافِرُ الَّذِي يَطْعُمُ عَلَيْهِ الْمُسْتَاثِ إِذَا طَمَا

#### 8 - بيعة مدن الأندلس لأبي زكريا :

هناك ثلاث عوامل رئيسية أدخلت الاضطراب والفوضى إلى الأندلس في النصف الأول من القرن 13/7 و خاصة بعد هزيمة العقاب :

- 1 - قرار المأمون الموحدى الانتقال من إشبيلية إلى مراكش وترك الأندلس لمصبرها .
- 2 - تناحر زعماء الأندلس فيما بينهم تارة ، وبينهم وبين من يعي من ولاة الموحدين أحيانا .
- 3 - التكالب النصراني بعد أن لاح جليا الفراغ العسكري بضعف الدولة الموحدية ، وتناحر ثوار الأندلس .

وفي هذا الظرف العصيب ، كان كل ثائر يحقق بعض الانتصارات يحاول أن يوطد نفوذه بإيجاد السندي الشرعي له . فكانتوا يعلنون ولاءهم الشكلي إلى إحدى الدول الآتية : الدولة العباسية البعيدة أو الدولة الموحدية المنهارة أو الدولة الحفصية الفتية . ولا شك أن هذه الأخيرة كانت أقدر من غيرها ، في نظر الأندلسيين ، على القيام بدور الحامي والمنفذ للبلادهم . لهذا كثروا ما حاولوا إليها بعض المدن الكبرى الأندلسية وأعلنت الانضواء تحت لوائها .

ويبدو أن شرق الأندلس كان أسبق الجهات بالأندلس للدخول في طاعة الحفصيين آملا من ذلك خلاصا على أيديهم وقد تکالب نصارى أراغون عليه .

وعاش الشاعر هذه الفترة وترأس الوفد الذي أم حاضرة الحفصيين حاملا البيعة وطالبا التاجة . قال ابن الأباري معتبرا أن بلنسية عاصمة شرقى الأندلس هي جزء من بلاد الحفصيين [البسيط] <sup>(74)</sup> :

30 - هَذِي رَسَائِلُهَا تَذَعُوكَ غَنْ كَثِيرٍ وَأَنْتَ أَفْضَلُ مَرْجُونٍ إِنْمَنْ يَبْسَى  
60 - يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُنْصُورُ أَنْتَ لَهَا عَلَيْهِ تُوسِعُ أَغْنَاهَ الْمُهَذِّي تَغْبَسَا

. 397 - 399 د/ص (74)

62 - صَبَرْ بِلَادَكَ مِنْهُمْ إِنَّهُمْ لَجَسَرْ  
63 - وَانْصَرْ غَيْبَدَا بِالْفَصَنْ شَرِقَهَا شَرِقَتْ عَيْنَهُمْ أَدْمَعَهُمْ زَكَارْ وَحَسَنْ

وخلال هذه الفترة بعث ابن الرميسي بعد قتله لابن هود حاكم الأندلس سنة 1237/635 بيعته لأبي زكريا . فقال ابن الآثار [الطويل]<sup>(75)</sup> :

1 - أَوَابَارْ فَتحَ مَا لَهُنْ أُوَاجِزْ  
9 - ئَغْرِيَة نَجْبَى الْمُرْئَضَى ذَرَكَ الْمُنْتَى  
47 - هَبَيْتَا تَرِيَّسَا لِلْمَرِيَّسَةَ أَنْ أُوَتْ  
إِلَى مَظَاهِرِ تَحْشِطُ عَنْهُ الْمَظَاهِرُ

وفي سنة 640/1242 وقع حدثان كباران : الأول وفاة الخليفة الموحدي الرشيد . والثاني فتح أبي زكريا الحفصي لتلمسان عنوة من يد صاحبها يغمراسن ، وبذلك أصبح الأمير الحفصي أقوى رجل بإفريقية ، وهابه أعداؤه في الداخل والخارج ، وجاءه بيعة عديد المدن من العدوتين الإفريقية والأندلسية . قال ابن الآثار مشيرا إلى ذلك [الربع]<sup>(76)</sup> :

1 - ثَلَاثَةَ حَبَّشَكَ فِي الْأَرْبَعِينَ نَصَرْ وَتَمْكِينَ وَفَتْحَ مُبِينَ  
2 - أَنْتَ أَمِيرُ الْمُرِيبِينَ الْذِي فَرَكَسَهُ يَمْسِنَ عَلَى الْمُرِيبِينَ

ووجد ابن الآثار في تلك المناسبات مجالاً ليدعده شعور العظمة لدى الأمير أبي زكريا الحفصي ، ولتحريضه على القيام بفرصته للجهاد بالأندلس . وكثيراً ما كان الشاعر يكرر ذكر بيعة تلك المدن في كل مرة يدح فيها أبي زكريا . وقد يشير في القصيدة الواحدة إلى بيعة عدة مدن من العدوتين . قال في بيعة شرقي وجزيرة طريف ومكتنسة وقصر ابن عبد الكريم سنة 640/1242 [الطويل]<sup>(77)</sup> :

27 - وَمَا لَشَرِيسْ وَالْجَبَرَةِ يَالَّهَا وَمَكْنَاسَةَ وَالْقَصْرِ عَرْ فَلَا وَفَصَا  
28 - وَلَا قَتْ عَلَى مُحَكَّمِ السُّعَادَةِ بِرَدَهَا وَمَا بَرِخَتْ أَنْسَاءَ شَفَوْنَهَا زَهْصَا<sup>(78)</sup>

(75) د/ص 12 - 211، ص 214.

(76) د/ص 300.

(77) د/ص 340.

(78) الترخيص : شدة العصر .

وفي نفس هذه السنة جاءت بيعة سبتة والمرية . وكانت هذه المدينة الأندلسية قد أُمرّها إلى ابن الأهر إذ استولى عليها سنة 635/1237 من يد صاحبها ابن الرمسي .  
قال ابن الأبار [الطوبل] <sup>(79)</sup> :

- 10- فِي الْأَنْسِ الْقَتْلُ بِالْمَقَادِه سَبَّهَةَ فَأَوْرَثَهَا عِصْدًا مِنَ الْأَمْنِ سَيْفًا  
11- وَخَطَّتْ بِكَ الْيَوْمَ الْمَرِيَّهُ زَخْلَهَا فَأَفْطَنَهَا رَغْدًا مِنَ الْعَيْشِ أَهْيَا  
وأعاد الشاعر الإشارة إلى هذه البيعة المزدوجة في سنة 646/1248 بناتة عبد الفطر  
مادحاً أبو زكريا [الوافر] <sup>(80)</sup> :

- 30- لِلشَّرْقِ وَالْغَربِ اسْتِيَاقٌ تَخْوَهُ كُلُّ قَيْسَلٍ دُغَابَهُ اَيْهَهُ  
31- وَبِسَارِ سَبَّهَهُ وَالْمَرِيَّهُ مُحْبَرُ اَنْ سَوْفَ تَخْرُي الْعَاقِبَيْنِ يَسَادَهُ  
38- وَبِعِيدٍ فَطَرَ لِلْفَتوْحِ مُغْفَهُ كَالْيَوْمِ اَغْفَهُ صَنْخَهُ بِضَخَاهُ  
ولكثرة المدن التي بايعت أبو زكريا في سنة 640/1242 سعاه ابن الأبار عام الجمعة  
[البسيط] <sup>(81)</sup> :

- 37- سُلْطَانَهُ خَرَقَ الْمَادَاتِ فَانْتَلَقَتْ عَلَى الْمَرَادِهِ اَغْيَارُ وَاضْدَادُ  
38- لَا مِرَيَّهُ اَنْ اَفْطَاعَ الْمَرِيَّهُ بِسِيِّ اَغْقَابِ سَبَّهَهُ اِلِلْجَمَاعِ بِعَادُ  
39- لَبَنُ اَهَابَتْ بِهِ مَرَادِهِ وَذَعَتْ لَمَاغَدَهُ قَصَدَهَا بِصَرْ وَتَغَدَادُ  
40- غَامُ الْجَمَاعَهُ مَا اَغْنَاصَتْ وَلَا تَغَلَّثَ فِيَهَا بُقَرَّهُ جَتَانَ وَتَغَدَادُ

وفي سنة 641/1243 <sup>(82)</sup> جاءت بيعة إشبيلية بعد خلعها لطاعة الموحدين وكانت  
عاصمتهم بالأندلس . قال ابن الأبار [الطوبل] <sup>(83)</sup> :

- 1- لِاَنْدَلُسِ الْبَشَرِيِّ وَخَصَرِنَهَا (جِنْص) قَدْ كُبِيَّتْ لِلْأَنْسِ فَضْفَاضَهُ الْقُنْصُرِ  
2- وَقَدْ لَصِيرَتْ عَنْدَهَا كَبِيَّهُ عَلَى الْعَدَى فَذَاقُوا اَنْتَابَا الْحُنْرِ بِالْحَسْ وَالْحَصْ

(79) د/ص 8 - 367 .

(80) د/ص 408 - 410 .

(81) د/ص 141 .

(82) د/ص 343 .

(83) هذه بيعة الأولى ثم رجعت إلى الدعوة الموحدية . وفي سنة 643/1245 عادت إلى

بيعة الحفصيين .

٤- أَنْ يَخْلُمُوا زُهْدًا وَجِزْرًا عَلَى الْهُدَى  
وَمِنْ عَجَبِ أَنْ يُغْضَدَ الرَّهْدُ بِالْجِرْزِ  
٥- غَيْثُ بْنُ إِذْرِيسَ بْنُ يَعْقُوبَ وَأَنْتَمُوا<sup>(84)</sup>  
لِيَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي حَفْصِ<sup>(85)</sup>

وَئَدَعْمُ هَذَا الالتفاف حَوْلَ الدُّولَةِ الْحَفْصِيَّةِ بِهَذِهِ الْبَيْعَةِ مِنْ عَاصِمَةِ الْأَنْدَلُسِ فَطَرَبَ  
هَا ابْنُ الْأَبَارِ وَأَحَدٌ فِي تَعْدَادِ جَمَلَةِ مِنَ الْمَدَنِ الَّتِي وَصَلَتْ بِيَعْتَهَا إِلَى حَاضِرَةِ الْحَفْصِيَّينَ  
[الطَّرِيقَ]<sup>(86)</sup> :

٧- لَقَدْ رَأَيْتَ عَامَ الْجَمَاعَةِ بِرَهْمَةَ  
فَلَمْ يَعْدُهَا إِفْرَارٌ غَيْرِيَّ المُرَاقِبِ  
١١- أَلَا هَذِهِ حِنْصَنْ تَسَابِ طَاغَةَ  
سَجْلَمَاسَةَ فِي رَفْضِهَا لِلْمُتَاصِبِ<sup>(87)</sup>  
١٢- وَمَا تَحَالَقَتْ غَرْنَاطَةَ رَأَيِّي رَئِيْهَ<sup>(88)</sup>  
لِتَشْمَلَ أَثْوَارَ الْهُدَى كُلَّ حَانِبِ  
١٣- وَجِيَانْ لَمْ تَسْرُخْ كَشْلِبَ وَطَنْجَةَ  
مُبَارِيَةَ هُوَجَ الْعَبْسَا وَالْجَنَابِ  
١٤- لِتَسْعَدَ بِالرُّضْوَانِ بَيْعَاتِهَا الْبَيْسِ  
كَفَى شَاهِدًا مِنْهُ ثَائِلَ غَرَابِ

وَتَجَدَّدَتْ بَيْعَةُ إِشْبِيلِيَّةِ لِلْحَفْصِيَّينَ سَنَةَ 1245/643 ، فَقَالَ ابْنُ الْأَبَارِ مَهْشَا وَمَبْشِرَا  
هَذِهِ الْمَدِينَةِ بِالْأَمْنِ وَالسَّعَادَةِ تَحْتَ لَوَاءِ مَخْدُومِهِ الْحَفْصِيِّ [الْكَامل]<sup>(89)</sup> :

٢٥- لِلَّهِ حِنْصَنْ رَفَرَفَهَا بِسَعَادَةٍ هَدَتْ الْجَرِبَرَةَ<sup>(90)</sup> لَحْرَفَا وَشِرِيشَا  
٢٧- أَمَّتْ إِمَامَ الْقَسْدَلِ خَالِعَةَ بِهِ مِنْ أَغْمَلِ التَّارِيَثِ وَالثُّخِرِيشَا  
٢٨- وَإِلَيْهِ حَفَّتْ وَالرِّجَاحَةُ فِي الْهَرَى أَنْ يَجْعَلَ الْأَوَى لَهُ وَيَطِيشَا  
٣٠- وَبِخَيْلِهِ اغْتَعَمَتْ غَلَى حَبْلَهُ مُتَخَاشَةً لَا تَشِيرَى نَهْرِيشَا

وَيُرِى الشَّاعِرُ أَنَّ مَرَاكِشَ تُؤَيِّدُ إِشْبِيلِيَّةَ فِي بَيْعَتِهَا لَأَبِي بَحْسِي . فَهَلْ أَنَّ الشَّاعِرَ يَالْغَ

(84) السَّعِيدُ الْمُوَحَّدِيُّ .

(85) أَبُو زَكْرَيَا الْحَفْصِيُّ .

(86) د/اص ١ - ٨٠ .

(87) الْمَفْصُودُ هُوَ السَّعِيدُ الْمُوَحَّدِيُّ .

(88) فِي الْمَغْرِبِ : 423/١ : مَالَفَةَ .

(89) د/اص ٥ - ٤٠٤ .

(90) الْمَفْصُودُ جَزِيرَةُ طَرِيفَ .

لأن مراكش لم تعرف مطلقا بالحفصيين أو أنه أراد أن يشير إلى بعض الانبعاثات بها  
مزيدة للحفصيين ؟ قال [الطويل]<sup>(91)</sup> :

20- وَلَبِسْتَ لَهُ مَرَاكُشَ بِقَرَازَةٍ وَأَنْتَ وَمَازَالْتُ مُظَاهِرَةً جَسْمَكَ  
26- لِيَحْمِصَ مِنَ الْبَشَرِيِّ مُجِلاً قَدَاهُمَا يَهْبِئُهَا شَغْفِي لِتَخْصِي الْهَذِي مَخْصَمَا

## العدوة الإفريقية في ديوان ابن الأبار

### 1 - ابن الأبار بإفريقية :

لقد فرّ ابن الأبار بعد أن سقط وطنه في 17 صفر 636/29 سبتمبر 1238 الانتقال إلى العدوة الإفريقية . وقد شجعه على ذلك ما وجده لدى أبي زكريا الحفصي من حفاوة وتقدير عندما جاء موفداً من قبل مخدومه ابن مرديش أمير بلنسية قبل سقوطها . ويبدو أن ابن الأبار اختار طريق البحر رأساً من بلنسية إلى بجاية . وهذا نفهمه من مطلع قصيدتين قالهما في مدح الولد الأكبر لأبي زكريا وهو أبو يحيى أمير بجاية . قال في الأولى مادحاً وموجياً بالطريق الذي سلكه للوصول إلى العدوة الإفريقية [الكامل]<sup>(92)</sup> :

1- شَوَّرُ الْهَذِيَّةَ مَا أَفَاءَ وَلَا خَسَا فَقَبَ السَّفَرَ وَبَشَرَ الْمَلَائِكَا  
2- وَسَئَلَ الْإِمَارَةَ مَا تَطْلُعُ فِي الدُّجَى مِنْ فَنَكَ اسْفَلَ الْعُبَيْسَاجِ صَبَاحَا  
3- فَاغْقَلَ يَأْبَرُهَا حَزَارِيلَ الْيَسِي حَلَازُشَ الْقَفَوزَ الرَّبِيعِ رِبَابَحَا  
9- وَاصْدَفَ عَنِ الْبَخْرِ الْذِي قَيْتَهُ ثَقَدَلَ لِخَرْ تَوَاهِيَا، ضَحْضَاحَا

وفي الثانية أتضح لنا فعلاً أنه سلك طريق البحر عندما وصف اختصاره حتىقة لا  
مجازاً [الرمل]<sup>(93)</sup> :

1- عَبَرَ الْبَخْرَ يَسُومُ الْأَخْرَاجَا آتَيْسَا فِي وِزْدِهِ أَنْ يَعْصِدَهَا  
2- وَامْتَصَى اللُّجْنَةَ حَضْرَاءِ بِمَا إِلَفَ الْقَفَيْشَ لَذِيْهِمْ حَضْرَاءِ

. 340 د/ص (91)

113 د/ص (92)

185 د/ص (93)

3- تَحْاضِنَ صَدَرَ الْهَمُولْ جَهْمًا عَابِسًا يَتَجَهِّيْهِمْ ضَاحِكًا مُسْتَبْرَا  
4- وَسَمَا لِلْقَابِةِ الْفُصُوْيِّ عَلَى خَطِيرٍ أَخْرَى عَنْهُ الْأَخْطَرَا

وإذا ثبت فعلاً أن ابن الأبار قال مدحّته الثانية في الأمير أبي بحبي في أواخر سنة 1238/637 أو بداية 1239 . فإنّ هناك أمراً يثير انتباها في هذه القصيدة ، ذلك أنّ ابن الأبار يخاطب المسدوح بولاية العهد قائلاً [الزمل]<sup>(94)</sup> :

69- يَأْوِيْ الْعَهْدِ فِيمَا طَالَمَا ئَسَافِسَ الدِّينَارِ فِيهَا الْمُبَرَا<sup>أَسَافِسَ الدِّينَارِ فِيهَا الْمُبَرَا</sup>  
70- هَالَّا مَا حَبَرَهُ مِنْ مَدْحَرٍ جَنْتُ غَسْنَ تَقْصِيرٍ هَسَا مُقْتَدِرًا  
71- وَهِيَ الْإِنْزَةُ أَغْيَا رَصْنَهَا لَظِيمَ الْخَمْدَلَهَا أَوْ ثُبَرَا

والإعلان رسميًّا عن تعيين أبي بحبي لولاية العهد لم يتم إلا في سنة 1240/638 كُمَا ذكر المؤرخون . فما هي الرواية الصحيحة يا ترى ؟ هل أنّ الناس اعتادوا — وابن الأبار منهم — أن يروا الحاكم يسند ولاية العهد لابنه الأكبر ، فيخاطبونه بذلك ولو لم يقع الإعلان عنه بصفة رسمية ؟ أو أنّ ذلك سياسة من أبي زكرياء في حذره وهو يخاطر رويداً نحو الاستقلال نهايتها بإفريقية عن الدولة الأم ؟

## 2 - نكبة ابن الأبار الأولى

لم يقم ابن الأبار إلا بضعة أشهر ببيجاية ، انتقل إثرها إلى تونس ، وأحسن أبو زكرياء استقباله وقدر مواهبه وعهد إليه بالكتابة في ديوانه . ثمّ أُسند إليه كتابة الإنشاء والعلامة في سنة 1240/638 بعد وفاة ابن الجلاء البيجائي . وكان ابن الأبار يكتب العلامة السلطانية بالخط المغربي . وكان أبو زكرياء يُؤثِّر أن تكتب بالخط المشرقي . لهذا السبب عهد بكتابتها إلى أحمد بن إبراهيم الغساني ، وطلب من ابن الأبار أن يقتصر على إنشاء الرسائل وكتابتها وأن يدع مكان العلامة فيها للخطاط الجديد ، فغضب ابن الأبار واعتبر أن في ذلك مسًّا بكرامته واستمرّ في كتابة العلامة بخطه المغربي فعُرِّض في ذلك ورجوع فاستشاط غضباً ورمى بالقلم من يده وأنشد :

أَطْلُبُ الْعِزْرَ فِي لَظِيْ وَذِرَ الدُّلْ لَ وَلُوْ سَكَانَ فِي جَنَانِ الْحَلْوَدِ

(94) د/ص 188

ووصل الخبر إلى السلطان فصرفه عن العمل وأمره بلزم بيته . وفي هذه المدة التي قضها ابن الأبار تحت الإقامة الجبرية ألف كتاب (إعتاب الكتاب) .

هذا ما جاء مختصرا في كتب التاريخ من أسباب في نكبة الشاعر الأولى . ولقد لمح ابن الأبار في مقدمة كتابه الإعتاب إلى ذلك، فاعترف بأنه (جاء شيئاً إداً) (95) وفي خاتمه يشير — والمقصود هو ذاته — إلى خطورة اللسان على الإنسان (96) فيما يتعرض له من نكبات .

وفي نفس هذه الخاتمة يذكر ابن الأبار أن السلطان عفا عنه (97) ، ولكن ما راشه إلا وأنور الكريبا يخبره في الرحيل بين التشريف والتغريب (98) . وسقط في يد الشاعر وبدأ يستعد للسفر وبيع أدباده بأبخس الأثمان (99) ، فكانت حالته مع أمرته في هذه الفترة شبيهة بما قاساه لما سقط وطنه بنسية في يد النصارى واضطر للرحيل عنه (100) . ومع ذلك لم يأس الشاعر من الحصول على عفو السلطان فكتب إليه بمعطفه ويقر بذنبه نادما نائبا [الكامل] (101) :

- 4— نَذْمِي ، عَلَى مَا نَذَمْنِي ، ذَائِمٌ وَعَلَامَةُ الْأَوَابِ أَنْ يَتَذَمَّمَا
- 5— يَا طُولَ تُوسِي مُبْشِلاً بِخَرِبَةِ إِنْ لَمْ تُجِزِّنِي بِالْتَّخَلُّوْرِ مُبْعِنَا
- 7— فَأَحَقُّ مِنْ تُولِسِي إِلْفَالَةِ عَالَيْرُ لَمْ يَسْجِبْ عَلَى الْهَدَى قَطُّ الْعَقْسِي
- 8— أَقْصَاهُ غَنِنِكَ تَرْلِفْ بِعَطِيشَةِ تَحَالَ الصَّوَابَ بِخَلَآهَا وَتَوَهَّنَا
- 9— وَلَقَدْ تَحْفَظَ فِي الْمَقَالَةِ جَهِيدَه لِكُنْكَه لِمَيِي الْخَدِيثُ وَلَمِنَا
- 10— فَذَعْلَمْتَهُ تَجَبَّتِ الْجَهَنَّمُ الْعَلَى يَكْبِيْهِ أَنْ قَوْمَتَهُ تَقْوَمَا

(95) الإعتاب ص 46 .

(96) الإعتاب ص 354 .

(97) الإعتاب ص 354 .

(98) الإعتاب ص 355 .

(99) الإعتاب ص 355 .

(100) الإعتاب ص 356 .

(101) د/ص 5 — 274 .

وللتعجيل يغدو السلطان قبل تغريد قرار النبي ، استفع بالأمير أبي عبد الله محمد ، ونطأرخ عليه حتى يتدخل لصالحه لدى والده ، وأشده إمجزوء البسيط<sup>(102)</sup> :

- ١ - مَرْوِلَانِي دَامَتْ لَكَ السُّقُودُ أَخْطَابُ لَا أَغْزِدُ
- ٢ - مَالِسِي نَرَاجُ وَلَا اِبْرَازَ مَوْنِسِي فِي أَرْضَكُمْ لَخْلُودُ
- ٣ - كُنْ لِي شَبِيعًا إِلَى إِمَامٍ لَنِسْ عَلَى فَضْلِهِ مَرِيزَ
- ٤ - غَادَتْهُ الْغَسْرُ وَالْمَوَالِيَ نَفَسُرُ إِذَا أَخْطَابَ الْعَبْدَ

وفي شهر رمضان كما جاء في خاتمة كتاب الإعتاب دون ذكر للسنة<sup>(103)</sup> بدأ في الأفق ما أعاد الاطمئنان النببي لنفسه ، فبشر عائلته وأسرع بمعاقبة المولى أبي زكرياء حتى يتراجع في فراره الأول . قال [السريع]<sup>(104)</sup> :

- ١٠ - أَذَّنْتَ لِكَنْ ثَابَ مِنْ قَسْرِهِ وَفِي قُبُولِ الْثُوبِ رَفِيعُ الْخَيْرِ
- ١١ - حَسِبَيْ شَبِيعًا لَكَ بِي مَفْرِسِي حُبُّ وَلِصْنَعِ وَلَكَ صَرَاعَ
- ١٢ - بَرُخَ بِي الشُّرُقُ إِلَى حَضْرَة<sup>(105)</sup> لَنِسْ لِقَزْ وَفَتَ غَنْهَا نَرَاجُ
- ١٣ - رَهْمَتْ فِيهَا يَا فِسْرَابِ قَلْمَنْ شَمِيزَ لِي الْأَقْدَارِ غَيْرَ اِبْرَازَ<sup>(106)</sup>

وفعلاً عفا السلطان عن الشاعر قبل حلول العيد ولعله بعد الفطر فعبر عن فرحة الكبرى بقوله [مخلع البسيط]<sup>(107)</sup> :

- ١ - قَابَلْتُ لَعْمَانَ بِالسُّجُورِدِ لِلَّهِ مِنْ عَطْفَتِي وَجَسِودِ
- ٣ - قَدْ وَحَلَ الْأَمْرُ وَالْأَمْرَ بِي بِمَدِيَّةِ الْمُحَافَّةِ وَالصُّدُودِ



257 الإعتاب من

(103) تشير المصادر إلى أن ابن الأبار لم يسكن طربلا في كتابة العلامة والإنشاء وغضب عليه أبو زكرياء ، ثم هو من جهة أخرى يذكر الأمير أنا يحيى وبعبيض (ولي العهد) ، وقد تولى هذا الأمير ولادة العهد في رب 638/1240 . فمن المرجح أن يكون ابن الأبار تكب في السنة الأولى في أواخر الثلاثينيات من القرن 7 هـ/13 م .

(104) الإعتاب ص 9 — 258 .

(105) حضرة بمعنى مجلس .

(106) أحظى المحقق عندما ذكر أن الشاعر قال هذه القصيدة وهو في بجاية . وكما يفهم من خاتمة الكتاب في هذه المحنة فإن السلطان عفا عنه قبل أن يرحل . والقصيدة مرجوحة في خاتمة الإعتاب .

(107) د/ص 169 — 170 .

10- مَنْخَتْ عَمَدًا غَنِيَ الْحَطَايَا وَتَلَكَ مِنْ عَيَاةَ الْعَبَيدِ  
 14- تَاغُرْرَةَ الْعَبَيدِ أَجْلَيْهَا نَسُومِ رِضَاكَ الْأَغْرِرِ عِبَادِي  
 ولم ينس الشاعر أن يشيد بشفاعة الأمير أبا عبد الله لدى والده فقال يخاطبه  
 [الوافر] (108) :

1- أَبَا بُشْرَائِي فَذَرْضَعَ الْقَبْوُلُ وَصَحَّ مِنَ الرُّضَى أَمْلَ وَسُولُ  
 2- وَشَفَعَ لَجْلَهُ الْأَزْكَى إِنَّا مِنْ صُرِّمَثْ وَسَائِلَسَهُ وَصَوْلُ  
 3- فَمَا لِسَوَاهُمَا فِي الصَّفَحِ عَنِي يَدَ عَلِيَا وَلَا مَنْ جَرِسْلُ  
 4- أَفَالَيْهِ الْخَلِيفَةُ مِنْ عَسَارِي فَمَاذَا فِي إِفَالَيْهِ أَفْوَلُ  
 8- أَذُوبُ إِذَا أَحْجَبَ عَنِهِ شَنْقَا إِلَيْهِ فَكَيْسَفَ لَزَرْ أَرْفَ الرَّجِيلُ

لقد نجح الأمير في مسعاه وانقذ الشاعر من حياة الضياع والثرد ، فقال ابن الأبار  
 [الطويل] (109) :

1- أَجَارَ مِنَ الْحَطَبِ الْأَمِيرُ مُحَمَّدٌ فَقُبْنَتْ بِمَا أَوْلَاهُ أَثْرِيَ وَأَخْمَدَ  
 7- وَنَسْنَ يَكُ قَرْعَا لِإِلَمَامَةَ وَالْهَذِي فَلَيْلَ حَنَاءَ الْمَغْضُ نَخْدَ وَسُودَدَ  
 8- رَأَيَ مَرْدُودَ الشَّرَائِعِ كُلُّمَا تَقْرَبَتْ بِالْأَخْلَاصِ أَفْسَى وَأَنْقَدَ  
 9- نَصِيبِي مِنَ الْأَدَابِ حِزْقَهَا النَّسِي تَبَثَّ بِهَا حَارَّاً لِمَسْنَ بَاتَ يُسْعَدَ  
 10- وَلِلْخَظَ لَخَظَ كُلَّ دُوَيْسَيْ خَالِمَكَارِي وَلَيْلَهَا شَعَاعَ وَأَرْمَدَ  
 11- فَجَمَعَ مِنْ شَمْلِي ، وَشَمْلِي مُفْرِقَ وَرَفَةَ مِنْ شَرِبِي وَشَرِبِي مُصْرَدَ  
 12- ثَشَفَنَتْ فِيهَا إِلَمَامَ يَنْجِلَهُ وَنَقْمَ شَفَيْبَعُ الْمُذَبِّيَنَ مُحَمَّدَ

### 3 - ثورة بنى غانية :

تعتبر ثورة بنى غانية الفادمين من الجزائر الشرقية (جزر البلمار) التي المباشر لقيام الدولة الحفصية . فلو لا هذه الثورة لما عهد الناصر الموحدى لأبي محمد عبد الواحد ابن أبي حفص بولاية إفريقيا ، باعتباره حاكما ثيبه مستقل ليتمكن من مواصلة تنبع ابن غانية . وقد اغتنم أبا زكريا فرصة ضعف الدولة الموحدية واستمرار خطر بنى غانية للاستقلال نهائيا بإفريقيا .

(108) الإعتاب ص 1 - 260

(109) د/ص 171 - 172

وقد مرت ثورة بنى غانية بمرحلتين :

1 — المرحلة الأولى وترعىها على بن إسحاق الآتي من ميورقة . وببدأها باحتلال  
بحيرة يوم 6 شعبان 580/13 نوفمبر 1184 وتنتشر ثورته إلى موته جريحا إلى معركة  
الحمة في سنة 584/1188 .

2 — المرحلة الثانية وترعىها يحيى بن غانية بعد موت أخيه على وسيقى هذا التأثير  
حوالى نصف قرن يناسب العداء كلاً من الموحدين والحفصيين . وتمكن في 7 ربيع  
الثاني 600/14 ديسمبر 1203 من الاستيلاء على مدينة تونس . ولم تنته هذه الثورة  
إلا بموت يحيى بن غانية في 633/1237 فرب مليانة . وكان لأبي زكريا الحفصي  
مؤسس الدولة الحفصية الفضل الأكبر في القضاء على هذه الثورة .

لقد بقي صدى هذه الثورة يرن في أصوات إفريقيا والمغرب الأوسط طيلة فترة حكم  
أبي زكريا . ولهذا قلما تخلو القصائد المدحية التي دبّجها ابن الأبار في هذا الأمير وأبيه  
زكريا ومحمد<sup>(110)</sup> من الإشارة إلى فشل بنى غانية وخاصة فشل بطل المرحلة الثانية  
من هذه الثورة وهو يحيى بن غانية .

لقد ذهبت — في نظر ابن الأبار — جهود هذا التأثير ومساعيه أدراج الرياح كما  
ضاعت جهود من سبقه من عائلته وخاصة على بن إسحاق أخيه . قال الشاعر  
[الوافر]<sup>(111)</sup> :

*مَرْكَزُ الْعِلْمَاتِ تَكَوَّنُ بِهِ طَرْفَ الْمَدِي*

42— فَمَا أَغْنَى ابْنُ غَانِيَةَ فِي لَا وَمَا أَجْذَى ذُوَّةَ شَرِّ غَلِيَّ  
43— وَأَخْكَامُ الْلَّيَالِي حَارِيَاتٍ عَلَى الْمَنْخُوبِ<sup>(112)</sup> فَلْيَا وَالْجَرِيَّ  
44— فَإِنْ كَانَتْ لَهُ الْهِيجَاءُ شَرِبَّا فَقَدْ ذَادَهُ أَطْرَافُ الْعَصْبَيِّ  
45— وَإِنْ تَكُنَ الشَّفَاوَةُ أَسْئَلَةً فَلَمْ يَكُنْ لِلْسُّمَادَةِ بِالشَّيْءِ

(110) ذكر الشاعر بنى غانية مرات متعددة في ديوانه وخاصة في خمس مناسبات : 4 منها بمناسبة  
 مدح ولئي العهد أبي يحيى زكريا أي أنها فيلت ما بين 638/1240 و 646/1248 وقصيدة  
 مدح بها ولئي العهد سجدة أي سنة 646/1248 . وذكر الشاعر دائمًا بنى غانية بمناسبة  
 مدح ولئي العهد الأول أو الثاني يمكن تفسيره من الناحية النفسية : إن ولادة العهد هي رمز  
 لاستقرار الدولة وابن غانية رمز لانقطاعها فكلما ذكر الرمز الأول خضر ياله الرمز الثاني .

(111) د/ص 8 — 427

(112) الجان .

وثورة ابن غانية هي ضرب من الفساد في الأرض ، وفي القضاء عليها من طرف أبي زكريا راحة للبلاد وللعباد [الكامل]<sup>(113)</sup> :

- 24- أَبْنَى أَبْنَى غَانِيَةً وَأَبْنَى غَنَاؤَهُ لَا ذَلَّكَ مَسْخُوسُ الْوَجْهِ وَدَلَّا ذَلَّا  
 25- آذَى وَآذَ فَسَادَهُ وَعَنَّادَهُ فَكَفَى السَّوْرَى مَا آذَ مِنْهُ وَآذَى  
 26- وَبَحَاءُ وَفَوَّيْزُ أَقْرَانَ الْوَغْيَى فَمَحَاهُ بَأْقَالَهُ بَذَادَا
- ولكن المندوح الحفصي استطاع أن يقضي عليه ويتحقق أتباعه . قال ابن الأبار بعد أن عد القبائل التائرة التي استطاع أبو زكريا أن يخضعها لسلطانه [الوافر]<sup>(114)</sup> :
- 70- وَفِي سَخِينِ أَبْنَى إِسْحَاقَ اغْتِيَارَ  
 71- سَخَاهُ<sup>(115)</sup> وَكَانَ ذَا دَفِي طَوِيلَ  
 72- وَإِنْ هُوَ لَمْ يَسْأَمِرْهُ ضِرَابًا  
 73- وَكَمْ غَشَى الْوَغْيَى وَلَهُ زَيْرَ  
 74- وَطَازَ إِلَى غُصَارِ الْمَوْتِ صَفَرًا  
 75- سَيُوفُ تَيْسِي أَبْيَ خَفَصَرْ تَفَنَّهَ<sup>(116)</sup>  
 76- وَلَوْلَامَاتِ سَعْرَقَمَا حَرَوَنَا كَمَا اضْطَرَّمَتْ عَلَيْهِ لَظَى السُّبَرِ

لقد أصبح هذا التائر وقومه أثراً بعد عين [البسيط]<sup>(117)</sup> :

- 33- أَبْنَى الْجَبَابِرَةَ اسْتَوْلَوْا إِلَى أَنْدَ فَاسْتَأْتَلَهُمْ عَوَالِيهِ بِمَا صَالَوْا  
 34- آلَثَ قِوَاءِ مَعَانِي آلَ غَانِيَةَ بِهِ وَغَالَهُمْ بِلَدَفِيرِ الْأَغْوَالِ  
 وعبرة لمن يعبر [الكامل]<sup>(118)</sup>

- 3- فَسَمَ الْجَبَابِرَةَ الَّذِينَ ثَمَرُدُوا وَكَسْمُوا صَرْخَ الشَّنَاقِ مُمَرِّدًا  
 4- أَبْنَى أَبْنَى غَانِيَةً وَأَبْنَى غَنَاؤَهُ لَا مُلْحَدَ إِلَّا وَأَصْبَحَ مُلْجَدًا

(113) د/ص 183

(114) د/ص 197

(115) الضمير يعود على المندوح وهو أبو زكريا .

(116) الآيات لا تخلو من تلميح إلى قوة هذا التائر وبأسه وما عاناه الحفصيون في مقاومته وإخضاعه .

(117) د/ص 245

(118) د/ص 167

٤ - ثورة أبي عبد الرحمن يعقوب الهرغى<sup>(119)</sup> :

إن نكبة الهرغى حاكم طرابلس مرتبطة شديدة الارتباط بنكبة صاحب الأشغال بتونس ، وهو محمد بن محمد الجوهرى . لقد كان هذا الأخير في عداوة شديدة مع رئيس الدولة أبي على بن التعمان والوزير أبي عبد الله ابن الحسين والوزير أبي بحبي بن أبي الحسن بن جامع . فأوغرروا صدر الأمير أبي زكريا عليه . فأمر بالقبض عليه وتعذيبه ليستخرج منه الأموال ، فتجدد ولم يظهر من الأموال شيئاً . ثم وجد بعد ذلك في سجنه ميتاً قد خنق نفسه بعمامته في شوال سنة 1241/639 .

وكانت بين الجوهرى ويعقوب بن يوسف بن محمد الهرغى حاكم طرابلس صدقة متينة فاستوحش مما فعله أبو زكريا بصديقه . فلما استقدمه السلطان إلى تونس تلکأ وفكّر في الاستبداد بالأمر ، لكن أهل البلد تقطّعوا فقبضوا عليه وعلى أخيه وعلى أتباعه وأعلموا أبا زكريا ، فأمر بقتلهم وبعث رؤوسهم إلى تونس فنصبت بسورها ونصبت الأشلاء بأسوار طرابلس . فقال ابن الأبار يصف رؤوس القتلى متشفياً [الكامل]<sup>(120)</sup> :

- ١- وَعَصَابَةٌ قَطَّفَتْ رُؤُوسَهُمُ الظُّلُى قَطَّفَتْ الْبَشَانَ أَزَاهَرَ الْبُشَانِ
  - ٢- غَدَرُوا وَمَا شَعَرُوا بِأَنَّ وَرَاءَهُمْ لِلْخَيْرِ أَصْنَارًا غَلَى الْبَهْنَانِ
  - ٣- فَانظُرْ إِلَى هَامَاتِهِمْ مُسْتَوْدَةً كَاللَّبَيلِ غَيْرَ بَهْرَاقِ الْأَسْنَانِ
  - ٤- لَأَخْتَ مِنَ السُّرُورِ الْمُبِيفِ بِصَفْحَةٍ تَسْيَقَهُ كَالشَّامِسَاتِ وَالْخَيْلَانِ
- وبقي صدى هذه الثورة عالقاً بذهن الشاعر ، فلما وقف يمدح أبا زكريا وولى عهده أبا بحبي بمناسبة فتح تلمسان سنة 1242/640 لمح إلى ما آل إليه مصير من عصى وغوى بطرابلس . قال [الطويل]<sup>(121)</sup> :

- 58- كَفِيلٌ يَقْهِرُ الْعَزْبَ وَالْعَجْمَ بَاسَةٌ وَلَا يَعْجِبُ أَنْ يَقْبِضَ الْأَجْدَلَ<sup>(122)</sup> الصَّعْوَ<sup>(123)</sup>
- 68- فَبِلَكَ تَلْسَانٌ وَمَلِيَّانَةُ إِلَى طَرَابِلَسٍ رُوعَ مُجَدَّدَةُ رَغْرَى<sup>(124)</sup>
- 69- بِلَادَ سَقَتْ بِهَا الطُّعَاءَ سَعْوَدَةُ كُرُوسٍ مَنَابَهَا حَرَاءُ عَلَى الطُّسُوَى

(119) هذا النازل يعني من كبار شيوخ الموحدين .

(120) د/ص 293 .

(121) د/ص 422 و ص 423 .

(122) الأجدل : المصقر .

(123) الصَّعْوَ : صغار العصافير .

(124) الرَّعْوَى : التربة .

## 5—فتح تلمسان :

حضر الشاعر فتح تلمسان بفصيدة كاملة (ف. رقم 2 ص 41) وأشار إلى هذا الحدث الكبير بالنسبة إلى الدولة الحفصية في مدحه لأبي زكرياء<sup>(125)</sup> في القصائد التالية في 48 ص 383 وفي 176 ص 379 وفي 201 ص 417 .

وقد علل جل المؤرخين وعلى رأسهم ابن خلدون فتح أبي زكرياء تلمسان بخوف الأمير الحفصي من تحالف ثلاثي ضده بين السعيد الخليفة الموحدى (1242/640) — 6/1248 وأبي يحيى بغراسن صاحب تلمسان والأمير المربي أبي يحيى بن عبد الحق . وقد تم فعل التحالف بين الأول والثاني فأسرع أبو زكرياء بالهجوم على تلمسان لإفساد هذا التحالف ونجح في ذلك نجاحاً كاملاً .

أما ابن الأبار فيرى في الهجوم على تلمسان ضرب من نصرة الدين والغضب لله . وهذا هو السبب الذي ترجمه الخاصة لإقناع العامة ، ولتبرير هذه المحراب الداخلية . قال الشاعر [البسيط]<sup>(126)</sup> :

7— غضبَتِ إِلَهٌ شَرِيعَتِي فَرَأَيْتُهُ فَجَحْتُ ثَرَبِي بِنَهْمٍ لَبِسَ يُحْكَمُ<sup>(127)</sup>  
8— وَقُنْتَ بِالْدُّيْنِ إِفْصَاحًا يُصْرِيْهُ فَاسْحَفَرَتْ<sup>(128)</sup> عِنْدَهَا الدُّبَيْتَانِهَهُ  
9— قَدْ كَانَ مُتَهَكَّمًا جَسْمَ الْهَدَى مَرَضَهَا وَأَنْتَ رُوحَ لَهُ مَا زَلَّ ثَرَفَهُ

ولا تشير المصادر التاريخية إلى أن أبو زكرياء خرج بجيشه إلى تلمسان برأسه وبحماره ، بينما يشير ابن الأبار إلى ذلك بقوله<sup>(129)</sup> :

10— لِلَّهِ جَبْشَكَ وَالْأَسْطُولَ قَدْ ضَمَّنَا لِلْمُقْنَدِي بِالْهَدَى شَرِّاً يَهْذَئُهُ  
12— هَذَا عَلَى أَغْبَرِ الْبَيْدَاءِ يَسْجُرُهُ<sup>(130)</sup>

(125) د/ص 41 .

(126) د/ص 41 .

(127) القتير يعود على العذر .

(128) اسْحَفَرَتْ : أسرعت .

(129) د/ص 42 .

(130) يسْجُرَهُ : يمنوه .

لقد غادر أبو زكرياء تلمسان في شوال 639/أغسطس - ماي 1242 ووصل إلى تلمسان في نهاية محرم 640/جويلية 1242 وحاصرها وأخذها عنوة في شهر ربيع الأول 1242/640 . وأثناء الحصار تمكّن يغمراسن بشجاعته الفائقة أن يفتحم الجيش المحاصير ويشقّ لنفسه ولفرسانه وعائلته طريقاً ويفرّ إلى الجبل . فقال ابن الأبار [البسيط]<sup>(131)</sup> :

16— دَأْتُ غَمَرَاتِ الْمَوْتِ مِنْ يَعْمَرَاسِينَ فَأَجْفَلَ كَالْخَرْقَاءَ يَفْتَشِيفُ الْخَرْقَاءَ<sup>(132)</sup>

17— وَمِنْ خَيْرِهِ<sup>(133)</sup> يَرْوِمُ الْهَبَاجَرَ سَلِيقَةَ سَلَقَةَ مِنْ يَسِينَ آسَادِهِ سَلَقَةَ  
ولمن لم تضبط المصادر التاريخية إلا السنة والشهر اللذين تمّ فيما الفتح ، فقد ذكر ابن الأبار اليوم والساعة<sup>(134)</sup> :

15— أَتَتْهُمْ جَنُودُ اللَّهِ أَصْنَمُ صَنَدُمُ فَحَقٌ عَلَيْهِمْ صَبَحَةَ السَّبَتِ مَا حَفَّا

وقال<sup>(135)</sup> :

59— يُفَاعِرُ فِيهِ الشَّتَّى يَرْوِمُ غَرْوَبَةَ وَمَا كَانَ إِلَّا مِنْ نَائِجَهَا حَفَّا  
ولم يبق أبو زكرياء في تلمسان إلا ليلة<sup>(136)</sup> ، إذ رأى أن من الحكمة أن يغفر عن يغمراسن ويعيده إلى حكم تلمسان باسمه ليكون الدرع الواقي لملكه من خطر الموحدين والمربيين معاً . قال ابن الأبار<sup>(137)</sup> :

18— رَمَاهُ فَأَصْنَمَاهُ يَا قَحَّافَ رَأْسِهِ إِمامٌ هَذِي لَقِيَ الضُّلَالَةَ مَا لَفْسِي

19— وَأَغْدَمَهُ الْمُلْكُ الْذِي اغْتَادَ غَصَبَهُ فَرَاجَعَ سَخْتَ الدُّلَلِيَّ الْمُلْكَ وَالرُّقَّاءَ

381 (131) د/ص

(132) الخرق : الأرض الواسعة .

(133) ما اعتبره الشاعر خبشاً اعتبرته المصادر التاريخية شجاعة وبأساً ونورت بهما .

. 381 (134) د/ص

. 384 (135) د/ص

. 607/6 (136) العبر :

. 381 (137) د/ص

وكان على بغراسن — حسب الشاعر — أن يستند على الركن الأشم وهو أبو زكريا الحفصي لا على العائط المنداعي وهو السعيد الموحدى ، فشتان ما بين الجوارح الكاسرة والطيور الصغيرة الضعيفة . وهنا ينكشف السبب المباشر والحقيقة لهذه الحملة ، لا ماذكره من أسباب دينية واهية . قال ابن الأبار [البيط]<sup>(138)</sup> :

45—أوى<sup>(139)</sup> إلى ضعف الأركان مستيناً وain من كابرات الطير يُؤسِّه<sup>(140)</sup>

لقد كانت ذكرة الاستيلاء على سلا ومراكش تخامر ذهن أبي زكريا سواء قبل فتح تلمسان أو بعدها . فالدولة الموحدية في سنة 1242/640 كانت في حالة احتضار . ومن هنا فإن تحريض الشاعر للممدوح على مهاجمتها ليس من بنات أفكاره وإنما هو أمر متوقع من دولة قوية ناهضة أمام دولة منهارة آفلة . قال ابن الأبار<sup>(141)</sup> :

35—حاورَتْ تلمسانَ فتحَا لاجعاً بسلاً يكُفُّ مِنْ كُفَّرَ الثُّغْمَى وَيَكْفُرُ  
36—وانهدَ لِمَرَاكِشِ تَسْعَدُ بِهَا فَلَا<sup>(142)</sup>

فتح تلمسان فعلا هو تهديد لسلا ومراكش وهو إنذار في نفس الوقت لفاس وسبة ولنصارى الأندلس قال الشاعر<sup>(143)</sup> :

34—وَهَلْ سَكَتْ فَاسُ وَسَيْنَ بَعْدَهُ أَمْ اصْنَكَتْ كَالْحَافِقَيْنِ لَهُ تَحْفَصَا  
35—لَقَدْ بَاتَ أَهْلُوهَا بِلَلَّهِ مَا يَخْضُرُ وَقَدْ غَصَّتْ وَضَعَّا وَمَا فَشَرَثْ طَلْقَا  
36—وَهَلْ أَعْذَثْ رُومُ الْحَزِيرَةِ جَذَرَهَا مِنْ الْفَشَكَةِ التَّكْرَاءِ ثَمَحَقَهُمْ مَحَقَا

(138) د/ص 45 .

(139) بغراسن

(140) أساء المحقق فهم هذا البيت .

(141) د/ص 44 .

(142) الاستيلاء على عاصمة الدولة الموحدية وهي مراكش سيكون غيضا دون حرب نظر إلى ضعف هذه الدولة .

(143) د/ص 383 .

وبفتح تلمسان سيعتَد ملك أبي زكريا من تلمسان وملبانة غربا إلى طرابلس شرقا .

قال ابن الأبار (144) :

66— يُعْرِفُ صَرْفَ الدَّهْرِ فِي النَّاسِ حَكْمَةً فَإِنْ عَصَمَ الْأَمْسِدِيَّ لِقَدْ قَضَمَ الْأَغْسَوَى

67— وَيُزَوْدِي لَهُ شَرْقُ الْبَلَادِ وَغَرْبُهَا لِيَلْتَعِي مِنْهَا مَلْكَةً كُلُّ مَسَايِّرِهِ

68— فَيُلْكِنَّ تِلْمِسَانَ وَمَلْبَانَةَ إِلَى طَرَابِلْسِ رَوْعَانَجَدَدَةَ رَغْرَى (145)

## 6 — بيعة مدن إفريقية لأبي زكريا

بدأ مسلسل الاعتراف بالسلطة الحفصية في بلاد المغرب والأندلس منذ أن برهن أبو زكريا على أنه رجل العوائق الصعبة . فقد استولى على بجاية وقسنطينة في سنة 1230/628 ثم قُضى على ثورة ابن غانية في سنة 1234/631 وببدأ التفكير في غزو تلمسان . قال ابن الأبار [الطوبل] (146) :

8— وَلَمَّا أَجْبَثَ التَّاصِرُّيَّةَ نَاصِرًا وَجَبَثَ إِلَى الْبَطْحَاءِ يَنْدَاهَا رَكْضًا

9— ذَعْنَكَ تِلْمِسَانَ فَلَبَثَ صَرْتَهَا مُجِرًا وَأَبَابُ الْجَزَرِ يُوَسِّعُهَا غَصًا

وفعلا تم فتح تلمسان سنة 1240/640 فتوأ هذا النصر أبي زكريا مكانة مرموقة في أعين أتباعه ومناوئيه ، داخل إفريقية وخارجها ، وأصبح مؤسس هذه الدولة الجديدة قوة تُرجحُ وزعماً يُتفق . قال الشاعر [طوبيل] (147) :

9— ذَعْنَكَ تِلْمِسَانَ فَلَبَثَ صَرْتَهَا مُجِرًا وَأَبَابُ الْجَزَرِ يُوَسِّعُهَا غَصًا

15— أَبْتَحَ جَمَاهَا قَادِرًا وَحَمِيقَةً فَعَادَرَتْ حُبُّ الْقُدْرِ فِي صَرْتَهَا بُعْضَهَا

16— وَخَلَفَتْ جَبَشَ الرَّغْبِ فِي أَخْرَاهَا يُسْقِطُ عَلَيْهِمْ الْمَضَاجِعَ مُشَفَّعًا

وكان أبو زكريا قبل ذلك بستة أي في سنة 1239/639 قد قُضى على ثورة طرابلس وهي في المهد وقتل واليها عبد الرحمن الهرغى أحد كبار شيوخ الموحدين . وهكذا

(144) د/ص 423

(145) الرُّغْبُ : التوبة وحسن الرجوع :

يشير إلى فتح تلمسان سنة 1240/640 وإخماد ثورة الهرغى في طرابلس 1241/639 .

(146) د/ص 346

(147) د/ص 346

لم يمنعه بعد المسافة بين أطراف مملكته من أن يضرب شرقاً وغرباً . قال ابن الأبار [الطوبل]<sup>(148)</sup> :

- 58 - كَفِيلٌ يَقْهُرُ الْمَغْرِبَ وَالْعَجْمَ بِأَسَهٌ  
68 - فَيْلَكَ تِلْمِسَانٌ وَمَنْيَاةٌ إِلَى طَرَائِسِ رُوعَامَّجَدَةَ رَغْسَوَى  
69 - بِلَادٌ سَقَتْ فِيهَا الطُّفَّاهَ سَعْوَدَةَ كُؤُوسَ الْمَنَابِأَ جَرَاءَ غَلَى الطُّفُّوَى

وبالفورة خضعت إفريقيا بأكملها للسلطة الحفصية وعادت رياضاً آمنة بعد أن كانت غياضاً ترتع فيها الوحش الكاسرة من ثائرين وعصاة . قال الشاعر [الطوبل]<sup>(149)</sup> :

- 6 - أَطَاغَتْكَ إِفْرِيقِيَّةَ فَكَفَيْتَهَا عَصَنَاهُ عَلَى إِثْلَاقِهَا إِثْلَاقَوا عَصَنَا  
7 - وَكَاثَ غِيَاضًا بِالْعَدَى فَأَعْذَثَهَا رَيَاضًا يَسِّرُفُ التَّزُّرُ اثْنَاءَهَا غَصَنَا

وفتح تلمسان واستباب الأمن داخل إفريقيا ، جعل مدن المغرب الأقصى تراجع سياستها مع الدولتين المتواجهتين على الساحة : وهما الدولة الموحدية الضعيفة والدولة الحفصية القوية : فبالنسبة إلى المدن التي مازالت خاضعة لدولةبني عبد المؤمن ، فقد كثر فيها الفساد . ولعن غصن أبو زكريا الطرف عنها فما ذلك إلا من باب العنان والرفق بالجانب لعله يرعوي عن غبة من تلقائه نفسه . قال ابن الأبار [البسيط]<sup>(150)</sup> :

- 48 - سَلَّا عَنْ (سَلَّا) مُدْظَلَّهَا الْعَلَيْرَضُ الَّذِي أَطْلَلَ عَلَى مَسْرَأَكُشْرَ يَخْمُلُ الصَّفَقَا  
49 - وَأَسْرَفَ أَهْلُوهَا مَعَاصِيَ أَوْ بَقَتْ فَمَا زَادَ أَنْ أَغْضَنَهَا وَأَنْ أَنْقَى  
50 - كَانُ مَشِيدَ السُّورِ شَاءَ الْهِدَادَةَ لِيَظْفَرَ بِالْأَشْفَى عَلَى يَدِهِ الْأَنْقَى  
51 - وَإِلَّا فَكَيْفَ ائْهَالَ مِنْ كُلِّ جَانِبِ كَمَا ائْهَالَ الْكُتْبَانَ وَائْهَارَتِ الْأَنْقَا

وبالنسبة إلى المدن التي خرجت عن الطاعة الموحدية أو هي بصدده المحاولة ، فإن فتح تلمسان س يجعلها تعيش حالة مخاض من الخوف والحيرة والتردد . ولكن كل ذلك

422 - 423) د/ص (148)

345 - 346) د/ص (149)

383) د/ص (150)

يسريع بها لأخذ قرار البيعة لأنبي زكريا الحفصي ، لهذا نسائل الشاعر عن وقع الفتح  
في نفس مساكنها ومن حاورهم من روم الجزيرة الأندلسية فائلا [الطويل]<sup>(151)</sup> :

- 34- وهل سكت فاس وستة بعدها أم افتعلت كالخافقين لـ خفتا  
35- لفذ باث أهلوها بليلة ماضيا وقد عضلت وفتحوا وما فرث طلقا  
36- وهل أخذت روم الجزيرة جذراها من الفنك التكراء تمحققها مخفيا

وقد بادرت سبعة مع حاكمها أبي علي بن خلاص سنة 640/1242 بارسال يعنها  
إلى أبي زكريا . فكانت يعتها بمعناها العلامة الخضراء لبقية المدن المغربية لتعذو  
جذوها وتنحو منحها . قال ابن الأبار [الطويل]<sup>(152)</sup> :

- 8- هبسا لأهل العذورين عذاؤهم بالخلاف عليهم في المخلصين الأطاسب  
9- أطاغوا الإمام المرتضى وشاقوا إلى سبي تهدي إلى الرشد لا جب  
10- إلى مذهب شهادة ستة فاصد بـ غذروا على زائغات المذاهب

وجاءت بيعة فاس معترفة بالخلافة الحفصية بعد أن راجعت نفسها وبدا لها طريق  
الهدى والصواب . قال الشاعر [الطويل]<sup>(153)</sup> :

- 27- وأخذوا به (فاس) أن تراجع رشدها وفذه حث (مرأكش) عيّها زختا  
31- فخيّرك منها بالخلافة حيث لم يبلغ حد أعراف الغلاف لها نجعا  
32- ئشيّعت الأنصار فيك فرخزت غذائلك غير أغلى متاجرها زمضها

وبعد مدن الشمال المغربي أنت بيعة مدن الساحل والوسط من رباط الفتح إلى قصر  
ابن عبد الكريم ومكناة . قال ابن الأبار [الطويل]<sup>(154)</sup> :

- 26- يفتح رباط الفتح تربط المنسى ويحظى بها من باث ناز الونغى يحظى

(151) د/ص 383

(152) د/ص 80 ، ص 81 . انظر كذلك د/ص 347 بيت 21، 22، 23، 24

(153) د/ص 348

(154) د/ص 348

وقال [الطوبل] (١٥٥) :

- 27- وَيَا لَشَرِيشَرَ وَالْجَزِيرَةَ يَا لَهَا وَمَكْنَاسَةَ وَالْفَصْرَ غَرْ فَلَا وَهَصَا  
28- وَأَثَرَ رِيَاشَا فَاسْتَحْسَثَ لَدْغَوَةَ عَلَى رَبَّهَا أَنْ يَكْفِي الْخَسُّ وَالْخَصَا

ثم جاءت مدن أقصى الجنوب فكانت بيعة سجلماة مع حاكمها عبد الله الهرجي (١٥٦) قال ابن الأبار [البسيط] (١٥٧) :

- 1- قَوَابِعُ الْفَشْحِ تَبَّى عَنْ تَوَالِيهِ لَقَذَئِهِ مُلْكُ أَثَرَ وَالْيَهِ  
4- أَثَرَ إِمَامَ الْهَدَى غُرْ رَمْحَجْلَةَ كَائِنَهَا فِي ظَارِبِهِ سَادِكِيَهِ  
9- عَلَى بَلَاقِهِ الْإِجْمَاعِ مُتَقَدِّهَ فَخَاضِرُ الْعَلْقِ طَوْغَا مَثُلُ بَادِيَهِ  
12- يُشَرِّى سَجْلَمَاتَةَ أَغْسَطَهَا مَعَاطِيَهَا أَيَادِيَهِ

## 7 - نكبة ابن الأبار الثانية :

نجد في ديوان ابن الأبار — زيادة على القصائد التي قالها في طلب العفو من أبي زكريا في محنته الأولى ، وضمن أغانيها كتابه اعتاب الكتاب — قصائد أخرى عديدة في طلب العفو من هذا السلطان نفسه . مما يدل على أن الشاعر تعرض إلى غضب أبي زكريا مرة ثانية . وحسب المصادر التاريخية ، نفاه في هذه المرة إلى بجاية ، وبقي مدة طويلة استمرت إلى نهاية حكم العولمي أبي زكريا سنة ١٢٤٩/٦٤٧ (١٥٨) .

ويبدو أن السلطان لم يأمر ابن الأبار بالرحيل وإنما حرمه من الامتيازات التي كان أمثاله من الكتاب والشعراء يستمتعون بها فساقت حاله مأدبا حتى أصبح الشاعر في حالة

---

340) د/ص (١٥٥)

(١٥٦) قتله في نفس السنة — أي سنة ١٢٤٢/٦٤٠ — الخلقة السعيد الموحدي واسترجع المدينة .

411) د/ص (١٥٧)

(١٥٨) ذهبنا إلى هذا التحديد نظرا إلى أن حل القصائد التي قالها الشاعر يطلب العفو من أبي زكريا ذكر فيها الأمير محمدنا باعتباره ولباً للعهد ومن المعلوم أن هذا الأخير تولى عهد أبيه بعد وفاة أخيه يعني سنة ١٢٤٦/٦٤٦ . وربما على ذلك ذكر أبو المطرف ابن عميرة في إحدى رسائله (انظر ابن شريفة : أبو المطرف ص ١٤٨) أن ابن الأبار كان سجابة سنة ١٢٤٩/٦٥٧ وما قبلها .

من الصنف والفقير يُرني لها ، فتتحدث عن أطفاله وجموعهم بطريقة تذكرنا بأطفال الحطبة وهو ملقي في غياب سجن عمر بن الخطاب . قال [الطويل]<sup>(159)</sup> :

- 10- وَلَزِلاً أَطْبَقَ الْطَوَافُمُ طَوَافُمُ فَاغْظَمُ مَا يَقْسِي جَلْوَدُ وَأَغْضَمُ  
12- هُمْ أَبْسَدَا هُمْ فَلَلَّى الْيَلُ بِمَعْجَزَتِي عَنْهُمْ وَيُؤْمِنُ أَبْسَدُ  
13- حَوَاهُمْ ثَمَسِي لِحَفَّا وَثَنَظِي وَأَغْتَمُهُمْ ثَمَسِي لِحَفَّا وَثَنَظِي  
14- ثَحَالُهُمْ فِي شَحْوَمٍ وَأَنْخَابِهِمْ خَمَامًا عَلَى أَقْانِبِ سَانَثِي

ومع ذلك لم يسرّ الشاعر في الرحيل بل يغى برقب عفوا من لدن السلطان [الطويل]<sup>(160)</sup> :

- 15- وَرَجَبَتِي أَيَامِي وَرَجَبَتِي فَرْجَةٌ وَمَنْجَمٌ  
16- كَفَانِي الرُّضَى وَالإِذْنُ زَادَ لِطَيْسِي  
17- وَكَمْ رُمِتُ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ - أَيْدِث -  
18- وَكَمْ لَخَتْ مَعْتَدِرًا يُلْرُخِي الصَّدِى وَبَخْسَرْ تَدَافِعًا مُرِيدُ الْمُسْرُجِ جَعْزِمَ  
ولئما ينس من ذلك اضطر إلى الرحيل [الطويل]<sup>(161)</sup> :

- 7- بِرَغْبِي أَزْمَغْتُ النَّسِيرَ غَنِيَ الْعُلَى وَصَرَفَ الْمَلَى لِلْمُجْنَى مُرْغَبٌ  
9- ذَعَانِي لِتَرْحَالِي اضْطَرَرَ وَلَمْ يَرُلْ يَحْلِلُ مَا أَشْخَى عَلَى الْمَرْ، يَخْرُمُ  
10- وَلَزِلاً أَطْبَقَ الْطَوَافُمُ طَوَافُمُ فَاغْظَمُ مَا يَقْسِي جَلْوَدُ وَأَغْضَمُ

إن تقدم سن الشاعر واضطراره إلى الرحيل ثانية بعد أن اتخذ عاصمة الخلافة الحفصية وطنًا ثالثًا له ، ليحزن في نفسه ويؤلمها ويجعله يتجرع مرارة خيبة وحرمانه علقتها . قال [الواقر]<sup>(162)</sup> :

- 38- أَجْبَتُ إِلَى الْوَدَاعِ وَقَدْ ذَعَانِي عَلَى كَلِيفِ يَسْرَاحِ وَاثْتِيقَافِ  
39- وَمَا دَارَ الإِنْسَارَةِ بِالْيَسِي لَا إِيْبَثُ لِيَسِنَهَا خَضِيلَ التَّاقِسِي

(159) د/ص 259.

(160) د/ص 259.

(161) د/ص 258.

(162) د/ص 391.

- 40- وَقَدْ وَافَتْهَا عَبْدًا صَرَاحًا  
 41- لَقَدْ فَسَدَعَ الْمَرَأَةُ فَلَمْ يُطْفَئْهَا  
 42- فَيَانْ رَائِقَتْ جَنَّاتِي سَرَاجَ

وبصيص الأمل الذي بقى يستبر به الشاعر في مدحهات المصائب هو أنه متقلل من عاصمة السلطان إلى مدينة ولّي العهد . وما حرم منه لدى الأول قد يستعيده لدى الثاني . وعسى أن يكره العراء ماله فيه تحقيق رغباته وأماناته . قال [الطوويل]<sup>(163)</sup> :

- 20- عَلَى أَنْتِي مِنْهَا إِلَيْهَا تَقْلِي لِفَرَجَ بَاتَ فِي الْكَبُّ تَبَهِّمْ  
 21- أَنْتِي وَلِيَ الْعَهْدِ قِيلَيْتِي أَوْجَهَ وَجْهِي تَخْوَهْسَا وَأَيْمَمْ  
 22- عَمَّى لِانْتِقَالِ الْحَالِ تَادِيَتِي الْمُنْتَى فَلَا مِزَيْسَةَ أَكِي مَنَادِي مُرْحَمْ  
 5- وَإِنْ لَمْ بِالثَّاَصِيرِ يَقُلْ خَمِيسَ الْبُسُوسِ وَهُوَ غَرْفَرْم

وفي بجاية يقضي الشاعر عدة سنوات ، ويلتقي بصديقه أبي المطرّف بن عميرة ، ويترجم له الغربي ي باعتباره أحد أعلام هذه المدينة . وبها يضع أو يكمل عدة تصانيف ، ويترقب من السلطان عفوا فلا يحصل عليه ، فشكرو ويتذمر لقد طال غضب السلطان فطال الانتظار وعبد الصبر . قال [الورمل]<sup>(164)</sup> :

- 1- أَسْرَفَ الدَّهْرَ فَهَنْتَلَ قَصَّنَا مَاعْلَمَهُ لَزْ شَفَى تَرْخَ الصُّدُى  
 2- يَشْفَضِي يَوْمِي كَأَسْمِي خَيْسَةَ  
 3- طَالَ قَدْجِي لِأَمَانِ الْخِلْفَتْ وَغَنَاءَ قَلْدَحَ زَلْدِي صَلَنَا  
 8- لَا أَوْدَ الْعُمَسَرَ الْقَنَاءَ إِذَا عَزْرُ فِي مَا يَقِيمُهُ الْأَوْدَا  
 9- خَسِيَّ اللَّهِ لِشَشِي لَزَبِ  
 10- نَذَ خَلْفَ الصَّبَرِ فِي أَثْنَاهَا فَرْطَ جَهَدَ وَلَيْثَ الْكَنَّدَا  
 11- أَنَا جَازَ الْبَخْرِ إِلَّا أَنْ إِلَيِ  
 13- وَعَلَى ذَلِكَ يَسَّافِي فَلَا يَسِيَّ إِنَّ مَعَ الْبَزَمِ غَدَا  
 14- لِلْإِنَامِ الْمُرْئَضَيِّ مِمَّا مَضَى

— 258 — د/ص 9 (163)

— 159 — د/ص 60 (164)

ويبدو أن الشاعر كان وهو بجاهة مغضوب عليه يتفاوضى مرئياً كل شهر وكان ضبلاً لا يبني بالحاجة . قال [الكامل]<sup>(165)</sup>:

9— هَلْ شَرِّهُ مِنَ الْحُرِّ الْجَنْوَى سِرَّى تَسْدِيْفَ بَصْرٍ لِرَأْسٍ كُلُّ هَلَالٍ  
20— إِنْ لَمْ يُفْدِنِي ضَيْقَةً أَزْسَعَهُ أَخْرَالِي مِنَ الْأَخْرَالِ

ولقد نكر الشاعر وقد غالب عليه البأس أن يعصى أوامر السلطان ويعود بدون إذن إلى تونس . قال شاكبا متذمراً [الكامل]<sup>(166)</sup>:

46— بِسَالَرْمَانِ أَغْلَبَى بِزَمَانِي أَصْنَحُ بِالْإِحْلَادِ فِيهَا أَثْنَعُ  
47— لَا بُرْزَءَ مِنْهَا يُسْتَفَادُ بِحِيلَةِ فَإِلَى الرُّضَى بِالْحُكْمِ فِيهَا الْمَرْجَعُ  
48— مِنْ أَنْ لَيْ صَبَرَ عَلَى مَضَضِ الرَّوْى سُدُّثُ إِلَى الصَّبَرِ الْطَّرِيقُ الْمَهْبِطُ  
49— لَزِلَّا النَّكَرُوا إِنْ أَخْلَلْ بِطَاغِيَةِ لَسْقَيْتُ زَخْفَا أَسْتَبِّمُ وَأَظْلَعُ  
50— وَبِأَذْنِ رُكْنِكُلْتُ إِلَى الْأَمْرِ مُحَمَّدٌ غَدُّ الْأَمْرُ مِنَ الْفِرَاقِ الْأَقْطَعُ

إن ما يخفف عن الشاعر في كل مرة يشكو فيها ويتذمر هو وجوده بحوار ولئن العهد في بجاهة وأمله في غفر السلطان . لكن قد ينسى كل ذلك وي فقد السيطرة على أحزانه فيقول متذهماً [الوافر]<sup>(167)</sup>:

1— أَيْنَ وَأَشْيَاقَ وَأَرْيَاكَ لَقَدْ حَمْلْتُ مَالاً يُسْتَطِعُ  
3— وَرَوْعَبِي الْفِرَاقُ عَلَى اخْتَمَالِي وَمَسِنْ ذَا بِالْفَرْقِ لَا بُرَاعَ  
4— يَقْبَلُنَّ اللَّهُ جَنْهَظِي دُونَ يَخْسِي وَكَثِيرِي مَا يُفْتَأِعُ وَمَا يَدْعَ  
5— لَزِنْتُ الصَّبَرَ حَتَّى عِلْمَ صَبَرِي وَبَانَ الْعَذْرُ إِذْ جَهَدَ الزَّمَانُ

ويبدو أن الشاعر مر بثلاث مراحل في الشكوى والاستعطاف وهو بجاهة . ففي الفترة الأولى — ويبدو أنه لم يتصل بعد بأمير بجاهة ولئن العهد — كان يستشعر بأنباء أبي زكريا دون تحديد . قال [الوافر]<sup>(168)</sup>:

26— أَمْزُلَأَيْ وَمَسَاوِيْلَيْتَيْبِيْهِ فَأَثْمَنْتُهُ، مِنَ النَّعْمِ الْجِسَامِ  
27— وَسُوْغَنِي التَّشْتَعُّ فِي الرُّضَى مِنْ يَسِيكِي بِكُلِّ جَعْجَاجِ هَمَامِ

(165) د/ص 40 - 239

(166) د/ص 354 .

(167) د/ص 5 - 364

(168) د/ص 262

28- برانى طول إقصاء غرائبى وفى يمتلك أسرة للكلام  
 29- ولز أتى لفنت الجود منها غفت بالسرى آثار الأئم

وفي مرحلة ثانية استشفع بولي العهد دون تعين هل هو يحيى أو محمد؟ قال

(البسيط) (169) :

73- علمی بال ای خفچ یعلمی مذائق ای خسته آل جمدائ

74- وَصِدْقُ حَبْيَنْ لَا سُلَّمَانْ يُكْذِبُهُ فِيهِمْ زَانْ أَتَيْمَ الْهَجْرَانْ هَغْرَانْ

75- غَيْرِ وَغَلُولِيِّ الْعَهْدِ يَنْفَعُ لِي فَأَسْمَدَ مِنَ التَّقْرِبِ مَا يَا

وكانَتِ المُرْحَلَةُ التَّالِكَةُ فِي أَخْرَى أَيَّامِ السُّلْطَانِ أَبِي زَكْرِيَا ، فَقَدَ مَاتَ وَلَمْ يَعْهُدْ أَبْرَأ

بحى فاغتئم والده لوفاته واعتلى ، وكان ذلك فرصة للشاعر ليصل إلى قلب أبي زكريا

وقد قال منه الغم والعرض ، فبنال رضاه . قال بعد أن هنأه بشفائه من مرضه

(الموافق ١٧٠) :

١٨- أمولائي أحادي من بعد لظرفني ياذئي النداء

١٩- ولز أن الهرمي بالقصبة ذات نطسا زائداً (بالقلب) الهراء

26- لَعْلَ عُسْلَكَ ثُوِيْنِي بَحْرِي تَبَرِّاً. إِنَّهُ نَفْمَ الْجَنَّاءُ

وليسرع بنيل رضى السلطان تشفع بولى العهد الجديد محمد وهو الذى خلف أخيه

<sup>(171)</sup> يحيى في ولادة العهد وعلى إمارة بجایة . قال [الكامل] :

١١- وَكَنْ عَلَيْكَ مِنَ الصُّبُرِ سَمَةٌ فَالْمُتَّرِفُ بِزِينَةِ الْفَلَّا

12- يَشْفَأُكُمْ مَمْنُونٌ مَطْلُومٌ لَكُمْ شَفَاعَةٌ أَعْنَابُهَا الْعِلْمُ

36- يَا حَادِي الْخُلَفَاءِ مَغْذِرَةٌ أَنَّ الْأَبْسَادِيَّ مَا يَهَا قَاتِلٌ

37- وَغَسِيَ قَرْلُكَ أَنْ تَجُودَ بِهِ خَلْبَا لِحَالِ شَانِهَا الْفَطْلُ

38- املى إلى غالباً مقطوع وَوَسْلَبِي لِرِضَاكَ مُسْتَحْلِ

٣١١ د/ص (١٦٩)

. ٥١ د/ص (١٧٠)

. 241 - 2 مص (171)

39- أَكَلَ الْجَيْهَارِيُّ لِأَخْيَارِكَ لِي وَعَلَى دَلِيلِ الْعَهْدِ أَكَلَ  
40- حَنْبِيُّ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٌ سَدَا بِحَلَالِهِ يُسْتَذَفِعُ الْجَلْسَلُ

وأنجيرا يحصل الشاعر على عفو السلطان ، فكان يوم وصوله بالنسبة إليه عيدا ثالثا  
يضاف إلى عبد الأضحى وعبد الفطر [الوافر]<sup>(172)</sup> :

45- قَدْ غَرَّرَ الْعَيْدَيْنِ عَنِّي تَسَالْتُ الْفِطْرُ وَالْأَضْحَى وَيَسْوُمُ رِضَاهُ  
وقد عبر الشاعر عن بهجهته بهذا العفو في قصيدة أخرى فقال [الطوبل]<sup>(173)</sup> :

3- وَرَدْتُ تَدَاهُ الْعَمَرَ غَيْرَ مُصْرِدٍ وَزَلْتُ رِضَاهُ الْجَمِّ غَيْرَ مُصْرِمٍ

#### 8 - القبائل :

إنَّ حديث ابن الأبار عن القبائل يندرج في نطاق علاقة هذه القبائل بالتركة الحفصية الفتية .  
ولم تكن هذه العلاقة حسنة في كثير من الأحيان لهذا نجد ابن الأبار – وهو الناطق الرسمي  
باسم السلطان الحفصي – إما متشفياً مما أصاب هذه القبائل أو مهدداً بها لما سيؤول إليه أمرها  
على يد المندوح . قال متشفياً [الكامل]<sup>(174)</sup> :

19- وَاتَّبَلُكُمْ سَلَبَ التَّبَارِلَ بِأَوْهَمٍ<sup>(175)</sup> وَكَسَّا الْبَطْلُونَ الْهَرْزَنَ وَالْأَفْحَسَادَا

وقال مهدداً [الرمل]<sup>(176)</sup> :

57- لَبِسَ يَرْجُو مِنْ عَصْنِي مُعْتَصِمًا مِسْنَ عَوَالِيَّهُ وَلَا مُعْتَصِمٌ<sup>(177)</sup>

58- هَذِهِ الْأَخْيَاءُ قَدْ دَوَّهُهَا فَسَلَ الْبَيْضَ يَضْرِبُهَا وَالْمُهَرَّا

60- غَادَرَ الْعَذْلُ وَمَنْ دَانَ بِهِ لِلْعَوَالِي وَالْغَوَافِي حَسَرَّا

(172) د/ص 410.

(173) د/ص 288.

(174) د/ص 184.

(175) البُؤْ : الفخر والتكبر .

(176) د/ص 188.

(177) المليجا .

وهذه القبائل على ثلاثة أصناف :

— صنف أول : قبائل من أحلاف مناوية من الموحدين أو بني عبد الواد . ومن هذا الصنف نجد :

— قبيلة سفيان التي كانت مع السعید عندما هجم على تلمسان وقتل سنة 1248/646 قال ابن الأبار [البسيط]<sup>(178)</sup> :

49— سافت ریاحُ النَّایا بِنْ سَیْفِہمْ سَفَیَانَ فَانهَرَتْ بَارِیخَ سُقَبَا

— وعرب المعقل وهم من تخلوا عن السعید في حصاره لتلمسان وكانوا مع الخلط السبب المباشر في انكساره ومقتله<sup>(179)</sup> . قال ابن الأبار [البسيط]<sup>(180)</sup> :

50— وَالْمَغْقِلُونَ لَوْلَا أَنَّهُمْ عَقْلُوا<sup>(181)</sup> ) تَجَاهُهُمْ مَا لَجَرُوا شَبَابًا

— وبنو سويد من بني مالك بن زغبة وكانتوا أحلافاً لبني عبد الواد<sup>(182)</sup> مناوية لأبي زكريا وخاصة عندما زحف على تلمسان سنة 1242/640 . قال ابن الأبار [وافر]<sup>(183)</sup> :

65— وَبَثَ مُسْوِدٍ لَّبَسَ سُونَسِيدَ مَقْرَدَ بِالْجَرَائِيرِ فِي جَرِيرٍ<sup>(184)</sup>

— صنف ثان: من القبائل يذكر الشاعر عبد الله بن أبي حفص ولكنهم اضطروا في نهاية الأمر إلى الخضوع لهم كقبيلتي زغبة ورباح من بني هلال . وكانت الأولى مقيدة

(178) د/ص 309.

(179) ابن خلدون : العبر : 535/6 .

(180) د/ص 309.

(181) د/ص الشاعر يعني غدر عرب المعقل بالسعید الموحدی هو ضرب من التعلق أتجاهه من الهلاك على بد ممدوحه أبي زكريا .

(182) ابن خلدون : العبر : 95/6 .

(183) د/ص 197.

(184) د/ص حرير : زمام الناقة أو الحجل .

في المغرب الأوسط والثانية في الزَّراب قد لعبتا دوراً محطراً فيما جدَّ من أحداث في نهاية القرن 6/12 وببداية 7/13 بال المغرب<sup>(185)</sup>. وكان لهاتين القبيلتين دور كذلك منذ منتصف القرن 5/11 في خراب مدينة القيروان وقد ذكرهما بكلٍّ سوء شاعراً عاصمة الأغالبة ابن رشيق وابن شرف . قال ابن الأبار فيما [كامل]<sup>(186)</sup> :

٥— وَحَكَتْ أَجَادِلْ زُغْبَةْ زُغْبَةْ الْقَطْبَ وَغَدَثْ رَيْمَاحْ يَسِيْ رَيْمَاحْ رُكْدَا

وقد أذاعت هاتان القبيلتان لأبي زكريا بعد أن ضيق عليهما الخناق وكان خصوّعهما سيا لنجاتهما . قال ابن الأثير [الوافق] (187) :

61— وَرَأَغْرَى زُغْبَةً ثُمَّ اسْتَفَانَثَ فَقَذَ عَادَثَ بِعَفْوٍ مِنْ قَدِيرٍ

٦٤- وَيْسَنَ الزَّاغِبِينَ وَيْسَنَ رُغْبَ ئَخْرُلُ عَرْفَهَا ئَخْرُ الْكَبِيرِ

وبعدهما في ذلك قبيلة شداد . فقال الشاعر [الوافر] (١٨٨) :

62— وَشَادَ نَجَّاً شَادِ حُضُرُعْ وَفِي أَغْمَارِهِمْ حَفْمُ الدُّثُورِ

ومن هذه القبائل التي تم لبس حفظ المسيرة عليها قبيلي زناتة وهوارة البربريتين .

وكانا في أول الأمر معبني غانية ضد الموحدين، ثم ضد الحفصيين معبني عبد

الرَّادُ . قَالَ الشَّاعِرُ مُهَنْدَا زَنَاتَةَ بِمُتَابِعَةِ فَتحِ أَبِي زَكْرِيَا لِتَلْمِيزَانَ [الْبَسِطَ] <sup>(١٨٩)</sup> :

٣٨- بَشَّرَ زَيْنَةَ بِالْهِيجَاءِ مُسْفَرَةً غَنِّ كُلُّ ذِي قَدْرٍ لَا حَزْلَ يَذْرَأُهُ

زهارة : وهم فرع من قبيلة صنهاجة ، ولها بطون كثيرة سكن بعضهم طرابلس

(185) ابن خلدون: العبر : 44/6 و 632.

١٦٧ د/ص (١٨٦)

١٩٦ ص (١٨٧)

د/ص 196 (188)

. 44 د/ص (189)

وبرقة وقطن أخرون أوراس . قال الشاعر [الطوبل]<sup>(190)</sup> :

22- يَخْسِبُكَ فِي مُؤَازَةٍ وَرَنَائِبَةٍ وَفَائِسُهَا سَلْبَيْمَ وَعَامِرُ

ولئن نوه الشاعر بهم ومجد بطولتهم وخاصة زنانة فلبيه مدحه

وشجاعته على طريقة عترة في الفخر [الطوبل]<sup>(191)</sup> :

9- عَصَانَ اطْبَاعَ اللَّهِ فِيهِمْ سَبِيلُهُمْ تَحْصِيْهُمْ قَيْدًا وَغَتْبَهُمْ دَقْيَا

10- اَخْهَابِسُ ثَمَيْهِمْ رَنَائِبَةٌ لِلْوَغْسِيَّ

11- تَرَى بِهِمْ مِنْ فَاقِهَةٍ وَامْنَاقَةَ رَدَنِيَّةَ دُلْقَيَا

12- رَبِّنَ عَجَبَ اَنْ لَيْسَ شَعْدِيَّهُمُ الظَّبْيَّ

لَذِنِيَّهُمْ إِذَا هُمْ اَخْدُلُوا مَوْهُمْ عِشَقَا

13- غِلَاظَ فِطَاظَ مَا لِعَذْرَةٍ<sup>(192)</sup> عَذْرَةٌ

14- وَأَنْحَرَقَ خَلْقَ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا رَدَوْا

15- اُشْتَهِمْ جُنُودَ اللَّهِ<sup>(193)</sup> تَضَمَّدَ صَمَدَهُمْ فَحَقَّ عَلَيْهِمْ صَبْحَةَ السَّبْتِ<sup>(194)</sup> مَا حَفَا

وبدأت هذه القبائل تغير مواقفها من الدولة الحفصية بعد فتح تلمسان . فقال الشاعر  
ميما تحلى قبيلة زنانة القوية عن الطريق التي كانت تستعملها ضدّ خصومها

[وافر]<sup>(195)</sup> :

63- وَرَانَ رَنَائِبَةَ اَنْ لَيْسَ بِشَفَقَهَا شَفَاقٌ جَامِسٌ وَرَزَارٌ زُورٌ

ويبدو أن هذه القبيلة بالذات خضعت للحفصيين أو لحلفائهم بي عبد الواد ، وربطت  
مصالحها بمصلحة دولتهم . ولهذا نرى الشاعر يتوه بشأنهم قائلاً [البسط]<sup>(196)</sup> :

51- لِلَّهِ صِيدَ رَنَائِبَونَ تَخْسِبُهُمْ اَسْدَا إِذَا افْسَرُوا الْقَرَانَ سِيدَائِسَا

\_\_\_\_\_ (190) د/ص 212 .

(191) د/ص 1 - 380 .

(192) قبيلة من العرب عرفت بالحب الطاهر العفيف حتى أصبح يُعرف بها .

(193) جنود المدوح وهو أبو زكريا .

(194) يوم فتح تلمسان 1242/640 .

(195) د/ص 196 .

(196) د/ص 309 .

52— أَحْلَمُ رَبَّ الْأَنْلَوْ جَذَنْمٌ في بِحَدَّةِ الْفَائِرِ الْحَفْصِيِّ عِنْدَهَا<sup>(197)</sup>  
53— سَالُوا صَفْرَا يَجْزَان<sup>(198)</sup> حَكَتْ قَرْفَا وَطَالَمَا مُتَرَسِّرٍ فِي الْحَرْبِ عَقَبَاتِ

أما الصنف الثالث فهي قبائل يدو أنها استمررت إلى حين على عداوتها للحفصيين  
كبني سليم<sup>(199)</sup> وكانتا مع ابن غانية ضد الموحدين ثم الحفصيين وهي العبار<sup>(200)</sup>  
وهي قبيلة نازلة قرب بجاية . قال الشاعر مشفياً فيما لما يند شملهما أبو  
ذكر يا [الوافر]<sup>(201)</sup> :

66— وَجَبَتْ مِنْ بَنِي الْعَبَارِ أَرْدَى عَلَى صَفَرٍ بِلَهْبَمِهِ الْطَّرِيرِ  
67— وَضَنْخُسِي بِالسَّعْنَاءِ بَنِي سَلِيمٍ ضَنْخُسِي بَرْمٌ غَبُورٌ فَمُطَرِّسِي

ومن هذا الصنف يذكر ابن الأبار قبيلة سدو بكش المقيبة بين قسنطينة وبجاية<sup>(202)</sup>  
وأحد فروعها أولاد سواع<sup>(203)</sup> . قال وقد نال منهم المدح [الوافر]<sup>(204)</sup>:

32— أَغْنَ سَدُو سَكَنْرِ تَسْرِ ظَبَاهُ وَمِنْ عَادِهَا فَرْزَنِي الْفَرِنِي  
46— وَكَيْفَ زَخَا ابْنُ سَوَاقِ تَجَاهُ وَلَنِبَسِ لِمَا عَانَتْهُ بِالثَّجَاهِ

  
\_\_\_\_\_  
**مَرْكَزُ الْمَقْتَدِيَّةِ الْمُتَعَلِّمَةِ الْمُدَرِّسِيَّةِ**  
(197) أن خدمتهم للتوله الحفصية برأهم رب الملوك والأسيد . وأشار صاحب مقال  
(زناته) في دائرة المعارف الإسلامية الطبعه العربيه ج 10 ص 416 أن فرعا من زناته  
أصحاب الوهن في التهول حيث غدوا عيذا للعرب الرحيل .

(198) جزان : ذكر الأزاب .

(199) د/ص 196 تعليق 25 — ابن خلدون : العبر : 71/6 — 596 .

(200) د/ص 196 تعليق 24 — ابن خلدون ص 101 .

(201) د/ص 197 .

(202) ابن خلدون : العبر : 303/6 .

(203) ابن خلدون : العبر : 304/6 .

(204) د/ص 427 .

وكان الشاعر وهو يمدح الحفصيين يخيف القبائل العربية بما فعله الممدوح بالقبائل البربرية قال [الطوبل]<sup>(205)</sup> :

22- يَسْخِنِكَ فِي مَوَازِةٍ وَرَنَائِيَّةٍ وَقَائِعُ هَايْهَا سُلَيْمٌ وَعَامِرٌ  
23- ثَعَادٌ إِلَى التَّخْرِيْرِ الْوَجِيْرِ قُدُومُهَا يَمَا عَظُمَتْ آثَارُهَا وَالْجَرَائِرُ

ويخيف جميعهم بذكرهم بوقائع الحفصي فيهم . قال [الطوبل]<sup>(206)</sup> :

47- لَهَا<sup>(207)</sup> فِي سُلَيْمٍ مَالَهَا فِي رَنَائِيَّةٍ وَهُوَارَةٌ مِنْ عَدَّةِ الْهَصِّ<sup>(208)</sup> وَالْرَّهْصِ<sup>(209)</sup>

والشّعر في حالات اندفاعه التمجدي لأبي زكريّا يجمع مختلف القبائل والأجناس في فروعها من الممدوح ، فلا ترى إلا وفودها وهي تقدم له فروض الطاعة والخضوع .  
قال [الطوبل]<sup>(210)</sup> :

5- لَكَ الْخَيْرُ هَذِي الْعُجْمُ وَالْغَرْبُ تَعْنِدِي بِهَا مُسْتَشَأَتٌ أَوْ ثَرْوَجُ رَوَاجِلُ  
6- تَمَلَّكَهَا رَغْبَةٌ وَرُغْبَةٌ مُخَاهِمِرٌ فَرُشْلٌ عَلَى حُكْمِ الْمَنْسِيِّ وَرَسَائِلُ  
7- وَرَدُّ عَلَى رَغْمِ الْأَكْوَافِ وَجُوهُهَا إِلَيْكَ أَسَاطِيلٌ سَقْنَتْ وَجَحَافِلُ



## 9 - الدولة الموحدية :

**مَرْكَزُ تَقْرِيرِ تَارِيْخِ الْمَوْهِدِيَّةِ**  
إن موقف ابن الأبار من الدولة الموحدية هو موقف متزمت للسياسة الحفصية . لهذا لا يترك أية فرصة تمر - وهو يمدح سلاطين هذه الدولة الصاعدة وأمرائها - إلا ونال من دولة عبد المؤمن الضعيفة المنحلة ، وذلك بالتشديد بأعمال أواخر حلفائها منذ المأمون الموحدي ، وبالتحريض عليهما للتخلص منها .

د/ص 212 . (205)

د/ص 334 . (206)

خيول الممدوح . (207)

العصر . (208)

الكسر . (209)

د/ص 236 . (210)

ومن وجهة النظر هذه يرى ابن الأبار — بصفة عامة — أن دولة الموحدين هي دولة قد انتهت أمرها كما انتهى أمر بني أمية في المشرق مع آخر خلفائهم مروان الملقب بالحمار . وبنو عبد المؤمن هم أنفسهم على يقين من هذه الحقيقة . قال [الطويل]<sup>(211)</sup> :

- 41— فَقَدْ أَنْصَرُوا إِلَّا خَلُودَ لِمُلْكِهِمْ وَإِنْ أَصْبَحُوا غَنِيًّا أَبْسَارِ الْخَلْدِ  
 42— وَبِالْغَربِ مِنْ أَغْنَاهُمْ غَيْرُ غَيْرِهِمْ تَيْقَنْ أَنْ تَرْذَى إِذَا جَبَشَهُ يَرْدِي  
 43— وَهَلْ مَلَكَتْ لِلأَمْرِ وَالثَّنْيِ بِمَفْرَدٍ أُمَّةٌ بَعْدَ مَرْوَاهَا الْخَسْبِ

والشاعر يتجنب تسمية الدولة المرحدية باسمها ، لأن الموحدين الحقيقيين — في نظره — هم الذين حافظوا على دعوة المهدى وصحابه ، وهم الحفصيون . فتراد نسبتهم ثانية بني يعقوب نسبة إلى جدهم يعقوب المنصور الخليفة المرحدى الرابع وبطأ معركة الأرك الشهيرة . قال ابن الأبار [الكامل]<sup>(212)</sup> :

- 28— أَمَا بَئْرُوْتُ يَغْقُوبَ فَذُؤْدَى بِهِمْ مِسْنَ بَأْسِهِ الإِزْهَابُ وَالْإِرْهَابُ  
 وَنَارَةٌ يَرْجِعُ نَسْبَهُمْ إِلَى قَبْسٍ أَيْ قَبْسٍ عِيلَانَ مِنْ عَرَبٍ قَحْطَانَ . وَهَذَا فِي نَظَرِ ابنِ خَلْدُونَ مُنْكَرٌ مِنَ الْقَوْلِ وَزُورٌ . قَالَ الشَّاعِرُ [الطَّوْرِيلُ]<sup>(213)</sup> :

- 36— أَذَارَ عَلَى قَبَسِرَ وَأَمْلَأَ كَبَّا السَّرَّدَى قَلْمَنْتَ عَلَى عَنْهُمْ لِلْكَبَّائِنِ مِسْنَ رَدَّ  
 37— وَئَا اللَّهُ مَا شَرَقَ الْبَلَادُ وَغَرَبَهُكَ تَلْطِيبَسُهُ الْأَذَارَ بِالْمُسْتَبَدِ

ووجد ابن الأبار في موقف بعض خلفاء الموحدين وسلوكيهم محلا للتشديد بهم والتسويف بمدوحه أبي زكريأ . فقد رفض المأمون الموحدى ، بعد رجوعه إلى مراكش من الأندلس سنة 1228/626 ، مذهب ابن تومرت «واسع التكير على العبدى في العصمة وفي وضع العقائد والتداء للصلوات باللسان البربرى وأسقط اسم الإمام فى الخطبة والسكة وأعلن بذلك»<sup>(214)</sup> واستغل أبو زكريأ هذا الانحراف عن الدعوة

(211) د/ص 165

(212) د/ص 388

(213) د/ص 164

(214) العبر ط . دي سلان 1847 ص 386

الموحدية فقطع الخطبة للمامون سنة 626/1228 وأسدتها لمنافسه يحيى بن الناصر ثم أزال اسم الناصر من الخطبة 627/نهاية فيفري 1229 . وأصبحت الخطبة باسم المهدي والخلفاء الراشدين . وباتت الدولة الحفصية تمثل الاستمرارية الشرعية للدولة الموحدية ، بل هي التي أنقذت الدعوة المهدية من الانحراف وأقامت الحق بعد خمود . قال ابن الأبار [الرمل]<sup>(215)</sup> :

20- إِنَّمَا دُوَلَةٌ يَخْيَى رَحْمَةً لِلْقَائِمِ اَوْ حَيَاةً لِلْهَدِي  
23- تَشَرَّدَ الدُّغْوَةُ لِمَا هَمَدَتْ وَأَفَامَ الْخَيْرَ لِمَا فَقَدَا

والمحاجة على دعوة المهدي من الريع والانحراف ، أو الاصحلال والزوال هو هدف سام دعا إليه جد الحفصيين وهو أبو حفص أحد أتباع المهدي العترة . ولم يكتف بذلك بل وصى به أبناءه من بعده ، لذلك لا يمكن لمدع أن يدعى أن الحفصيين اتخذوا من الدفاع عن مذهب المهدي ذريعة للوصول إلى السلطة . فهذا المذهب هو جزء من عقيدتهم ورثوه أبا عن جد . قال ابن الأبار [الطربيل]<sup>(216)</sup> :

40- هِيَ الدُّغْوَةُ الْمَهْدِيَّةُ اسْتَخْلَصَتْ لَهَا نَهْيَ القَائِمِ الْهَادِي فَكَانَ لَهَا جَلْصَانَا  
41- يَأْطِهِارِهَا وَصَى أَبُو حَفْصُورِ التَّرْضِيِّ يَسِّرْ فَوْقَى دُوَلَهُمْ مَابِهِ وَصَى  
وَهَكُنَا يَنْفَرِدُ الْحَفْصَيْنُ بِالشَّرْعَةِ الْمَوْهُدِيَّةِ عَوْضًا عَنْ حُكَّامِ مَرَاكِشِ ، فَدُولَتِهِمْ  
هِيَ دُوَلَةٌ مَهْدِيَّةٌ عَقْبَةٌ وَمَهْدِيَّةٌ عُمُرَيَّةٌ (نَسِيَّةٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ) نَسِيَّا وَسُلُوكَا .  
قال الشاعر [الكافل]<sup>(217)</sup> :

35- وَإِيَّاهُ مَهْدِيَّةٌ غَمْرَيَّةٌ أَوْدَى بِدُغْوَتِهِ الْضَّلَالُ وَطَاحَ

وَبَسَكَهَا بِالدُّغْوَةِ الْمَهْدِيَّةِ فِي الْأَرْضِ سَبَّابِهَا السَّنَدُ مِنَ السَّمَاءِ قال [البسيط]<sup>(218)</sup>:

17- يَمْظُهِرُ الْعَالَمِ الْعَلَوِيِّ مُسْتَصِلٌ وَبَاتَاعَ هُدَى الْمَهْدِيِّ مُسْتَصِفُ

160 د/ص (215)

342 د/ص (216)

115 د/ص (217)

374 د/ص (218)

وكان المأمون الموحدي عندما عزم على مغادرة الأندلس والرجوع إلى مراكش استعان بفرقة مرتزقة من الجيش التصرياني رافقته في عبوره من العدوة الأندلسية إلى العدوة الإفريقية . وشرط عليه ملك قشتالة الذي أمده بهذه الفرقة أن يسمح للنصارى بناء كنيسة لهم بعاصيته مراكش .

ووجد الشاعر في هذه العلاقات مع النصارى الفرصة للتنديد بالمأمون الموحدي وبمن جاء بعده من الخلفاء ونهجوا نهجه . وهو يأمل أن تكون المرحلة الثانية بعد استيلاء المدحور على تلمسان ووصول بيعة فاس وسيئة أن تأتيه بيعة الزوراء (بغداد) ، ولم يبق بعد ذلك إلا الدخول إلى مراكش متصرًا ، ناثرا فيها العدل والأمن ، ومطهّرها من الكفر والرجس . قال [الطويل]<sup>(219)</sup> :

- 7- إِذَا الْمَغْرِبُ الْأَقْصَى رَمَى بِقَنَادِهِ إِلَيْهِ فَمَاذَا يَصْنَعُ الْمَسْتَرِقُ الْأَذْنِي  
 8- كَائِنٍ - بِالرَّزُورَاءِ تُخْطَبُ أَنْتَهُ وَقَدْبَتْ فِي مَرَاكِشِ الْعَذْلِ وَالْأَمْنِا  
 9- وَرَخَرَخَ بِالثَّوْرِيدِ غَنِّ حَتَّابَاهَا  
 10- كَانَ لَمْ تَكُنْ لِلْمُؤْمِنِينَ مَعَانِي  
 11- يَعْزُّ عَلَى اللِّسْنِ الْمَصَابِعِ أَنَّهَا  
 12- هُمُ الْحَدُودُ فِيهَا الْكَنَائِسُ ضَبْلَةٌ  
 13- رَكِّمْ سَبِيلَهُمْ بِطَاغِ الْخِتَامِ  
 14- ضَمَّانٌ عَلَى سَيِفِ الْإِمَارَةِ بِرِيمِهِ  
 15- وَأَمَا تِلْمِسَانُ وَفَاسُ وَسَشَةُ ثَنَى

رواحل الشاعر التأكيد على هذه النقطة في قصائده المدحية ، بعد أن تولى الخليفة السعيد الموحدي . وهو يرى أن هذا الخليفة بعيد كل البعد عن الإيمان بالله سواء أكان ذلك حسب العقيدة التصريانية أو العقيدة الإسلامية . قال ابن الأبار يهجو السعيد ملقبا إياه بالغراب لأنه كان أسود اللون [البسيط]<sup>(220)</sup> :

- 5- مُسْتَبْصِرًا فِي عَمَى أَبْلَى الْأَذَانَ أَذَى مِمَّا اسْجَدَ تَوَاقِيسًا وَصُلْبَائِا  
 8- لَمْ يَئِنْ غَيْرَ إِلَى رُشْدِ أَعْشَهُ لَا تَبْلُ تَعْلَسَ أَصْنَامًا وَأَوْنَائِا

(219) د/ص 296

(220) د/ص 6 - 305

9— أذال من علماء الونخى يجزئهم بخبره<sup>(221)</sup> الشرك أخباراً ورهباً  
 10— إذا هم فينموا<sup>(222)</sup> أصنف لهم طرباً  
 11— والعوال شاهدة أن ليس معتقداً  
 21— بعدها من غراب قابد رحمة<sup>(223)</sup>  
  
 والسعيد عند ابن الأبار بقوته وسوء معاملته لرعاته قد قبع خلقنا وخلقاً كما قبع سلوكاً وسياسة عندما واصل الاستعانة بالتعارى ، قال الشاعر [البسيط]<sup>(224)</sup>:  
 15— أقض رحمة<sup>(225)</sup> فالقضى نعشرها<sup>(226)</sup> فإنه من خول فظ القلب<sup>(227)</sup> فإنه  
 19— بالروم رام انتصاراً في مذهبه أنتصار فذ رأه من تعامله  
  
 ويربط الشاعر ثانية وهو يمدح أنها زكر يا بين سواد لون السعيد وسوء سياسة بتعاونه مع العافية القشتالية، ويقارن بينه وبين كبار المرتدین بعد انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى . قال [الطوبل]<sup>(228)</sup>:  
 14— وإن عدو الدين من ظاهر العدى ليخذله فاستنصر الشرك واستنقضني  
 15— بعثاد عبسى هاضن أمّة أخميد لأنشأها بحسناً وأغينها بخنا  
 17— ذرى الأسود القبسي<sup>(229)</sup> أن أمامة ذرى الأسود الغنسي<sup>(230)</sup> نسبه خرصاً



- 
- الجريدة : ملاعة الرهبان
- (221) الإشارة إلى تراجم الرهبان.  
 (222) الرسم ح رحمة : طائر على شكل التسر بحلقة متقع سواد وبياض معروف بالغدر والحمق .  
 (223) د/ص 412 (224)  
 (225) الضمير يعود على أبي زكر يا .  
 (226) الضمير يعود على الخلافة .  
 (227) فظ القلب : السعيد .  
 (228) د/ص 339 (229)  
 (229) الأسود القبسي : السعيد .  
 (230) الأسود الغنسي : من زعماء المرتدین بعد وفاة النبي .

والستعبد بجشه الرفير وحقناته التصارى سوف لن يكون مصيره إلا كمصير غيره من الخائبين المغرورين . والحفصيون تعودوا مواجهة انكحة بالقلة وانتصروا ، شأنهم في ذلك شأن المسلمين الأوائل . قال ابن الأبار [البسيط] <sup>(231)</sup> :

- 41- أَتَيْتَ الْمُنَاصِبَ تَقْرِيمَ يَقْرِبُهُ مِنْ فَزُورَهُ فَاغْتَدَى بِشَأْيَ وَتَسَادُ  
 42- وَأَرْوُمُ نَازَعَ أَمْرَ اللَّهِ بِإِغْرَاءٍ وَأَرْشَادٍ؟  
 43- هَبَّاهُتْ يَخْلُصُ وَالْأَقْدَارُ قَدْ وَضَعَتْ  
 44- كَائِنَ لَهُ عَدَدُ حَسَاثَ وَأَغْدَادُ  
 45- لَا تَعْجَبْ الْخَالِقُ الْمَغْرُورُ كَثُرَةُ  
 46- أَنْتَأَ صَيْبَابَةَ حَفْصِيَةَ كَرْمُوا أَرْوَمَةَ وَبَشَرَ الْأَمْجَادَ أَمْجَادُ

إن ابن الأبار في حديثه عن الموحدين بصفة عامة والستعبد بصفة خاصة ، إنما يعبر عن وجهة نظر أبي زكريا فيه . فالستعبد مثل ، بشخصيته القوية ومحاولته استرجاع هيبة الخلافة ، آخر محاولة للنهوض بالدولة الموحدية من كبرتها ، وبالتالي حسم أكبر حظر على الدولة الحفصية . لهذا لما قتل وهو يحاصر يغمراسن أمير تلمسان في قلعة تامرجدرت آخر صفر 646/1248 نزل الخبر بمقتله على نفوس الحفصيين بلسما شافيا ، ووجد ابن الأبار المجال فسيحا للتشفي من حليفة كثيرا ما هجاه وسخر منه . قال متحدثا عن حملة الستعبد على تلمسان وما آلت به الأمر على أبواب القلعة الحفصية [البسيط] <sup>(232)</sup> :

- مُرَكَّبُ الْمُنَاصِبِ تَكَبَّرُهُ وَهُوَ حَسَدُهُ**
- 27- حَتَّى إِذَا أَفْطَبَ اسْتَخْيَى سَلَامَتَهُ أَفْسَادَهُ يَتَغَيَّبُ يَتَلْمَسَادَهُ  
 28- وَكَانَ مِنْ قَبْلِهِ (هِيَ التِّرَاثُ لَهُ) مَا يَالَهُ جَهَلَ التَّصْحِيفَ لِأَسْكَانِ  
 29- ضَنَانُ رَاحَ لِأَقْبَقِ الشَّرْقِ مُلْتَهِمًا لِكِنْ غَدَى يَسْجِعُ الْجَنُوفَ رَيَانًا  
 31- يَوْمَجَدَةَ أَظْهَرَ أَنْرُجُدَ الْجِنَامَ عَلَى حَيَاتِهِ فَتَضَاهَأَ غَنْبَانًا  
 32- وَاسْتَقْبَلَ الْفَلَقَةَ الشَّمَاءَ فَاقْتَلَعَتْ رُوحَهُ رُوحًا وَجَنَانًا

(231) د/ص 141

(232) د/ص 307

(233) عبارة (هي التراث له) إذا صحت أصبحت : هي التراب له أي الفبر .

وأشار الشاعر إلى الكمين الذي نصبه الزناتيون أتباع يغمراسن للسعيد ، فكان من نتائجه أن سقط الخليفة من فوق فرسه وأجهز عليه مع وزيره ابن عطوش ، وانتهت ملحنه وتفرق عسكره . قال ابن الأبار [البسيط] (234) :

34- خَنِي الْجَوَادُ الَّذِي قَدْ كَانَ يَعْصِيهُ أَرْدَاهُ يَعْصِيهُ نَسْعَنَا وَاهْوَانَا  
40- وَالْفُلُّ مِنْ شَيْهِ أَوْدَى الْبَيْثَاثِ بِهِمْ عَلَى يَدِي أَيْدِي الْمُغَضَّبِ بِفَقَانَا  
وسقط بعض حرم السعيد في الأسر كآخره تاغروش (235) . قال الشاعر [البسيط] (236) :

56- هَذِي بَيْثَاثُ أَيْهِ فِي طَعَائِيهِ يَدِينَ الْمُسْتَبَّى إِجْهَاشَا وَإِعْنَا  
واقتل منه الزناتيون مصحف عثمان ، وهو المصحف الذي كان الخليفة الموحدون يضعونه في مقدمة موكيتهم . ونذكر بعض المصادر (237) أن الزناتيين ، وقد أصبحوا حلفاء لأبي زكريا ، سلموه إليه باعتباره أولئك به من الخليفة الموحدي . قال ابن الأبار [البسيط] (238) :

58- إِنَّ الْإِمَامَ ابْنَ فَارُوقَ الْهَدَى مُخْسِرَ أُولَئِي يَمْصُحِّفَ ذِي الشَّرْزَرِينَ عُثْمَانَ (239)  
وهكذا استطاع أبو زكريا بأحلاته منبني عبد الواد في المغرب الأوسط وهي مرين  
في المغرب الأقصى ، أن يخدد من غلواء الموحدين في مرحلة أولى وأن يقضي على آخر أمل لهم في استرجاع مجدهم . وفي نظر الشاعر انتصار هؤلاء على الموحدين

د/ص 8 — 307 (234)

د/ص 309 (235)

د/ص 309 (236)

د/ص 309 (237)

د/ص 309 (238)

(239) ذكر المقرئ في النفع : 1/605 أن هذا المصحف كان موجودا في مقدمة موكب الحيبة الموحدية الوالقة سنة 1267/666 .

هو نصر من الله تعالى بطاعة أبي زكريا يحيى الحفصي [البيط]<sup>(240)</sup> :

- 45- تَجُرُّ<sup>(241)</sup> بِإِنْ غَيْدَ الْغَنْ<sup>(242)</sup> رَاصِفُلُمْرَا وَبِلَهْ سَانْتَشِخْرَا بِإِنْ زَيْلَا<sup>(243)</sup>  
46- أَعَاجِمَ السَّا لَكِنْ مَنَابِيَهْنَمْ تَنَمِّي إِلَى الْعَرَبِ الْعَرَبِاءَ قَنْحَطَائَا  
47- مُشَوْنَ خَلِيلِهِمْ أَزْطَاهِهِمْ وَكَفِي عِزْرَا يَشَاوِي مَشَوْنَ الْخَيْلِ أَزْطَائَا  
48- تَادُوا بِطَاعَةَ يَخْبِي فَاسْتَجَابَ لَهُمْ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ إِسْرَارًا وَأَغْلَائَا

وبدأت الوفود تهافت على عاصمة الحفصيين تدعو العامل الحفصي لاستكمال المرحلة الأخيرة من فتوحاته ، وهي الاستيلاء على عاصمة الموحدين مراكش والقضاء على دولتهم قضاء مبرما . قال ابن الأبار [الطوبل]<sup>(244)</sup> :

- 1- هَبِيبَا لِوَفِيدِ الْعَرَبِ مِنْ صَفَرَةِ الْعَرَبِ فُدُومَ عَلَى الرُّغْبِ الْمُجِيرِ مِنَ الرُّغْبِ  
3- أَلْمَ تَرْهُمْ أَفْضَرَا إِلَى فَائِضِ الرَّدِي فَلَقَاهُمْ بِالثَّايلِ الرُّخِبِ وَالرُّخِبِ  
4- وَقَلَدُهُمْ لَمَّا كَسَاهُمْ فَلَأَئْرَى سَرَوِي الْعَصْبِ جَلَاهُ النُّضَارُ عَلَى الْعَصْبِ

## 10 - الدولة الحفصية :

لقد وصل ابن الأبار إلى إفريقية في بداية عهد الدولة الحفصية . ولا شك أن هذه الدولة في هذه الفترة أي في الربيع الثاني من القرن 7/13 في حاجة أكيدة إلى من يشد أزرها سواء أكان ذلك بالسيف أم بالفلم . وسوف لن تجد خيرا من شاعر قدير كان ابن الأبار لينابع عن مبادئها ويحتجد أمرها ويتوجه بشأنها ويحقّر من أعدائها لتبنيت أنسها وتدعمهم أركانها . وللهذا السبب فسح الأمير أبو زكريا لشاعر بلنسيبة المجال للهجي ، والاستقرار بتونس حاضرة الدولة بعد ضياع وطنه ومسقط رأسه بالأندلس .

ونظرا إلى الظروف التي كانت تمر بها العدوة الإفريقية بعد انهيار صرح الإمبراطورية الموحدية كانت الدعوة الحفصية في حاجة ماسة إلى تبرير شرعيتها في وراثة الدولة

(240) د/ص 308.

(241) أي الموحدون .

(242) ابن عبد الحق : بنو مرiven .

(243) بنو زيان : بنو عبد الواحد .

(244) د/ص 83 .

الموحدية . وقد فهم ابن الأبار ما تحتاجه هذه الدولة الفتية من تبرير ، فرأى أنّ بني حفص هم أحق بوراثة دعوة المهدى بن تومرت ودولة عبد المؤمن . فهذه العائلة لها مجد طريف وتليد ، فهي تنتمي في نسبها إلى عمر بن الخطاب ونعم النسب والأصل ، قال الشاعر [الكامل] (245) :

18 - هَيْ دُولَةٌ عَمَرِيَّةٌ بِيَرَا حَضَّتْ لِعَزَّةٍ أَنْرَمَّا اللَّوْلُ

وهي لم ترث النسب والأصل من عمر بن الخطاب بل ورثت أيضاً أشهر حصلة عرف بها الخليفة الثاني وهي الاستقامة والعدل وتطبيق أحكام الشريعة السمحاء . قال ابن الأبار [الطوويل] (246) :

33 - قَبَّلَ الْأَنْسَرِ اللَّهُ أَنْ شَدَّ أَزْرَهُ يَأْلِ أَيْسِي حَفَصُرُ إِلَى النَّهَى وَالْأَنْسَرُ

38 - وَمَا هَيْ إِلَّا دُولَةٌ عَمَرِيَّةٌ يَدُومُ بِهَا الْإِقْبَالُ مُنْفَسِحَ الْغَنْرُ

وهذا المجد الأثيل لم ينقطع بل استمر إلى أن تجسّم في شخص جد الحفصيين وهو أبو حفص عمر أحد أصحاب المهدى بن تومرت الذين قامت الدولة الموحدية على أكتافهم . وهكذا جمعت هذه العائلة بين نقاوة الدم العربي قديماً ، وخلالصة ما ثارهم حديثاً . قال ابن الأبار (247) [المتدارك] (248) :

68 - لَا ضَيْرَ بِهِمْ وَلَا خَضْرَةٌ تَنْسَى صَفَّدًا وَلَمْعَدَّةٌ (249)

70 - غَدَوْيٌ (250) الْبَسِتُ مُطَنَّبَةُ لَلْوَرْقِ الْأَمْنَلَكِ مَهَدَّدَةُ

71 - ذَرَتُ الْعُمَرِيَّنِ (251) شَاعِهِمَا يَغْسِدُ بِسِيَهُ وَيَقَدَّدَةُ

72 - غَرْ غَبَدُ الْوَاحِدِ أَخْرَرَةُ قَلْدَةُ التَّوْجِيدِ وَأَخْلَدَةُ

(245) د/ص 241.

(246) د/ص 192.

(247) مطلع القصيدة ص 154 من الذيوان :

1 - مَرْفُوسُمُ الْخَدَّا مُهَرَّدَةُ يَكْسُوبِي الْكَسَمُ مُخَرَّدَةُ

(248) د/ص 158.

(249) أي يتسبب الممدوح وهو أبو زكرياء إلى مصر وفقد .

(250) أى أتته إلى غدي جد عمر بن الخطاب (انظر كذلك : الذيوان ص 160 بت 25).

(251) العُمرِيَّن : عمر بن الخطاب وأبو حفص عمر المتنبي .

و هذه الحال ورثها الواند عن الجد وأورثها الابن . قال الشاعر [المدارك] <sup>(252)</sup> :

- 4 - غُنْ غَبِيدُ الْوَاجِدُ أَخْرَجَهَا بَخْسَى لِلْتَّحْسِيلِ أَنْسَرَ وَأَبَ  
5 - فِي جُنْجُمَةٍ عَلَيْنَا وَزَخْسَى غَمْرَ النَّسَارُوفُ لَهَا نَعْبَ

و من الناحية المذهبية العقائدية تمسكت هذه العائلة بدعة المهدي بن تومرت ولم تنكِر لها كما فعل المأمون الموحدي . قال الشاعر [الكامل] <sup>(253)</sup> :

- 35 - وَإِيَالَةٌ مَهْدِيَّةٌ غَمْرِيَّةٌ أَرْدَى بِدَغْرِيهَا الصَّلَالُ وَطَاهَا

وبهذه الخصال وبهذا النسب الرفيع شادت هذه العائلة ملكا يفوق ما شادته عائلات أخرى ، لها في التاريخ ذكر وصيت ، وتمكت من تطهير البلاد من أصحاب الفتن والشَّفَق . قال الشاعر [الكامل] <sup>(254)</sup> :

- 32 - أَبِي أَبِي حَفْصِرْ دَهْتِنْ بَالْعُلَى وَأَفْسَدَ الدَّلَبَا بَكْسَمْ إِنْدَادَا  
33 - وَتَعَاصَمَتْ عِيدَالْكُمْ أَنْ تَفَرَّى فِي آلَ تَزَمَّلْ أَوْبَيْيِي تَزَرْدَادَا  
34 - شِيدَنْ يَا فَرِيقَيَّةٍ مُلْكَاغْفَا لَمْسَا اصْنَفَنْكُمْ مُلْجَاهَا وَمَعَادَا  
35 - وَطَرْدَنْ غَنْ جَانِبَهَا كُلُّ ذِي دَغْرِي ثَهَادِي بَيْنَهَا وَثَهَادِي <sup>(255)</sup>

وهكذا صفا الجو لدولتهم وساد الأمن والرخاء وتعللت التفوس لتحقيق ما تطمح إليه وترجو بل وتعتني . قال ابن الأبار [الرهل] <sup>(256)</sup> :

- 25 - إِنْمَا آلَ أَبِي حَفْصِرْ هَذِي بَسْكَنِيفَ الْقَرْيَيْ وَيَخْلُرُ السُّرَّا  
26 - قَذْأَفَاءَ يَهِيمُ ظَلُلَ الْمُنْتَسِي وَصَفَّا بَنْ شَرِبَهَا مَا كَنْزَا  
27 - ثَيَخَدَ الْأَسَانُ عَلَاهُمْ سَشَا وَئَلاَ الدَّفَرُ لَحَلَاهُمْ سُورَا

92) د/ص (252)

115) د/ص (253)

183-184) د/ص (254)

255) المقصود ابن غانية .

186) د/ص (256)

وأَتَخَذَتْ هَذِهِ الدُّولَةُ شِعَارًا لَهَا الرَّايةُ الْحُمَرَاءُ رَمْزاً لِدَمَاءِ أَعْدَائِهَا وَمَنَّارِهَا . قَالَ الشاعر [الطوبل] (257) :

45 - بِرَأْيِهِ الْحُمَرَاءُ يَصْنُطِلُمُ الْعَسْدِيُّ لِمُلْكِهِ الْبَيْضَاءِ غَصْبَانَ مُفْسِدًا

## 11 - العائلة الحفصية :

لا نجد في ديوان ابن الأبار ذكراً — من الأسرة الحفصية الكبرى — إلا لعائلة أبي زكرياء يحيى الأول مؤسس الدولة الحفصية ، فقد تردد ذكر هذا الأمير وذكر أبيه أبي يحيى زكرياء وأبي عبد الله محمد .

## المولى أبو زكرياء الحفصي

### أ - ألقابه :

عندما نمكّن أبو زكرياء من الفضاء على ثورة ابن عانية واستقلّ بإفريقية متهدّياً بذلك السّلطة الموحدية بمراكنش ، رأى إلا يحيط نفسه بمعظّر الأئمة والعلماء . وهذا دليل على حصافة رأيه وبعد نظره فاكتفى باسم (أمير) ورفض أن يخاطب بأمير المؤمنين (258) في سنة 634/7-1236 . وفي ديوان ابن الأبار تحدّث كلمة (خليفة) تردد بكثرة نعاً لأبي زكرياء من ذلك قول الشاعر [الكامل] (259) :

31 - وَخَلِيفَةُ الْأَرْضِ لَكِنْ بَشَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ ، يُمَدُّ فِي تَضْيِيْ

كما نجد لقب (المرتضى) كما جاء في قول الشاعر [الكامل] (260) :

24 - قَسْنَا يَخْتَبِي الْمُرْتَضَى لَقَدِ اتَّضَى مِنْ تَأْيِيْهِ يَشَّالِ الصَّفَاجِ صِفَاجِ

(257) د/ص 342 .

(258) الأدلة البينة ، ص 48 .

(259) د/ص 79 .

(260) د/ص 117 .

كما يدعوه بأمير المؤمنين بعد فتح تلمسان ، ونهاطل بيعة مدن العدوتين الإفريقية والأندلسية عليه . قال [السرير] (261) :

2- أَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْذِي دَوَّلَتْهُ بَشَرٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ  
كما نجد ابن الأبار يسمى أبا زكريا (ملك المغرب) تفاصلاً وتشيراً باملاكه للكامل  
أرض المغرب . قال ابن الأبار بمناسبة حفلة سيرك شاهدها في ملعب تونس في أوائل  
شعبان سنة 1238/636 بعد أن وصف الحيوانات المفترسة [المتقارب] (262) :

34- غَرَائِبُ شَشِيَّ تَهْرُزُ الْعَقُولَ جَمْعُنَ الْذِي مَسْلِكَ الْمَلَبِّ  
35- إِنَّمَا هُذِي لِوَرَةِ ثَاقِبٍ وَرَهْرَهُ الْكَوَاكِبُ أَنْتَ شَفَقٌ  
36- غَلَى مَذْهَبُ إِلَامِ الرُّضْنِيِّ ثَبَّلَةُ، وَغَلَّةُ مَشْفَقٍ  
37- يُهَبِّ لِذَغَوْرَسِهِ بِالْأَسَامِ فَيُرْضِي إِلَاهَ وَيُرْضِي الشَّيْ

ب - عائلته :

- أبوه وجده :

لمن كان الفضل في قيام الدولة الحفصية يرجع بالدرجة الأولى إلى الأمير أبي زكريا ، فقد مهد له الأرضية الصالحة لذلك أميره أبو محمد عبد الواحد ، وجده أبو حفص عمر بن يحيى الهمتاني أحد أصحاب المهدى . ولهذا نجد ابن الأبار كثيراً ما نوره بشأنهما أثناء تمجيده بصفة عامة للعائلة الحفصية ، وبصفة خاصة عند مدحه لأبي زكريا . قال ابن الأبار يذكر ثلاثة [البيط] (263) :

21- وَإِنْ يَخْيَى بْنَ عَبْدِ الرَّاجِدِ نَنْ أَبِي خَفْصِ لَأَنَّزَ مِنْ شَفَقِ الْفَطْحِيِّ لَتَّبا  
22- ثَلَاثَةُ هُمْ نَجُومُ الْأَرْضِ فَلَدَعَشَرُوا وَغَاشَرُوا فِي السَّمَاءِ السَّبْعَةِ الْمُهَبَّا

(261) د/ص 300.

(262) د/ص 101.

(263) د/ص 74.

ويرى ابن الأبار أن السلطة التي ورثها أبو زكريا عن أبيه هي حق من حقوقه وله أن يورثها أبناءه بعده حقا شرعا لا مراء فيه . قال [المتدارك] (264) :

- 4- غَنِيَ عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ أَخْرَجَهَا يَخِيُّ لِلشَّغَلِ، ابْنَنْ وَابْنَ  
5- فِي جُمْجُمَةٍ (265) عَلَيَا وَرَخْسِيَّ عَمَرُ الْفَارُوقُ لَهَا فُطُوبُ
- أباوه :

وابناء المولى أبي زكرياء جديرون بهذا الإرث وهذا التوبيخ فهم كالنجوم مع البدر ، نورا ورفعة . قال الشاعر [البسيط] (266) :

- 66- يَلْتَمِسُ بَذْرًا أَبْوَيَخِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ إِزَاءَهُ كَالنَّجُومِ الزُّفَرِ اِنْسَانُ  
67- قَدْ رُتِبُوا فِي نِظَامِ الْمُلْكِ أَرْبَعَةَ كَمَا يُرْتَبُ نَظَمُ الْقَدِيلِ لَأَلْأَلِ  
ولا يكتفي ابن الأبار بالتعجب بل نراه يذكرهم بأسمائهم واحدا واحدا . قال [الطوبل] (267) :

- 66- وَأَطْلَعَ مِنْ أَبْنَائِهِ زُفَرَ الْحُمَّامِ يَسَافِسُ فِي أَتْوَارِهَا الْمَغْرِبُ الْمَرْقَا  
67- ئَلَا زَكَرَيَاءُ الْأَمْرُ مُحَمَّدٌ وَبَرْزُ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَهُمَا سَبْقَا  
68- وَجَاءَ أَبُو يَكْرِبِ أَخْيَرًا بَارِقًا مِنَ الْفَضْلِ يَتَوَلِّي عَلَى شَأْوِهِمْ لَخْفَا  
ولا يترك الشاعر فرصة تمر دون تهنئة الأمير بوليه الخامس عثمان الذي تراث مولده مع عبد الأضحى . قال [مخلع البسيط] (268) :

- 38- لَهُ مَسِينٌ تَخْلِسَةُ الْمُقْسِدِيِّ يَخِمُ يَزِينُ الزَّمَانَ حُسْنَا  
40- سَمِّيَاهُ عُثْمَانَ إِذْ تَمَاهَ يَسْلُبُ تَسْفَتَ السَّمَاءِ مَقْسِي

. 92 د/ص (264)

. (265) الحجمة : رؤساء القوم وساداتهم .

. 248 د/ص (266)

. 385 د/ص (267)

. 303—4 د/ص (268)

- 42 - جَاءَ بِهِ خَامِسُ الدَّرَابِيرِ ذَفَرَ لَوْيَ تَرْهِفَةً وَضَّا  
 44 - مَوْلَانِي هَلْكَتْ عِبَدَ أَضْحَى أَضْحَى بِسِلَادِهِ يَهْتَى

### ج - حياته الخاصة :

إن ما نورده كتب التاريخ من تفاصيل أبي زكرياء في مأكله وملبسه ومركتبه يمكن أن يكون من المبالغات التي وجب ترويجهما في تلك الفترة لتدعم أركان الدولة الجديدة ، حتى أنها كادت أن تجعل من أبي زكرياء صورة طبق الأصل لجده - كما زعموا - عمر بن الخطاب . والشعر قد يفتح لنا بعض الأبواب المؤصلة فترى صاحب السلطة على حقيقته . فابن الآثار قد عاش مدة طالت أو قصرت - في رحاب بلاط أبي زكرياء فوصف في ديوانه بعض مجالس الأنس التي كانت تقام في منتزهات الحفصيين بأبي فهر في ضواحي عاصمتهم . وكان الأمير يستدعى من رجال دولته من يراه جديرا بهذه الجلسات الخاصة . قال ابن الآثار في مجلس أنس بأبي فهر عقدت فيه مأدبة في عهد أبي زكرياء [مجزوء الوافر] <sup>(269)</sup> :

- 51 - وَنَسْرَمْ فِي (أَبِي فَهْرٍ) نَسْرَخْ فَغَرَّزَهُ الْأَبْدَ  
 52 - نَعْذَى السَّرُوخَ وَالرِّنْخَ (بِمِنْهَةِ السَّرُوخِ وَالرِّنْخِ)  
 53 - أَفَإِيْسَنْ مِنْ التَّعْمَى إِذَا مَأْصِدَرَثْ ئَرِيدَ  
 54 - وَجَنْسَاتْ مَرْخَرْ فَسَيَّةَ يَشُوقُ حَمَاهُهَا الْعَرِيدَ

ومن هذه الحزنيات التي يهتم بها شعراء البلاط مرض الأمير وشفاؤه . فابن الآثار يذكر مرض أبي زكرياء وشفاؤه في ثلاثة قصائد مدحية : نرجح أنه قال الأولى منها وهو في تونس في فترة كانت علاقه بالأمير علاقة عاديه . وقد اغتنم مناسبة شفاء الأمير ويوم عيد أضحى ليهته بالمناسبين . قال [الكامل] <sup>(270)</sup> :

- 38 - إِنْ كَانَتِ الْأَيَّامُ يَهْمَاقِلَهُ فَلَشَدَ مَا كَيْثَ بِهِ إِنْصَاحًا  
 39 - لَوْ لَخَنْ مَرْضَى لَا شَفَاءَ لِتَقْمِهَا فَالآنَ لَمَّا صَحَّ رُخَنْ صِحَاحًا  
 40 - لَهُ أَضْحَى زَائِهَ بِهَايَهُ كَالثُّنْسِ زَانَ شَعَاعُهَا إِلْصَاحًا

(269) د/ص 146

(270) د/ص 118

أَمَا الثَّانِيَةُ وَالثَّالِثَةُ فَيَبْدُو أَنَّهُ قَالُوهُمَا فِي آخِرِ عَهْدِ أَبِي زَكْرِيَّاءِ وَهُوَ مُغْضُوبٌ عَلَيْهِ بِسِحْرِهِ . فَقَدْ ذُكِرَ فِي الْأُولَى الْأَمِيرُ مُحَمَّداً وَنَادَاهُ بُولَى الْعَهْدِ<sup>(271)</sup> ، فَقَالَ [الْكَامِلُ]<sup>(272)</sup> :

12 - يَشِفُّكُوا لَكَ الْمُتَّمِمُونَ مَطْلُمُهُ نَسْكَمَتْ عَلَى اغْفَارِهَا الْعَلَلُ  
وَطَلَبَ الْعَفْوَ فِي الثَّانِيَةِ مُشِيرًا إِلَى بَعْدِهِ عَنِ الْمَدْوَحِ<sup>(273)</sup> . فَقَالَ مُتَوَهًا بِشَفَاءِ  
أَبِي زَكْرِيَّاءِ [الْوَافِرُ]<sup>(274)</sup> :

- 1 - ثُقُوسُ الْعَالَمِينَ لِكَ الْفَدَاءُ فَكَيْفَ الْمَبْرُوكُ اشْتَكَاهُ  
8 - فَسَانَ عُوفِيَّتِ الْبَرَائِا وَقَذَ نَاجِيَ مَعَالِمَهَا الْفَقَاءُ  
11 - لَصَاعَنْكَ الضَّئِيْلَ بُرْزَةٌ سَعِيْدٌ كَمَا رَوَثَ صَدَى الْأَرْضِ السَّمَاءُ

#### د - وفاته :

ويبدو أنَّ هذا المرض الأخير كان سببه الحزن الشديد الذي ألم بأبي زكريا بعد  
وفاة ولـي عهده وابنه أبي بحـى . ولم يلبـث الخليفة أن توفي بيـونـة<sup>(275)</sup> بعد أن ظـنـ  
الناسـ أـنـهـ شـفـىـ منـ مـرـضـهـ أوـ كـادـ . فـقـالـ ابنـ الـأـبـارـ [الـكـامـلـ]<sup>(276)</sup> :

- 18 - فِي بُوئَةِ بَائِثِ حَيَاةِ الْمَرْئَضِيِّ يَخْسِي وَقِيَّدَ إِلَى الْقَرَى بِزَمَامِ  
19 - وَهَنَاكَ خُطُّ ضَرِيعَةٍ سَقَالَهُ مَلَأَ<sup>(277)</sup> يَاقِنَّةً عَلَيْهِ جَيَّامَ

(271) تـوـيـلـ الـعـهـدـ بـعـدـ وـفـاتـ أـبـيـ بـحـىـ فـيـ سـنـ 7-1248/646 (أنـظـرـ أـيـضاـ دـ/ـصـ 242ـ بـيتـ 39ـ وـ40ـ).

(272) دـ/ـصـ 241ـ .

(273) دـ/ـصـ 51ـ بـيتـ 18ـ .

(274) دـ/ـصـ 50ـ .

(275) حـسـبـ الـأـدـلةـ الـبـيـةـ مـنـ 51ـ تـوـيـلـ لـيـلـةـ الـجـمـعـةـ 29ـ جـمـادـىـ IIـ 9/647ـ أـكـتوـبـرـ 1249ـ،ـ فـيـ دـ/ـصـ 262ـ :ـ 22ـ جـمـادـىـ IIـ 1249/647ـ .

(276) دـ/ـصـ 263ـ .

(277) مـلـ الـمـطرـ مـلـ :ـ أـمـطـرـ بـشـدةـ .

## أبو بحبي زكرياء بن أبي زكرياء بحبي الحفصي

أبو بحبي زكرياء هذا هو الابن الأكبر لمؤسس الدولة الحفصية أبي زكرياء بحبي الحفصي . وقد اختاره والده لحكم مدينة بجاية — أو الناصرية <sup>(278)</sup> كما يحلو لابن الأبار تسميتها — في سنة 1237/633 بعد رجوعه من حملته الأولى الموفقة على المغرب الأوسط . ولا نجد صدى لهذا الحدث الكبير في حياة هذا الأمير في شعر ابن الأبار ، لسبب بسيط هو أن الشاعر في هذه السنة مازال في وطنه ومسقط رأسه بنسبة .

وعلى عكس ذلك نجد في ديوان ابن الأبار اهتماماً بهذا الأمير في ثلاثة مناسبات :

— الأولى : بمناسبة تعيينه ولبا للعهد يوم الخميس 2 رجب 1240/638 . وقد ذكر الشاعر بهذا الحدث خمس مرات في القصائد رقم 58 ص 133 درجة 84 ص 181 ورقم 85 ص 185 ورقم 86 ص 190 ورقم 5 من الملحق ص 440 .

إن كفاءة الأمير وقدرته وحسن سلوكه وتحليل أعماله هو الذي جعل أباه يعينه لولاية العهد . قال ابن الأبار [الطريل] <sup>(279)</sup>

30 — أميرًا حبًى منه أميرًا يملكيه فتأذنك شارُ الدين في البغي والكفر  
31 — وقلَّدة العنة الإمامي زفافاً سيرته الحسني وآثاره الفخر

والدولة في حاجة إلى مثل هذه الكفاءة لردع من بناؤها من الأعداء . قال الشاعر [الكامل] <sup>(280)</sup> :

29 — أنصي وآلفذ من ولابة عهديه مَا شرِفَ الإمضاء والإثبات  
30 — وآضا بالنصر الخُرُب منه مهْدا يُسقِي العذى صيرف الرُّدَى هذادا

(278) نسبة إلى مؤسسها الناصر بن حماد الصنهاجي .

(279) د/ص 192 .

(280) د/ص 183 .

قال ابن الأبار [الرجن] (281) : وهي بيعة إجماع لم يختلف عنها أحد لما يتمتع به الأمير أبو بحى من خصال .

- 6 - وَلَا لَهَا فِي الْأَرْضِ مِنْ مُعَانِدٍ

7 - مَا يَتَّسِعُ مَغْهِرَةً وَعَاهِدٌ

8 - وَعَقْدَهَا جَلْ عَنِ الْعَقَابِ

20 - إِنَّ الْعَلَى مَجْمُوعَةٌ فِي وَاحِدٍ

وهي كذلك بيعة رضوان وبركة على المسلمين فلا غزو أن يشيد بها الشادي وبنوه بها المنوّه . قال الشاعر [الطويل] (282) :

- فَهُبْ لَهَا أَهْلُ السُّعَادَةِ بِالْخَلْدِ  
يَتَقْرِيدُهَا مِنْ أَهْلِهِ الصَّادِقِ الْوَغِيدِ  
عَنِ الْفَمِ الْوَضِّاحِ فِي أَفْيِ الْمَجِيدِ  
كَمَا اتَّقَى الْأَنْذَاءِ صَبَّعَا عَلَى وَرَدِ

1 - أَشَادَ بِهَا الدَّاعِي الْمُهِبُّ إِلَى الرُّشْدِ  
2 - وَلَائِهَ عَهْدَ الْجَزِ الْحَقُّ وَغَدَةُ  
3 - وَتِيقَةُ رِضْوَانٍ تَلْبِسُ صَحَّهَا  
12 - عَلَى رَكْرِيَا بْنِ يَحْيَى التَّقِيِ الرَّضِيِّ

وهي بيعة لمن جسمت استمرارية الدولة في آل أبي حفص ، فهي تدعى سنة عريقة  
تنتهي بعوجهها انقال السلطة من الأب إلى الابن . قال ابن الأثير [المرمل] (283) :

- 21 - حَسْبَهُ<sup>(284)</sup>، مَعْلُوَةً، خَدْمَتْهُ الْأَمِيرُ بَنْ إِنَامِ الْأَمِيرِ  
 22 - زَكَرِيَّاهُ بْنَ يَحْيَى الْمُزَنْصِرِيِّ غَبَّالِهِ الْوَاحِدِ بْنِ غَفَّارِهِ  
 23 - نَسْبُ أَهْمَرٍ مِنْ شَفَرِ الصَّحْسَى لَبْنَ مَاءِ الْمُزَنِّ مِنْهُ أَطْهَرِهِ  
 24 - وَاتَّ يَخْلُفَهُ لَبْنَ فَيِ الْعَلَى كَالْجَنِيِّ يَغْثَبُ يَغْدُ الزَّهْرَى

— الثانية : بمناسبة زيارته لتونس . وقد أشار الشاعر إلى هذا الحدث في خمس قصائد : وهي القصيدة رقم 85 ص 185 ورقم 86 ص 190 ورقم 87 ص 193 ورقم 116 ص 225 ورقم 202 ص 425 .

. 133—4 د/ص (281)

. 440-1 م/د (282)

١٨٦ د/ص (٢٨٣)

284) الفضيير يعود على الشاعر .

ويبدو أن حاضرة تونس استعدت لقبول أمير بجاهة ولئي العهد ، فبدت في أحلى زينة وكأنها في يوم عيد . ولهذا تسأله الشاعر في مطلع قصيده رقم 86 ص 190  
فائلًا [الطوبل] <sup>(285)</sup> :

١ - **أَمْبَشِيمُ الْأَضْحَى وَمَطْلُعُ الْفَطْرِ** أَمِ الدُّولَةِ الْغَرَاءُ وَضَاحَةُ الْبَشَرِ <sup>(286)</sup>  
ودخوله إلى حاضرة الدولة يشبه الأبطال العائدين من المعركة مكللين بازاهير الغار .  
قال الشاعر <sup>(287)</sup> :

28 - **تَحْلُى يَمْلَا الدُّبَيْتَاجَلَّا** وَأَكْنَافُ السُّهُولَةِ وَالْوَغْرُورِ  
29 - **فَكَسَمْ مِنْ أَنْفُسِ الْهَدَاءِ** وَمِيلَ وَكَنْمِ مِنْ أَعْيُنِ لِسَنَاتِهِ صُورِ  
30 - **وَجَاهَتْ مِنْ حَوَالَيْهِ جِيَوشَ** تَحْكُلُ بِعَارُهُمْ عَنِ الْعُبُورِ  
31 - **وَرَأَيَاتْ كَافِيَّةً الْأَغْسَادِيِّ** إِذَا حَفَقَتْ وَأَجْنَحَةُ الطُّورِ

ويرى ابن الأبار - تأكيدا على أواصر المحجة التي تربط ابن أبيه - أن هذه الزيارة هي زيارة الشبل لعربي الأسد . قال [الطوبل] <sup>(288)</sup> :

٥ - **أَلَا هُرَّ ثِينُلُ الْبَاسِ رَازِ هَرَبِرِ** فَقَسَرَ قَرَارُ التَّاسِ مِنْهُ عَلَى الرَّازِ  
١٥ - **تَسَاوَرَتِ الْبَشَرِيِّ يَسُومُ قُدْرَمِهِ** عَلَى الْعَضْرَةِ الْعَلَيَاءِ فِي الْبَذِرِ وَالْخَضْرِ

ويؤكد الشاعر على البهجة التي عمرت القلوب بزيارة الأمير أبي يحيى زكرياء إلى تونس ، فوالده قد قررت عينه برؤبة نجله ، والعاصمة بأكملها عمها السرور بحلول ركب ولئي العهد بها . قال [الوافر] <sup>(289)</sup> :

١٩ - **مِلَالًا خَلُّ مُنْزَلَةِ الْقُرَيْبِ** وَقَبْلَ رَاحَةِ الْبَذِرِ الْمُبَيِّرِ  
٢٠ - **وَثِينَلًا يَسْهُصِرُ الْآسَادَ بَاسِا** الْأَسْمَ بِعَابِرَةِ الْأَسَدِ الْمُهَصِّرِ

---

. 190 د/ص (285)

(286) تعليق المحقق يدل على سوء فهم للبيت .

. 194 د/ص (287)

. 190—١ د/ص (288)

. 194 د/ص (289)

- 23 - أَمِيرُ الْدَّهْرِ يَوْمَ فِيهِ رَافِي  
 24 - إِلَذَارُ الْمُكْلِكِ صَارَ وَسَازَ يَمْتَأْ  
 27 - وَأَكْرَمُ زَائِرٍ تَجْلَلُ أَفْرَثُ عُلَاءَ غَنِيَّنَ نَاجِلَهُ الْمُزُورُ

إن الزائر هو رجل الدولة في المستقبل ، ولقد نسبع بكل خصال رجالها من الجدة الأولى للعائلة وهو عمر بن الخطاب ، إلى جده القريب الشيخ أبي حفص ، إلى أبيه أبي زكريا يحيى مؤسس الدولة . وقد قام هذا الأخير بتدبيح وصيحة له يرى الشاعر أنها مستفادة من مبادىء المهدى بن تومرت <sup>(290)</sup> فقال [الوافر] <sup>(291)</sup> :

- 1 - وَلِيُّ الْعَهْدِ أَمْ عَهْدُ الْوَلِيِّ  
 13 - إِلَى الْفَارُوقِ ثَمِيمِ السَّجَابَا  
 14 - وَخَسِيبُكَ مَا هَذَا مِنَ الْوَصَابَا  
 17 - ذَلِمْ يَكُنْ مَنْ أَبْوَ حَفْصَرَ أَبْوَ

— الثالثة : بمناسبة رجوعه من الحضرة تونس إلى بجاية ، وقد رأى الشاعر أن الأمير ذهب هلالا مضينا فعاد بدرنا كاما ، عليه ملامع الشباب جمالا وبهاء ، وله عقل الكهول حكمة وسدادا . قال [الخفيف] <sup>(292)</sup> :

- 1 - آبَ بَذْرًا وَقَذَ الْسَّمَّ هَلَالًا مَنِيلَكَ زَيْدَ لِلْكَتَالِ سَكَمَا  
 2 - إِنْ يَكُنْ يَمْلَأُ الْعَيْوَدَ شَيْابَا لِلْقَدَنِ يَهْرُ الْحُلُومَ اِنْتَهَا لَا

### أبو عبد الله محمد المستنصر

جاء ذكر أبي عبد الله محمد المستنصر ابن الثاني لأبي زكريا في 6 مناسبات في القصيدة رقم 42 ص 103 ورقم 70 ص 167 ورقم 69 ص 166 ورقم 68 ص 162 ورقم 120 ص 262 ورقم 22 من الملحق ص 541 ورقم 132 ص 290 .

(290) من مبادىء السياسة الحفصية التأكيد على تمكناها بالمذهب الموحدى ومبادئ المهدى، وذلك رداً على ما فعله المأمور المزحدي في مراكش من تكثير لمذهب الدولة الرسمى .

(291) د/ ص 425-6 .

(292) د/ ص 254 .

الأولى : قالها الشاعر لما توفي أخوه الأمير أبو يحيى زكرياء حاكم بجاية وولي  
العهد ، فقد اختاره أبوه أبو زكرياء يحيى أولاً ليعرض أخيه على رأس ولاية بجاية المدينة  
الثانية في المملكة الحفصية وكان ذلك سنة 646/1248 . فقال ابن الأبار منها بهذا  
الاختيار [الكامل] <sup>(293)</sup> :

16 - هذِي بِجَاهَةٍ قَدْ سَدَّدْتُ ثُغُورَهَا بِعَزَلِكَ بِنَفْسِي الْأَمْسُورُ مُسْدِدًا

وبعثم الشاعر هذه الفرصة ليطلب من العولى أبي زكرياء تكريم أبي عبد الله محمد  
بولاية العهد ، وهو ما يرغب فيه أبو زكرياء نفسه . قال <sup>(294)</sup> :

22 - وَأَغْفِضْ لِمَوْلَائِي الْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ عَهْدًا بِهِ تَرْضِيَ التَّبَّيِّ مُحَمَّدًا

20 - هُرَّ زَانَ إِخْوَانَهُ وَهُمْ زَانُوا الْهَذِي فَكَانَتْ قَصِيدَةً مُجَرَّدًا

21 - وَسَطَى فِلَادَبِهِمْ وَزَهْرَةَ رَزْبِهِمْ وَأَخْنَقَ مَنْ حُبِيَ الْجَيْبَ وَقَلَّذَا <sup>(295)</sup>

- الثانية : قيلت بمناسبة تعيين هذا الأمير في نفس السنة التي توفي فيها أخيه  
يحيى ، ولها للعهد . فنوه ابن الأبار بهذا الحدث ورأى أن أبياً زكرياء أحسن الاختيار  
عندما عين ابنه محمدًا لهذا المنصب الخطير . فقال [الطوبل] <sup>(296)</sup> :

1 - ئَخْيَرْتُ مُحَكَّمَ الْحَلِيفَةَ لِلْعَهْدِ فَرَزَّوْتُ أَمْخَالَ الْبَيْسِطَةَ كَالْعَهْدِ <sup>(297)</sup>

6 - وَفِي رَجَبِ مَا هُشِّوا بِالْعِقَادَهَا لِيَنْهَا فَرَزْدَ الشَّهُورِ إِلَى فَرَزْدِ

29 - هَبِيشَا يَخِيَّى أَنَّهُ مُحَمَّدٌ تَرْجِي أَوْ أَخْيَى الْغَلَافَةَ بِالشَّدَّ

31 - إِمَامُ أَرَادَ مِنْ إِمَامَةِ تَجْلِيَةِ مَيْتَةَ مُشَفَّرٍ وَمَيْتَةَ مُسْتَفِدٍ

وفي الديوان ذكر المحقق — اعتماداً على المصادر التاريخية — تاريحين لولادة العهد  
هما رجب 646 (د/ص 162) و 12 ذي الحجة 646 (د/ص 166) . وفي احدى

. (293) د/ص 168 .

. (294) د/ص 168 .

(295) هذه القصيدة أصاب القلف بعض أبياتها كما أشار محقق الديوان ، ويغلب على الظن أن ما  
يغلي منها من أبيات وصل إلينا مشوشًا فحاولنا إعادة ترتيب الآيات المستشهد بها .

. (296) د/ص 162 و 164 .

(297) العهد : مطر بعد مطر يدرك آخره بلال أوله .

القصائد نجد أنها تمت في أول عام جديد أي في شهر محرم ولن يكون هذا العام إلا سنة 1249/647 . قال ابن الأبار [الرجز] <sup>(298)</sup> :

- 11 - يَا يَعْلَمُ الْمُرْضِوانِ أَوْ يَا أَخْتَهَا هَنْتَ فَخْرًا، عَنْرَةً لَنْ يَنْفَدَا  
12 - أَهْدَى بِكَ الْعَامُ الْجَدِيدُ أَمْلًا تَيْسَنَ يَدَيْهِ لِلْهَدَى مُجَدَّدا

وهو بذلك لم يترك المسلمين نهب الضياع بعده ، فضمن لهم تعين ولئن عهد جديد الاستمرارية في كف الأمان والطمأنينة . قال [رجز] <sup>(299)</sup> :

- 1 - إِنِّي أَسَمُ الْحَقَّ لَا يَسُمُّ أَنْ يُصْدِرَ عَنْ حَقِيقَةٍ وَيُورِدَا  
2 - قَلَّدَهَا غَنِيَ الْجِهَادِ أَهْلَهَا يَا مَسْنَنَ رَأَى مُجْتَهَدًا مُفْلِدًا  
4 - بِخَلَاقَةِ لَوْغَيْرِ يَخِسِي الْمُرْتَضَى يَعْثِيْهَا زَارَمَ قِيَامَسَا فَقَدَا  
6 - وَلَمْ يَلْعَمْ أَمَّةَ أَخْمَدَ سُدَى حَبْتُ ارْتَضَى لِغَيْدَهَا مُحَمَّدًا

، ولو لي العهد المعين يستحق هذا المنصب لما حباه الله من خصال موروثة ومكتسبة [الطويل] <sup>(300)</sup> :

- 41 - بِخَلَاقَةِ يَخِسِي زَانَ عَهْدُ مُحَمَّدٍ وَلَا شَكَّ أَنَّ الرُّزْدَ يَرْذَانَ بِالْقُلْبِ <sup>(301)</sup>  
42 - هُمَا الْقَمَرَانِ النَّيَّانِ وَإِنَّهَا مَذَارُهُمَا لِلْمُغْلَوَاتِ عَلَى قُطْبِ  
43 - أَمَا وَرَلَيُ الْعَهْدِ أَرْكَى إِلَيْهِ لَقَدْ أَخْرَزَ الْغُلْبَا بِالْأَرْضِ وَالْكَنْبِ

— الثالثة : قالها الشاعر بمناسبة إعدار بعض أبنائه . وكان ذلك ما بين نهاية 1249/646 وبداية 1249/647 عندما كان أبو عبد الله ولها لعهد أبيه . وهذا من باب الترجيح لا اليقين لأن الشاعر لا يذكر اسم الممدوح وإنما يكتفي بقوله (ولي

(298) د/ص 166 .

(299) د/ص 166 .

(300) د/ص 86 .

(301) القلب : السوار .

العهد) . وهذا يمكن أن ينطبق على أبي عبد الله ويمكن أن ينطبق على أبي بحبي أخوه الأكبر . قال الشاعر [البسيط] <sup>(302)</sup> :

- 18 - يَا شَيْءَةَ النَّاسِ إِنْ يُنْتَهِ فِيكَ فَقْدٌ أَشْخَصِي رِجَاهُ وَلِيَ الْعَمَدَ اسْرِي فِرْجًا  
 30 - هَادِ لِفَعْنَى أَبِيهِ الْمُرْئَضِيَّ غَلَّا لِجَهْرِ مَا اتَّهَاهُ أَوْ إِصْلَاحٍ مَا امْرَجَاهُ  
 31 - لَهُ مَشْرُوعٌ آثَارٌ ثَقَلَهَا مَذَاهُ فَاغْتَدَهَا أَهْلُ الْهَدِيَّ حَعْنَاهَا  
 32 - مُطَهِّرًا مِنْ نَبِيِّهِ كُلُّ مَنْ طَهَرَتْ أَغْرَافُهُ ، وَتَرَقَتْ بِنِي الْعُلَى ذَرَحَا

- الرابعة : قالها في موت أبي زكريا : يبدو أن العولى أنها زكريا تأثر بوفاة ابنه أبي بحبي فعرض وتوفي بعد ابنته بأشهر قلائل بمدينة بونة في جمادى II 647/أكتوبر 1249 <sup>(303)</sup> . فاغتنم ابن الأبار هذه الفرصة ليقترب إلى الحاكم الجديد . فتلقى راتبا [الكامل] <sup>(304)</sup> :

18 - فِي بُورَةِ بَائِثِ حَيَاةِ الْمُرْئَضِيِّ يَخْسِي وَقِدَّ إِلَى الْأَسْرَى بِزَمَانِ  
 وَمُهْنَشَا <sup>(305)</sup> :

49 - يَمْحُمَّدُ وَعِدَّتْ رَغَابًا أَخْمَدَ الْأَنْزَالَ زَوَاهِرَ الْأَيَامِ  
 51 - مَلِكُ ثَمَّةِ بَنِ الْمُلُوكِ عَذَابَهُ هُنَى مَفْخُرُ الْأَسْبَافِ وَالْأَلَامِ

- الخامسة : قيلت في سنة 1250/648، بمناسبة إصال المستنصر الماء إلى مدينة تونس من زغوان بواسطة الحنابا الرومانية التي أعيد ترميمها وتصليحها ، كما أوصل الماء إلى جامع الزيتونة . وقد كتب ابن الأبار رسالة طربلة <sup>(306)</sup> للتشويه بهذه

(302) د/ص 5-104.

(303) اختلفت المصادر في تحديد اليوم . في الديوان ص 162 : 22 جمادى II ، وفي الأدلة البيئة التراثية ص 51 : 29 جمادى الثانية وفي تاريخ ابن أبي القياف ج 1 ، ص 160 : ليلة الجمعة 28 جمادى II .

(304) د/ص 263 .

(305) د/ص 265 .

(306) انظر الرسالة في أزهار الرياض للمنزري: 3/114 .

الصَّبَع،<sup>(307)</sup> وخلال الرِّسَالَة ذُكْر ابن الأَبَار أَيَّاتاً لَهُ فِي مدح الْمُسْتَنصِر أَوْلَاهَا  
[البَسيط]<sup>(308)</sup> :

١— جَمِعْتُ لِلنَّاسِ بَيْنَ الرُّؤْيَ وَالشَّبَعِ فَهُمْ يَأْنَصَبُ مُضْطَافٍ وَمُرْتَبِعٍ  
وَهَذِهِ الْأَيَّاتُ لِابْنِ الْأَبَارِ هَامَةٌ مِنَ النَّاحِيَةِ التَّارِيْخِيَّةِ لِأَنَّهَا تَبَيَّنَ أَنَّ تَرْبِيمَ وَإِصْلَاحَ  
الْحَنَابِيَا تَمَّ فِي مَرْجِلَتَيْنِ : الْأُولَى وَكَانَتْ فِي سَنَةِ 1250/648، وَالثَّانِيَةُ تَمَّتْ فِي سَنَةِ  
1267/665<sup>(309)</sup> أَوْ 1268/666<sup>(310)</sup> وَهِيَ الَّتِي أَنْشَدَ فِيهَا حَازِمُ الْقَرْطاجِينِيُّ  
الْمَقْصُورَةُ . وَقَدْ أَخْطَأَ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ الْمُعاصرِينَ فِي ذَلِكَ وَجَعَلُوهَا مَنَاسِبَةً وَاحِدَةً<sup>(311)</sup>  
وَأَرَخُوهَا سَنَةَ 1250/648 .

— السَّادِسَةُ : قَالَهَا بِمَنَاسِبَةِ كَانَ لَهَا صِدَاعًا فِي عَاصِمَةِ الدُّولَةِ الْحُفْصِيَّةِ ، إِذْ جَاءَتِ  
الْمُسْتَنصِرَ بِعِيَّةَ مَكَّةَ . وَقَدْ كَتَبَ نَصَّ الْبَيْعَةِ الْمُتَصَوِّفِ الشَّهِيرِ ابْنِ سَعْيَنَ ، وَكَانَ ذَلِكَ  
سَنَةَ 1252/657 أَيْ بَعْدِ سُقُوطِ بَغْدَادِ عَاصِمَةِ الْخِلَافَةِ الْعَبَامِيَّةِ عَلَى يَدِ التَّارِيْخِ .

وَالطَّرِيفُ أَنَّ هَذِهِ الْبَيْعَةَ وَصَلَتْ وَقَدْ شَفَعَ لِلْأَمِيرِ مِنْ مَرْضِ الْمَمَّ بِهِ . وَلِهَذَا جَمِعَ  
ابْنُ الْأَبَارِ فِي بَيْتِهِ لَهُ أَرْسَلَهُمَا مِنْ بَحَاجَةِ إِلَى تُونِسَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ ، فَقَالَ [الْكَامل]<sup>(312)</sup> :

١— إِنَّ الْبَشَائِرَ كُلَّهَا جَمِعْتُ لِلَّذِينَ وَالَّذِيْنَ أَوْلَادَمْ  
٢— فِي نَعْمَانِيْنِ جَمِيعَيْنِ هُمَا بُشْرُ الْإِمَامِ وَبَيْعَةُ الْخَرَمِ

(307) أَرْسَلَ أَبُو الْمَطَرْفَ هُوَ الْآخِرُ مِنْ مَدِينَةِ فَاسِ وَكَانَ فَاضِيَا عَلَيْهَا رِسَالَةً إِلَى الْمُسْتَنصِرِ مَهْتَأِيَّا  
بِهَذِهِ الْمَنَاسِبَةِ .

(308) د/ص 451 .

(309) الْفَارِسِيَّةُ ص 127 .

(310) الْأَدَلَةُ الْبَيْهِيَّةُ التُّورَانِيَّةُ ص 8—67 .

(311) مُحَمَّدُ ابْنُ شَرِيفَةَ : أَبُو الْمَطَرْفَ ، ص 152 .

(312) د/ص 290 .

يجد الناظر في ديوان ابن الأبار إشارات إلى المشرق العربي تدرج في نطاق التمجيد والتنويه بأبي زكريا وبالدولة الحفصية . فكما خضع له المغرب فإن الشرق بشأنه وعراقه لا محالة خاضع تبعاً لذلك . وابن الأبار لا يذكر من حكام المشرق العربي إلا حكام مصر من الأيوبيين . وهو يذكرهم ليستقص من شأنهم باعتبارهم ساهموا بدور فعال في إطالة ثورة ابن غانية . فقد أرسلوا لمساعدة الغزّ ، وعلى رأسهم القائد قراقوش . قال ابن الأبار [الكامل] (313) :

- 22 — هذِي الْمَالِكُ وَالْمُلُوكُ لِأَمْرِهِ شَفَادٌ طَبَقَهُ كَمَا تَسَاقُ  
 23 — سُجِّيَّةٌ عَيْبَ الْمَعَارِبِ شَامُهَا وَسَقَدِيَّ يَمَنُّ بِهِ وَعِرَاقُ  
 26 — بِآلِ آيُوبَ اضْغَتُوا عَنْ مِصْرِهِ (314) أَوْ أَذْغَنُوا فَلَسَةً بِهَا إِخْرَاقُ

وقد يذكر الشاعر بني آيوب حكام مصر ويقارن بينهم وبين آل يعقوب من الموحدين . ويرى أنَّ الموحدين أكثر جرأةً وشجاعةً ومع ذلك لم يستطعوا الوقف أمام أبي زكريا فكيف بآل آيوب ؟ قال [البسيط] (315) :

- 66 — وَاصْرِفْ عِنَائِكَ عَنْ مَرَاكِشِ ثَنَةَ بِالشَّجَاعَةِ فِيهَا إِلَى مِصْرٍ وَبَعْدَائَا  
 67 — مَا آلَ آيُوبَ رَالْآسَارُ نَاطِفَةَ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ إِقْدَامًا وَإِمْكَانًا  
 68 — لَهُؤُلَاءِ غَلَيْمَنْ فَضْلُ تَأْسِيمْ وَفَذْ قَرْضَتُهُمْ قَشْلاً وَخَلْعَائَا  
 69 — بِالْأَيْدِي وَالْكَبَدِ تَضْطَرُّ الْعَدَى أَبَدًا إِلَى إِبَادَتِهِمْ سُخْمًا (316) وَغَرْبَائَا (317)

(313) د/ص 388.

(314) مصره : بلده . وقد يكون الشاعر قد مصر البلد المعروف تقليلاً بحضور هذا البلد الكبير إلى المصدر .

(315) د/ص 310.

(316) السُّخْمُ : المرحُودون .

(317) الغَرْبَانُ : الغَرْبُ وَقَادِهِمْ قَرَاقُوشُ كَانُوا مَعَ ابنِ غَانِيَةَ .

### 13 — مقتل ابن الأبار

توفي أبو زكرياء وترك لابنه المستنصر دولة قوية ، فاتجهت عناته إلى البناء والتشييد وجمع حوله طبقة من العلماء والأدباء . وكان ابن الأبار واحداً منهم<sup>(318)</sup> . وكان من ألد أعداء الشاعر في هذا البلط الوزير ابن أبي الحسين ، وكان يحقد على ابن الأبار . (وكان سبب حقد هذا الوزير عليه أن ابن الأبار لما قدم في الأسطول من بلنسية نزل بيتررت وخطب ابن أبي الحسين بفرض رسالته ، ووصف أباه في عنوان مكتوب بالمرحوم ، وبته إلى ذلك فاستضحك ، وقال : إن أبا لا تعرف حياته من موته لأب خامل . ونبت إلى الوزير فأسرّها في نفسه)<sup>(319)</sup> وراح يكيد له .

وامتناع هذا الوزير في نطاق تنافس البلدين والأندلسيين على المناصب الهامة في البلط الحفصي أن يوغر صدر المستنصر على الشاعر . وكان (في ابن الأبار أتفة وبأو وضيق خلق ، وكان يزري على المستنصر في مباحثه ويستقصي مداركه ... مع ما كان يسخط به السلطان من تفضيل الأنجلوس وولاتها عليه)<sup>(320)</sup> .

وزاد ابن سعيد على ذلك (أن أخلاق ابن الأبار لم تعنه على الوفاء بأسباب الخدمة) <sup>(321)</sup> فأشخصه السلطان إلى بجاية ، لكن متى تم ذلك ؟

إن ابن سعيد عندما كتب ترجمة ابن الأبار في القدر <sup>(322)</sup> ذكر أن الشاعر كان في ذلك الوقت في بجاية . ومن المعلوم أن ابن سعيد دخل تونس سنة 1254/652 والتقى بابن الأبار وأخذ عنه المخطوطات التي أوردها في كتابه . حيثذا يحقق لنا أن نفترض أن ابن الأبار نفي إلى بجاية بعد هذه السنة . وبقي هناك إلى أن عفا عنه المستنصر سنة 1259/657 ، وقد هنأ صديقه أبو المطرّف بذلك في إحدى رسائله <sup>(323)</sup> .

(318) مقدمة إعتاب الكتاب ، ص 15 .

(319) العبر : 654/6 .

(320) العبر : 654/6 .

(321) اختصار القدر ، ص 19 .

(322) اختصار القدر ، ص 19 .

(323) ابن شريفة : أبو المطرّف ، ص 155 .

وقال الشاعر وقد التقى وجهها بوجهه بالمستنصر بعد طول غياب [الكامل] <sup>(324)</sup> :

- 1 - بُشِّرَتِي بِاُشْرَقَ الْهَذِي وَالثُّورَا بِلْفَائِسِي الْمُشَنْعِيرِ الْمُشَنْصُورَا
- 2 - فَبِإِذَا أَمْبَرَ الْمُؤْبِيْنَ لِتَبِيْهَةَ لَمْ تَقِنْ إِلَّا نَضْرَةً وَسُرُورَا

ويبدو أن الشاعر لم ينجح وللمرة الأخيرة في التأقلم مع بلاط الدولة الحفصية .  
وتطاير العاملان الأعداء ومراجعه الحاد في نفور المستنصر منه من جديد . ولكن في هذه المرة لم يتنه ، نظرا إلى تقدمه في السن ، وإنما احقره وأهمله فكان ابن الأبار إذا دخل على المستنصر ، لا يكلمه ولا يلتفت إليه وكان ابن الأبار يتشنكى من ذلك وبتألم [الوافر] <sup>(325)</sup> :

- 1 - عَلَّتْ سَيْئِي وَقَدْرِي فِي الْجَفَاضِرِ وَحَكَمَ الرَّبُّ فِي الْمَرْبُوبِ مَاضِرِ
- 2 - إِلَى كَمْ أَسْخَطَ الْأَقْدَارَ حَتَّى كَأْسِي لَمْ أَكُنْ يَوْمًا بِرَاضِرِ

وكان المستنصر إذا أشكل عليه شيء أو ورد عليه لغز معين أو مترجم بعث به إليه فيحله ، فإذا حضر عنده لا يكلمه ولا يلتفت إليه . فقال في ذلك [مجزوء الكامل] <sup>(326)</sup> :

- 1 - أَمْرِي عَجِيبٌ فِي الْأَمْوَارِ قَرَنَ الْمَرْأَيِي وَالظَّهُورِ
- 2 - مُسْتَقْنَعٌ لِعَنْسَدَ الْمَغَيْرِ بِهِ وَمُهَمَّلٌ عَنْدَ الْمُحْضُورِ

ويقتسم ابن الأبار مرض السلطان وشفاءه ليهشه بالإيلال ، وجلاء الشك والحيرة من قلوب الرعبة [الكامل] <sup>(327)</sup> :

- 12 - شَفِيَ الْأَمِيرُ فَكُلَّ قَلْبٍ سَاكِنٍ بَعْدَ الْحُفُوفِ وَكُلَّ طَرِيفٍ هَاجِمٍ
- 13 - وَبِإِذَا سَنَاهُ لَا عَدُوٌّ أَمِيرٌ تَرْجُو النُّجَاهَ وَلَا وَلِيٌّ حَازِغٌ
- 17 - كَاثُورًا مِنَ الشُّبُهِ الْمُضِلِّةِ فِي ذُجَى فَجَلًا غَيَابَهَا مَهَاهَ السَّاطِعِ

. 447) د/ص (324)

. 448) د/ص (325)

. 445) د/ص (326)

. 356) د/ص (327)

ثُمَّ يطلب منه العفو عنه من الجفوة والإهمال [الكامل] (328) :

- 40 - مَوْلَأَيْ عَبْدُكَ فِي الرُّضَى مُسْتَشْفَعٌ وَهَنَاءُ خَاطِرِهِ إِلَيْكَ شَوَافِعُ  
41 - هُوَ ذَا بِسَابِكَ لَيْسَ بِنَاسٍ فَرَغَهُ وَلَطَالَمَا وَلَجَ الْبَلَظُ الْقَارِعُ  
44 - إِنَّ الضُّرَاغَةَ لِلْقُبُولِ ذَرِيقَةُ وَالْحَرَقُ فِي تَحْلِيدِ أَمْرِكَ ضَارِعُ

وسواء أثاله أم لم يبنله فقد يبني ابن الآثار شخصا ثقيلا غير مرغوب فيه في بلاط المستنصر ، بل إنه أصبح بسلوكه مستهدفا للتخلص منه . وقد أتاح الشاعر الفرصة لأعدائه والمستنصر (ذلك أنه حضر يوما مجلس السلطان فسمعه يسأل بعض من حضر عن مولد ولده الواثق . فعندما عليه ابن الآثار في اليوم التالي برقة فيها تاريخ الولادة وطالعها فلما رآها المستنصر استشاط غضبا من فضوله وتطفله) (329) . وألصقت به تهمة (توقع المكره للدولة والتربيص بها كما كان أعداؤه يشنعون عليه ، لما كان يتظر في التنجوم فتقبض عليه وبعث السلطان إلى داره فرفعت إليه كتبه أحجم . ولقي اثناءها فيما زعموا رقة بأبيات أولها :

طَهَّى إِشْرَوِينَ تَحْلِيدَ سَمْزَةَ ظَلْمَسَا تَحْلِيفَةَ (330)

فاستشاط لها السلطان وأمر بامتحانه ثُمَّ يقتله فعصا بالرماح وسط محرم 1260/658 (331) . وأحرق شلوه وكتبه ومن بينها كتاب ساه (كتاب التاريخ) يسيء فيه إلى السلطان (332)

ولا شك أن هذه بعض الأسباب التي أدت بابن الآثار إلى هذه النهاية المأسوية . ولكن لا يمكن أن نقول إنها كل الأسباب . فقد ورد في الديوان مثلًا بيت منفرد

(328) د/ص 357.

(329) الإعتاب ، ص 17.

(330) د/ص 452.

(331) العر: ص 5—654.

(332) الإعتاب ، ص 18.

وهو قول ابن الأبار – إن صحت نسبته إليه – في المستنصر [الستربع] <sup>(333)</sup> :  
**غصَّى أُكَاءٌ وَجَفَّا مَاءٌ وَلَمْ يُقْلِبْ بَنْ غَزَّرَةٍ غَمْمَةٌ**

وهو بيت يدل على أن الشاعر لم يكن راضيا على سلوك هذا السلطان مع أبيه ، وبعد وفاته مع أمّه . بل لعله كان يرى في مقتل عمّيه محمد التحياني وأبي إبراهيم في ثورة سنة 1250/648 ظلماً وعدواناً لأنهما لم يشاركا فيها . وهذه التهم من الناحية الشرعية خطيرة لأنها تجيز التراجع في بيعة السلطان بل الخروج عليه .

### الخاتمة

قام الأستاذ عبد السلام الهراس بتحقيق ديوان ابن الأبار لأول مرة بالاعتماد على النسخة الوحيدة المحفوظة في الخزانة الملكية بالمغرب تحت رقم 4602 . والأستاذ الهراس بعمله هذا الجيد سد نعراة لا يستهان بها في تاريخ الشعر الأندلسي . فصاحب الديوان هو إحدى الشخصيات المرموقة خلال القرن 7/13 على المستويين السياسي والأدبي وفي العدوتين الأندلسية والإفريقية .

وبصفة عامة إن الناظر في النص الأدبي يمكن أن ينظر فيه من زاويتين :

- 1 – فإن كان ناقداً أو أسلوبياً كانت غاية منه القيمة الجمالية فيه .
- 2 – وإن كان مؤرخاً للأدب أو دارساً للفكر فيه كان هدفه منه القيمة الوثائقية .

وبما أننا أصبحنا نؤمن بالقيمة الوثائقية للنص الأدبي – بعد عدة دراسات في دواوين شعرية أندلسية <sup>(334)</sup> – فإننا حاولنا أن نطبق نفس هذا المنهج على ديوان ابن الأبار فكيف ترأت لنا الأحداث التاريخية في هذا الأثر الشعري من القرن 7/13 ؟

---

(333) د/ص 462

(334) انظر على سبيل المثال :

– القيمة الوثائقية في ديوان ابن الخطيب (مجلة كلية الآداب بطران السنة 2 عدد 1987/2، ص 291).

– القيمة الوثائقية لديوان عبد الكري姆 القبسي الأندلسي (الحوليات الجامعية التونسية المدد 1988/27، ص 119).

– القيمة الوثائقية في ديوان يوسف III (الحوليات عدد 1988/28، ص 185).

إن ديوان ابن الأبار هو ديوان شعر ذاتي ورسي :

- 1 — ذاتي بالنظر إلى العدورة الأندلسية : لقد بكى فيه الشاعر وطنه الضائع فحزن وتألم لمصابه ، وحنّ واشتاق إلى رحابه ، ودافع وحرّض على استرجاعه .
- 2 — رسي بالنظر إلى العدورة الإفريقية : فقد نظر للسياسة الحفصية مدح وفرض أمراءها ، وهجا واستقصى أعداءها ، وشجع ونوه بمن حالفها ووالها .
- 3 — على أن هناك مظهرا ثالثا في الديوان يخلل الجانبين الذاتي والرسي هو الجانب الشخصي : عبر فيه الشاعر بكل صدق عما أصابه من محن الأيام وصروف التغر بالعدوتين وخاصة ما تعرض له من نكبات في إفريقية آلت به إلى المأساة الكبرى وهي مقتله على يد المستنصر الحفصي .

ونحن لا ندعى البة أبداً وجدنا في ديوان ابن الأبار شيئاً كثيراً يختلف عما هو مسطر في كتب التاريخ ، لكن هناك من الأحداث الجزئية ما لم يهتم به المؤرخون ذكرت في الديوان ، وهناك بعض التدقيرات في حياة الشاعر استخلصت وأضيفت . والأهم من كل هذا وذلك أبداً نجد في ديوان ابن الأبار تفسيراً للأحداث ، وخاصة الإفريقية منها ، من وجهة نظر معينة . هذا التفسير قد لا نجده في كتب التاريخ ، ومجال المقارنة فسيح لو وجد الشعر المقابل لشعر ابن الأبار أي الشعر المعبر عن وجهة نظر الدولة الموحدية مثلاً وكان لهم في ميراثهما شعراً عديداً (335) . وهذا ابن الأبار نفسه يتراجع نادماً عما بدر منه مغايراً للحقيقة في ديوانه . قال [المدارك] (336) :

- 1 — حُرِمْتُ الرِّسَادَ لَا يَسْأَهَا حَمَدْتُ الْمُلْوَادَ وَهُمْ أَغْبَدُ
- 2 — وَفِي زَغْبَانِي لَهُمْ جَنْتُ إِذَا فَبِلَارَغَبَتُ لِمَنْ أَغْبَدُ

فهل هذا العوقد من الشاعر كاف لتحذر كل الحذر إذا أردنا معرفة الحقيقة حالبة من كل الشوائب ؟

(335) انظر نموذجاً ثانياً من هذا الشعر في الجزء II من أطروحتنا : الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي ص 204 عند مقارتنا للشعر المعبر عن وجهة نظر المؤمنين الموحديين والشعر المقابل له المعبر عن وجهة نظر غيره ومتناهٍ على الحلة أن أخيه يحيى المختص .

(336) د/ص 178

الدار العربية للكتاب

- هـ مؤسسة تونسية ليبة نجم وجها طرفا من وجوه التعاون المتمر بين قطرين عربين في ميدان النشر والطباعة والتوزيع.

هـ خمس عشرة سنة من العمل المتواصل في خدمة الكتاب وتنمية الثقافة العربية والمعرفة الإنسانية واحياء التراث وتشجيع الإبداع العربي المعاصر.

هـ طموحات ومشاريع مستقبلية مهمة في مجال الأعمال الموسوعية والسلالس المتخصصة.

هـ من منشوراتها التي تعنى بالأندلس تاريخاً وحضارة، لغة وأدباً :

  - 1 - ابن هاني الأندلسي متتبّع المغرب تأليف أبي القاسم محمد كرو.
  - 2 - العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب تأليف عبد العزيز الفيلالي.
  - 3 - دراسات ينبعون في تاريخ المغرب والأندلس تأليف د. أمين توفيق الطيبى.
  - 4 - فصول الأحكام للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي تحقيق وتقديم محمد أبو الأحفان.
  - 5 - حركة المحدثين في المغرب في القرنين الثاني والثالث عشر ترجمة أمين الطيبى.
  - 6 - كشف الأسرار عن علم حروف العبار للفلسطادى تحقيق د. محمد السوسي.
  - 7 - الذخيرة في محسن أهل الخزير لأبي الحسن علي بن سمام الشترى تحقيق الدكتور إحسان عباس.

هـ ودراسات أخرى في طريقها إلى الصدور :

  - (1) الفتنة والحرروب وأثرها في الشعر الأندلسي تأليف الدكتور جمعة شيخة تعتمد هذه الدراسة على الشعر المعتبر بصدق عما خالج نفوس أصحابها من الأحداث والواقع والانتصارات والنكبات، المدفأ منها النظر في المادة الشعرية الأندلسية من بداية القرن الخامس إلى نهاية القرن التاسع هجري، باعتبارها مرآة تعكس مجموعة من الأحداث والظواهر الحضارية للبيئة الأندلسية.
  - (2) ديوان ابن زمرك، تحقيق الأستاذ توفيق التبقر. لم يصلنا من شعر ابن زمرك إلا ما هو مثبت في المصادر القديمة «كتفع الطيب» و«أزهار الرياض» وغيرها.

فالذيران زيادة على الجهد الذي بذله المحقق، مادة جديدة تتضاف إلى كنوز الشعر الأندلسي.

## شاعر وفي لوطنه

د. عبد السلام الهرّاس  
كلية الأداب فاس – المغرب

لعلّ أول أديب مسؤول في تاريخ الأندلس ، إلى منتصف القرن السابع أو ربما إلى آخر تاريخها الإسلامي ، سجل في شعره قضية بلده وهمومه نحوها وهو ابن الأبار البنسي ... نعم ! لقد سبقه سفير شاعر مثل بلاده في كل من بلاد الروم وببلاد المحوس الفيكتك ، لم يعكس في شعره سوى مغامراته الغرامية ، أما القضية التي من أجلها سفر وسافر فلم يتسرّب منها شيء ، إلى شعره الذي بين أيدينا على الأقل (الكام سدي

لقد كان ابن الأبار وزير الأكالوزراء ، فهو الذي كلف بحمل عبء التسليم كما كان الرجل الكفء ليضطلع بمهمة الاستجادة بتونس الحفصية مرتين ، وقد نجحت مساعدته الأولى والثانية ، وترك الرجل أثراً كبيراً في الأوساط السياسية والأدبية مما جعله شخصية ناجحة ولامعة ومحبوبة .

وكلّما كان الأمل في إنجاد بلده كبيراً كان حاجته واهتمامه بها وحدها واسع المدى ، غير أن دائرة الاهتمام بنفسه بدأت تنسع شيئاً فشيئاً عندما سقطت بنسيبة وبعض مواقع شرق الأندلس، ومع ذلك بقي كيان الرجل أندلسيّاً بما كان ينفتح من تحولات وبصعّد من آهات ويستكثّر لبلده من أمجاد . وإن الهمة الأندلسيّة ظلّت يلازمها إلى آخر

(1) اختصاراً رمنا للديوان ابن الأبار بحرف (د) .

نفس من حياته إذ كان ناليفه كالتكاملة نوعاً من المفاخرة والمباهة بما للأندلس من شخصيات علمية وأدية ذكرها وإناثاً أصلاء وطارئين (أي غرباء).

إن الرجل كما يedo لم يكن أول أمره يفكـر في نفسه أو في أسرته أو مصالحـه على حساب بلـده ، فقد أخلص للقضـية وأبى أن يفرـأ من الزـحف بل رأيناـه يتشـبـثـ مع بلـديـه بـثـرابـ وـطـنهـ وـبـثـرابـ ماـجاـورـهـ ، وـيـتـقـلـ معـ الـلـاجـجـينـ إـلـىـ دـانـيـةـ وـمـرـسـيـةـ أـمـلـاـ فـيـ العـودـةـ إـلـىـ الرـصـافـةـ وـالـجـسـرـ وـالـمـسـجـدـ وـالـمـنـزـهـاتـ .

وقد سبق له أن التجأ مع أميره أبي زيد إلى صاحب أرغون سنة 626/1229 وعمره إحدى وثلاثين سنة لكنه ما لبث أن عاد إلى بلده بعدما ذاق مرارة الغربة التي لم تستطع حلاوة المقام هناك من التخفيف من جذورها ورُعاقها.

وقد دافع عن نفسه بأنَّ تلك الهجرة كانت مشروعة فهي كهجرة الصحابة إلى الحبشة النصرانية للاختباء بملك نصراني مكتابي: ومعنى هذا أنَّ هجرته كانت لخدمة قضية بلده . لكنه كيف خدمها؟ ذلك ما لم يطلعنا عليه كما ضيع علينا معلومات ثمينة عن العلاقة بين إمارة بنسية ومملكة أرغون في هذه الحقبة لكنه قال ما يلي فقط [البسيط]<sup>(2)</sup> :

قالوا: الخروجُ لأرض الروم متفقةٌ فَقُلْتَ: كُلُّا! ولكن صادهَا بِأَهْدَافٍ  
إذا خرجمت وفِي أَنْتَ مُعْذَبٌ بِغَيْرِ مُعْذَبٍ فَعَلَيْكُمْ غَذَائِبُكُمْ وَالْأَجْئَاءِ  
وَكَانَ لِي فِي قَسْرِي شِلْفٌ أَسْوَدٌ وَكَفَىٰ مَعَ التَّحَشِّشِ تَرْضَاهَا الْأَلْيَاءِ

لمن كان هذا الوفاء القضية بلده أم لأميره المرتبط به بيعة لا ينطع الفكاك منها دون مسوغ شرعي؟ حتى إذا ما أصرّ صاحبه على البقاء في بلاد النصارى كانت العودة إلى بلاد الإسلام واجبة.

ولاني استبعد أن يكون خروجه تم دون موافقة شيخه أبي الربيع سالم الكلاعي وكذلك عودته .

كان ابن الأبار شخصيةً جديرةً بأن يستقبلها الأرغونيون بكل تقديرٍ ويعيظوها بكلِّ

55 مص (2)

احترام لكنه كان يشعر بفسدة الحسرات وهو يردد في أغلال الغربة فلم يرض بذلك الإقامة . يقول [الكامل]<sup>(3)</sup>:

وَكُفَاكَ أَنَّ السِّرُومَ كَانَتْ جِيرَتِي  
مِنْ جَحُورِ ذَفْرِي وَاسْتِحْالَةَ حَالِي  
كَنْتُ الطَّلِيقَ هُنَاكَ لَكِنْ لَمْ أَزِلْ  
أَبْكِي عَلَى اسْتِصَالٍ مَّنْ خَلْفَهُ وَأَطْبَلْ فِي الْأَسْحَارِ وَالْأَمَالِ

وَهَذِهِ الْأَغْلَالُ لَمْ نَكُنْ سَوْيَ آلَامِهِ الْمُتَرَاكِمَةَ بِمَفَارِقِهِ وَطَهَ وَأَهْلَهِ وَاسْتِقْرَارِهِ مِمَّا لَمْ يَجِدْ  
مَعَهُ صَبَرًا وَلَا جَلَدًا . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ مَلَادٍ سَوْيَ الاعْتِصَامَ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي أَصْبَحَ عَلَيْهَا  
مِنْ حَرْبِ الزَّمَانِ لَهُ بَعْدَ مَا كَانَ مَسَالِمًا مَعَهُ مَدْةً مُعِينَةً سَرْعَانَ مَا انْفَضَتْ . يَقُولُ [البَسيط]<sup>(4)</sup> :

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا أَمْلَ وَلَا وَلَدٌ وَلَا قَرَارٌ وَلَا صَبَرٌ وَلَا جَلَدٌ  
كَانَ الزَّمَانُ لَنَا سِلْمًا إِلَى أَمْدٍ فَعَادَ حَرْبًا لِلَّالْمَا انْفَضَى الْأَمْدُ

وَكَثِيرًا مَا صَعَدَ الرِّفَاتِ شَوْقًا إِلَى أَهْلِهِ وَذُوِّيهِ كَمَا يَقُولُ [الوَافِر]<sup>(5)</sup>:

إِلَى الْأَلْفِينِ مِنْ أَهْلِ وَدَارِ  
تَأْوِيْنِي اشْتِيَاقِي وَادْكَسَارِي  
وَحِسْنَ الْوَالِهَاتِ مِنْ السِّعْنَارِ  
فَبَثَ كَائِنِي تَوْقِيَا شُوقَا  
وَمَا حَشُوْ الضَّلِيلُ سَوْيَ أَوَارِ  
مَرْكَبَتِيْنِي طَرْحَرِي

وَيَقُولُ [الوَافِر]<sup>(6)</sup> :

بَعْشِيشَكَ عَاطِنِي أَخْبَارَ دَارِي  
بِهَا أَغْنَى عَنِ الْقَدْحِ الْمُذَارِ  
إِذَا قَرُبَتْ يَهْبِجُ لَهَا اشْتِيَاقِي  
وَإِنْ تَرَزَحتْ يَمْتَهِنَا ادْكَسَارِي  
فَسُكُرُ الشُّوْقِ مِنْ سُكُرِ الْعُقَارِ  
وَدَغْ لَوْمِي إِذَا أَبْصَرَتْ مَيْلِي

لَقَدْ كَانَ تَعْلِقَهُ بِيَنْسِيَةٍ وَمَنَازِلُهَا أَقْوَى مِنْ كُلِّ إِغْرَاءٍ وَلَكِنْ كَيْفَ يَعُودُ؟

(3) د/ص 250

(4) د/ص 178

(5) د/ص 199

(6) د/ص 200

لعله غامر في العودة إلى الأندلس الإسلامية إذ نجده في وادي آش في شوال 626/1229 ، مما بدل أنه لم يمكن طريراً عند الأرغونيين . ومن هناك فيما يدو صار يراسل صديقه أبي الحسين الخزرجي حاكم شاطبة واستهل قصيده الأولى بذكر بلده وجناتها يقول [الوافر]<sup>(7)</sup> :

جَنَانِي عَامِرْ بَهْرَوِي جَنَانِي  
وَإِنْ صَدَعْتُ بِرَحْلِتِهِ سَاجَنَانِي  
وَطَرْفِي لِبَسِ يَغْبَسِ سَاهَا وَلَوْ عَنْتُ لَهُ حَوْرُ الْجَنَانِ  
وَقَادَ إِلَيْيَ هَوَاهَا الْقَلْبُ قَهْرًا فَأَصْبَحَ فِي يَدِهَا الْقَلْبُ عَانِ  
وَفِيهَا يَثْ آلَمَهُ وَأَحْزَانَهُ وَيَصْفُ وَاقِعَهُ الظَّلْمُ الَّذِي يَحْاصِرُهُ بِأَخْطَارِهِ فَلَا يَشْعُرُ بِأَمْلٍ لَا  
فِي الْذَّهَابِ لَا فِي الْإِيَابِ وَهُوَ تَصْوِيرُ دَفِيقِ لَحَالَتِهِ النَّفْسِيَّةِ بِلَوْضَعِهِ الْحَرجُ الَّذِي  
وَقَعَ فِيهِ إِثْرُ خَرْوَجِهِ مِنْ بَلْسِيَّةِ فَارَا مَعَ أَمْبَرِهِ يَقُولُ [الوافر]<sup>(8)</sup> :

أَمَا أَنَّ اللَّيَالِيِّيْ عَالِيَّاتِ وَلَوْ يُغَرِّي بِسَعْرِي الْفَرْقَدَانِ  
إِذَا لَمْ تَقْبِهَا بِعُلْيَّ ابْنِ عَبْسِي وَخَسْبِي مِنْ خَسَامِ أَوْ سِنَانِ  
فَلَسْتُ مِنَ الْأَيَابِ عَلَى يَقِينٍ وَلَسْتُ مِنَ الذَّهَابِ عَلَى أَمَانٍ  
فَإِذَا أَبْسَأَ الْعَسِيرَنِ بِسَالِهَا مَسَالَ الدُّغَرِ فِي قَلْبِ الْجَنَانِ  
يَنْهَا مَاتِيْ اِنْهَدَتْ لِحَرْبِي وَيَأْخُذُ لِيِّ الْأَمَانَ مِنَ الزَّمَانِ  
وَيَدُو أَنَّ أَبَا الْحُسْنِ بَذَلَ لِلرَّجُلِ صَرُونِيَا مِنَ الْمَعْرُوفِ ، وَفَضَحَ لَهُ بَابُ الْأَمْلِ لِبَرْدِ  
إِلَى بَلْدِهِ مَعْزِزًا مُكْرِمًا . فَهُوَ الَّذِي ظَاهَرَ عَلَى الْلَّيَالِي وَأَخْذَ لَهُ الْأَمَانَ مِنَ الزَّمَانِ الَّذِي  
أَعْلَمَ عَلَيْهِ الْحَرْبُ ، وَبِذَلِكَ أَصْبَحَ فِي ظَلِ حَاكِمٍ شَاطِبَةَ كِبَافِي الرَّعْيَةِ كُلَّهَا فِي حَرَزِ  
وَضَمَانِ مِنَ الدَّهْرِ وَإِذَا يَهُ . وَقَدْ شَاهَدَ عِيَانًا فِي أَبِي الْحُسْنِ أَكْثَرُ مَا كَانَ  
يُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَهُ . وَهَكُذا اسْتَعَادَتْ أَجْنَحَتِهِ رِيشَهَا المَقْصُوصَةَ بِمَقْصِ الظَّلْمِ ، كَمَا  
صَارَتْ رَاحَتُهُ تَجْنِي أَغْلَى الْأَمَانِي وَتَقْطُفُ ثَمَارَهَا مِنْ قِيمَهَا الشَّمَاءَ . يَقُولُ  
[الوافر]<sup>(9)</sup> :

وَجَسَّتْكَ سُورَ أَيَامِ إِسَامِيْ أَعْانِي مِنْ أَذَاهَا مَا أَعْانِي

(7) د/ص 323

(8) د/ص 324

(9) د/ص 325

وذلك رقّ مسُودُه لِمُثَلِّي فاجئي راحتي شُمُّ الأمانسي  
وراشن جناحسي المقصوص ظلماً وأنساني الأخْيَة والمغانسي  
وهكذا أصبح ابن الأبار يتمتع في شاطبة بربع مزهر دائم متصل صيفاً وشتاءً، لا  
سغير ولا زمير . ومع ذلك فإنَّ بلنسية هي بلنسية . فهناك الرصافة وهناك المصلى  
وهناك الجسر والحدائق الغناه والجنان الفيحا، وهناك شيوخه وأصحابه وهناك متركمه  
ومسؤوليته إذن فالغُودة مُحتمة؛ لذلك نراه ينتقل إليها بعد محاولات بذلك لاشك ، من  
الداخل والخارج لتحقيق هذا اللقاء لقاء الشاعر الوزير بحبيبه : بلده بلنسية .

وفي العودة تحمل مسؤولية جديدة ...

وقد دشن عودته بقصيدة رائقة في قائدتها الجديد ورفيقه القديم في البلاط الراحل ،  
والقصيدة إشادة ببطولة القائد الأمير الذي اضططلع بمسؤولية الدفاع عن بلنسية . وإذا  
ما صدقنا ما جاء فيها — ولا شك أنها لا تخلو من أصل الحقيقة مع بعض المبالغات  
— فإنَّ جيشَ بلنسية بقيادة جميل حقق انتصارات متعددة على الأرغونين لكنَّ تحت  
الراية السوداء التي تدل على ولاء هذه الإمارة الصغيرة الذائية للخلافة العباسية المشرفة  
على الهلاك في ذلك الحين .

فكأنَّ ابن الأبار يُسْعِغ عودته إلى بلنسية يكون الإمارة الجديدة تبنت قضيتها ، وهو  
ما دفعه للإشادة بهذه القيادة التي تضمنَ البلدَ البقاء والاستمرار للأرغونين يأس من  
الانتصار . والقائد الجديد لا يقف موقف الدفاع فقط وإنما تجاوز ذلك للهجوم في  
عقر دار الأعداء . يقول ابن الأبار ، واصفاً أبا زيان [الطوبل]<sup>(10)</sup> :

وَتَفْزُرُ الْعَذَى فِي عَفْرَهَا مَتَابِعًا وَحِسْبَكَ غَرْزَوْ فِي الْعَدَى مَتَابِع  
قَانِقِي دِيَارِ الْمُشْرِكِينَ وَلَمْ تَسْرِلْ أَوَاهِلَّ قَدْ أَصْبَحَنَ وَهُنَّ بِلَاقِعٍ  
وَلَادُوا بِأَعْلَمِ الرَّأْسِيَاتِ تَوْقُعًا لِمَا سُوفَ يَغْشَاهُمْ . وَمَا حَمْ وَاقِعٌ  
فَلَمْ تَأْلِ هَذَا أَرْضَهُمْ ثَجَادُهُمْ أَطْرَافُهُمْ وَأَشْتَازُع

(10) د. ج 359

إلى أن يقول<sup>(11)</sup> :

أَبْرُحُو الشَّصَارِي فِي زَمَانِكَ نَصْرَةٌ وَقَدْ كَثُرَتْ فِيهِمْ لَغْمَرِي الْوَقَائِعِ  
فَأَعْيُّهُمْ بَعْدَ الْهَجْرَعِ سَوَاهِدَ وَأَعْيَشَا بَعْدَ السُّهَادِ هَوَاجِعٌ

ويقول<sup>(12)</sup> :

ثَوْرُ ثَغْرِ الْمُسْلِمِينَ بِرَاسِمْ بَهْ وَرَقَابُ الْمُشَرَّكِينَ خَسْوَاضِعٍ  
رَأْخِيرًا يَنْكُلُمْ عَنْ عَلَاقَتِهِ بِالْأَمِيرِ وَاعْتِذَارَهِ عَمَّا كَانَ مِنْهُ<sup>(13)</sup> :

أَمِيرُ الْعُلَى أَرْجُو وَمِشْكُوكْ سَامِعٌ أَمِيرُ الْعُلَى أَذْغُو وَمِشْكُوكْ سَامِعٌ  
وَأَشْدُو بِمَا طُوقَنِي مِنْ صَنَائِعِ جَسَامٍ كَمَا تَشَدُّرُ الْحَمَامُ السَّرَاجِعُ  
نَبِضَدُخْ مَنْسِي بِاعْتِمَادِكَ صَادِخٌ وَيَصْدُعُ مَنْسِي بِاعْتِمَادِكَ صَادِخٌ

تولى قضاء دانية سنة 633 هـ / 1235 - 1236 م، ثم الوزارة بيتنية . وقد  
خلف قصائد تتحدث عن همومنه التي كانت تشغل عواطفه وتحتل بورأة تفكيره وملكت  
عليه كيانه :

فِي الْفَصِيدَةِ السَّيْنِيَّةِ الْمُشْهُورَةِ لَمْ نَجِدْ لَهُ فِيهَا أَيْ إِشَارَةَ إِلَى شَخْصِهِ مِنْ حِيثِ  
مَنْفَعَةِ تَخْصِصِهِ ، وَإِنَّمَا هُنَاكَ أَيَّاتٌ قَلِيلَةٌ فِي أُواخرِ الْفَصِيدَةِ يُشَيرُ فِيهَا إِلَى أَنَّ السَّعِيدَ  
مِنْ يَلْقَى الْأَمِيرَ ، وَيُشَيرُ نَفْسَهُ بِتَحْقِيقِ آمَالِهِ فِيهِ كَانَمَا حَاضَ إِلَيْهِ الْبَحْرُ طَرِيقًا يَسِّيْرًا فَرَجَدَ  
الْجُودُ فِي اسْتِقبَالِهِ . ثُمَّ يَعُودُ إِلَى الْمَرْصُوعِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ شَافَرَ وَكَانَمَا قَدَمَ لِآخِرِ  
الْفَصِيدَةِ بِنَلْكَ الْمُقْدِمَةِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَجْلِ التَّأْثِيرِ وَتَحْقِيقِ مَا مِنْ أَجْلِهِ وَفَنَّ هَذَا الْمَوْقِفُ  
فَهُوَ يَرِيدُ إِنْقَاذَ الْأَنْدَلُسِ عَمَّا وَشَرَقَ الْأَنْدَلُسُ خَصْرَاصًا وَبِيَتْسِيَّةَ بَصْفَةِ أَحَصَّ . وَقَدْ  
وَضَعَ أَمَامَ الْأَمِيرِ صُورَةَ الْوَاقِعِ كَمَا هُوَ لِيُسَ فِي تَزِيدٍ أَوْ تَزِيفٍ : السَّبِيلُ إِلَى إِنْقَاذِ الْأَنْدَلُسِ  
ذَرْسَنْ . فَلَبِسَ مِنَ السَّهْلِ ، إِذْنَ ، نَجَاتُهَا مَا هِيَ نَبِهِ [الْبَسِطَ]<sup>(14)</sup> :

أَدْرِكْ بِخَيْلِكَ خَيْلَ اللَّهِ أَنْدَلُسًا إِنَّ السَّبِيلَ إِلَى مَنْجَانَهَا سَادِرًا

(11) د/ص 361

(12) د/ص 361

(13) د/ص 361

(14) د/ص 395

لقد فاجأهم بالحقيقة المرة ولكن الأمل قوي في الحفصيين الذين يخاطبهم باسم الأندلس ، فالأندلس تعاني حشاشتها ما تعاني من سكرات الموت وحشرات الاحتضار بما يعتورها من بلايا صباح مساء ، ففي كل مطلع شمس تحل بها بائقة وفي كل مغرب تنزل بها كارثة تناوئها الوبيلات والمصائب لا تكاد مصيبة تفارقها حتى تنقض عليها أخرى ، فهناك مداين ارتحل عنها الإيمان مبتداً مذعوراً إذ حلها الإشراك مبتسمـاً مسروراً ، أما المساجد فهي تستحق الرثاء وتستوجب الإنجاد إذ عادت بـيـعاً وكنائـسـ وتحولـ بها الأذان إلى أجراس ونواقيـسـ ، كما أن مدارسـ العلمـ والمعرفـةـ قد اندرـستـ معـالمـهاـ وطـمسـ وجودـهاـ مماـ يـشـيرـ فيـ النـفـسـ الـآلـمـ والـحـسـرـةـ .

أما المرابع الجميلة والحدائق الغناء والأشجار الباسقة والزهور المفتحة النضرة فقد صـوـحـ ثـبـتهاـ وـيـسـتـ أغـصـانـهاـ وجـفـتـ خـضـرـتهاـ وـتسـاقـطـتـ أـورـاقـهاـ وـتـغـيـرـ كـلـ شـيـءـ جـمـيلـ فيـهاـ .

ومما يضاعف الآلام أن الأندلسيين أصبحوا جـزـراـ وـقـطـعاـ مـنـقـوةـ تـهـشـمـ الأـحداثـ واستـحالـ حـظـهمـ السـعـيدـ السـالـفـ شـفـاءـ وـبـوـساـ . وـيـرـزـ ابنـ الـأـكـارـ عـنـرـ العـرـضـ ، كـلـبـ المـأسـاةـ لـيـشـيرـ هـمـ الـحـفـصـيـنـ : فـقـدـ أـقـسـ الرـوـمـ أـلـاـ تـنـالـ أـبـدـيـهـمـ بـالـقـسـمةـ وـالتـوزـيعـ إـلـاـ نـسـاءـ الـأـنـدـلـسـ الـمـحـجـبـاتـ الـمـصـوـنـاتـ .

وانختار من مداين الأندلس حاضرها الكبيرى : قرطبة وحاضرة الشرق بلنسية ، فإنـ حـالـهـماـ وـمـاـ تـعـانـيـ كـلـ مـنـهـماـ مـاـ يـقـضـيـ بـالـنـفـسـ وـيـسـتـرـفـ الـنـفـسـ وإنـ كانـ مـيـزـ بلنسـيةـ بـتـأـكـيدـ خـاصـ [الـبـسيـطـ] (15) :

وـانـصـرـ عـيـدـاـ بـأـقـصـىـ شـرـقـهـاـ شـرـقـتـ عـيـونـهـمـ أـدـمـعـاـتـهـمـ زـكـاـ وـخـسـاـ  
وـهـوـ كـمـاـ قـلـنـاـ يـشـيدـ بـمـاـ لـقـيـهـ مـنـ حـسـنـ الـاسـتـقـبـالـ وـكـرـمـ الـوـفـادـةـ ،ـ لـكـهـ سـرـعـانـ مـاـ  
يـتـخـذـ ذـلـكـ وـسـيـلـةـ لـخـدـمـةـ الـغـرـضـ الـمـقـصـودـ لـتـحـقـيقـ هـدـفـهـ فـيـوـحـيـ لـلـأـمـيرـ أـنـ إـلـجـمـاعـ  
وـالـتـوـاتـرـ فـائـمـانـ عـلـىـ أـنـ الـوـحـيدـ الـذـيـ يـجـدـرـ أـنـ يـحـيـيـ الـأـنـدـلـسـ بـمـحـقـ أـعـدـائـهـ  
[الـبـسيـطـ] (16) :

وـقـدـ توـاـرـتـ الـأـتـاءـ أـنـكـ مـنـ يـحـيـيـ بـفـشـلـ مـلـوـكـ الصـفـرـ أـنـذـلـتـ

(15) د/ص 399

(16) د/ص 399

ويعود إلى بلنسية وقد نجحت صفارته تصبح نجدة حفصية ، كاستجابة فورية ، اقتنع الشاعر أنها كافية لإنقاذ بلنسية . وهكذا سبتم في نظره فتح جديد يذكر بفتح مكة ، فاستحق منه هذا الحدث قصيدة على غرار قصيدة حسان بن ثابت رضي الله عنه التي أنشأها بمناسبة الفتح . وقصيدة ابن الآبار جاءت في وصف لأسطول الحفصيين الذي يقل على متنه أسودا عظاما، مدح الأمير الحفصي الذي هو وحده الجدير بخلاف الخطب الذي حل بلنسية .

لكن هذه النجدة لم تستطع أن تتحقق أمل ابن الآبار لا في الإنقاذ ولا في دفع خطر الحصار ، مما جعل البلد يقرر الاستسلام ، فكان ابن الآبار هو المعارض في هذا الأمر .

على الرغم من ذلك فإن الشاعر الوزير لم يأس من استعادة بلده أو على الأقل من المحافظة على ما تبقى من شرق الأندلس كدانية ومرسية لأنه وجد في تونس من يستجيب لندائه وين فعل لشعره ويتأثر لصريحة . فعاد إليها مرة ثانية ليناشد الأمير أنها زكرها إعادة الكُرّة لإنقاذ الأندلس لا سيما وقد حمل إليه بيعة بعض مدنها [الكامل]<sup>(17)</sup> :

**فَيَذَرُكَ الْفَصُورِيُّ أُوتَ لِإِيَالَةٍ ضَمِنَتْ لَهَا مَعَ نَصْرِهَا إِيَادَهَا**

وهو يعيد على مسامعه الآن أبناءها التي يُهَا إِلَيْهِ فِي السَّفَارَةِ الْأُولَى [الكامل]<sup>(18)</sup> :

**مَوْلَأِيْ هَذَا مُعَادَةُ أَبْنَاءِهَا**  **مَسْنُكْ سَعَادَةُ أَبْنَاءِهَا**

فالأندلس ليس لأهليها سيل إلا الضراعة والتوصيل بالبك، كما أن أهلها خلعت قلوبهم لباس الصبر ورداء السلوان، ذلك أنهم دفعوا دفعاً لتفترسهم الخطوب بشتى أنواعها : تلك التي عرفتهمها سابقاً وأخرى جديدة . وهكذا أشرفت على الهلاك والموت ، فلم يبق منها سوى نبضات متقطعة . وقد قدم صوراً لamas حلت بلنسية بعد ضياعها ، وصار يشجع الأمير بأساليب متعددة من أجل إنقاذ الجزيرة التي تزيد العدوى الاستيلاء عليها ، وقد حاول أن يغيره لقيادة جيش النجدة بنفسه ، إذ يقول [الكامل]<sup>(19)</sup> :

**بَشَرِيْ لِأَنْدَلُسِيْ تَسْجِبُ لِقَيَادَةٍ وَيُجِبُ فِي ذَاتِ إِلَيْهِ لِقَاءَهَا**

(17) د/ص 33

(18) د/ص 35

(19) د/ص 37

كان ابن الأبار يقتسم كل فرصة للإشارة بارتباط الأندلس بالدولة الحفصية ارتباط دلاء وتبعة ، من ذلك قصيده رقم (25) (ص 80) ، التي يجمل فيها بيعة بعض المدن الأندلسية لأبي زكريا ، وذلك حوالى 1243/641 يقول [الطوبل][<sup>20</sup>] :

إلى مذهب شهادة ، قاصد به عدوا عن زائفات المذاهب  
الأهده ، حضر ثواب طاعة سجلماة في رفها المتصاصب  
وما خالفت غرناطة رأي رئيسة لشمل أنوار الهدى كله جانب  
وجيان لم تبرح كثيل وطنجة مباركة هروجه الصبا والجناه  
إلى أن يقول :

لأندلس البشري بنصر خليفة ضرب بنصل المسن زاكى المتصاصب  
ورفع للأمير أبي زكريا قصيدة صوبلة بمناسبة بيعة المرية عقب بيعة شهادة . ولعل  
مدة أخرى بايعت أيضا وسمى هذا العام : عام الجماعة ، يقول [البسيط][<sup>21</sup>] :

لأمريمة أن إقطاع المرية في أعياد شهادة للجماعه ميعاد  
عام الجماعة ما اغتصبت ولا نفكت فيما يقرر جهاد وئداد

وعندما سقطت إشبيلية في أيدي القشتاليين في شعبان 646 هـ / 1248 م كان ابن الأبار في بجاية . وبعد ذلك ثلاثة أشهر أشهر أنشأ قصيدة موجهة إلى أبي زكريا ، وكان ذلك بعد العفو عنه ، كلها تحريض وإثارة لحمبة الحفصيين حتى يسارعوا الإنقاذ الأندلس . بأسلوب يدل أن الأمر هيئ ، وأن ليس بين الحفصيين وبين القضاة على محظى بلنسية وغيرها سوى أيام قليلة . فأرض الأعداء قد استوحيت وأذنت بافتتاحها إذ ليس وراء الليل إلا الصباح ، إنهم ذئاب هاجروا ليث الحرب والمعاصي ، وقد صور الأعداء بأنهم ضعفاء ومنهزمون ، في حين صور الحفصيين في قوة واقتراح . وتحددت عن النجدة وكأنها أمر واقع ، يقول لأندلسيين [المديد][<sup>22</sup>] :

وغمدت أندلس منه يوم هي لستفاله في ارتياح

(20) د/ص 80

(21) د/ص 141

(22) د/ص 20 - 119

إن يُكُن عبداً لغيره وذبح  
أجنسى جنمر أباً حراً جهاراً  
وجامساً سُكُن بالمحاج  
لا وينجى المُرْتَضى لافتاحم  
بالمسمى الفرزح ورد الفرار  
إثماً يُزف ميقات فتح  
مراتب في مستان الجراح  
ولم يتحدث عن نفسه إلا في آخر القصيدة حيث أبرز فرحة عارمة بالغفران إذ  
يقول :

يُذِلُّ الْعَلِيَّاً حَيْثُ كُلُّ حُذْنٍ  
مَا لِأَرْبَاحِي بِهَا مِنْ تَرَاجِه  
يُسْرُكُث مِنْ راحِي سُوْغَشِي  
فِي بُكْرَرِي لَثَهَا أَوْ رَوَاحِي  
كانت بيعة إثيبة قبل سقوطها ذات أهمية وتأثير في بيعة الجزيرة وشرب الشاى  
يظهر ذلك من قوله [الكامل]<sup>(23)</sup> :

لِلَّهِ حَسْمُ زَفَرَهَا بِسَعَادَةٍ حَذَتِ الْجَزِيرَةَ نَحْرَهَا وَشَرَبَهَا  
ويظهر جلياً أنه عندما استقرت به الأحوال في تونس ، لم يستسلم للحياة الإدارية  
التي تولى فيها منصباً كبيراً . فلم ينس «القصيدة» ، بل ظلت هاجسه في كل مناسبة ،  
ولذلك نجده يغتنم كل فرصة من أجل حمل تونس على إعلان الجهاد وإنقاذ المدن  
الأندلسية الضائعة أو المهددة فالقصيدة رقم (65) (ص 151) يبدو أنه أنشأها إثر نزوله  
تونس ملتجئاً كما يفهم من قوله [الكامل]<sup>(24)</sup> :

فَرَّتِ الْحَالُ بِكُمْ فِي نِعْمَةِ أَنْطَقَنِي بِالْقَوافِيِّي الشَّرَدِ  
ثُصُفَ الرُّوضَ وَقَدْ غُنِيَّ بِهَا وَاصْفَ سَجْنَ الْحَمَامِ الْقُسْرَدِ  
وهي ملبنة بوصف شجاعة أبي زكريا وجهاده ، وتهديد الروم به يقول <sup>(25)</sup> :

إِنْ يَكُنْ طاغيَةُ السَّرَّوْمَ يَقْسِي فَظْلَى الْهَنْدِ لَهُ بِالْمَرْجَدِ  
غَرَّهُ الْمَدُّ وَعَنْ قَرْبِ يَرْدَى جَزِيرَةُ الْكُفَرِ ثَرَدَى عَنْ يَنْدَى

(23) د/ص 404

(24) د/ص 153

إلى غير ذلك مما كان يتصور وقوعه على يد أميره الجديد .

ومن القصائد التي مدح بها أبا زكرياء راصفاً أحواله الجديدة وحياته بتونس في ظل الحفصيين تلك التي مهد لها بمقيدة غزليّة طويلة مادحه الأمير بأوصاف مستفيضة من العلم والشجاعة والكرم . وربط ذلك بجهاده للكفار بالأندلس . يقول آخر القصيدة [الطوبل]<sup>(26)</sup> :

رَمَبْدِي مَلُوكُ الرُّومُ شَخْصُ رَسْلِهَا يُسْلِمُكَ تَبْغِي لِلسلامَةِ سُلْنَا  
وَيُعْزِي جَنَابَ طَالِبَ الْفَرْزَوِ عَهْدَهُ وَيُفْتَحُ بَابَ كَانَ لِلْكُفَّارِ مُتَهْمَا  
وَهُنَّا حَقِيقَةٌ هَامَةٌ لَمْ تُسْجَلْ فِي التَّارِيخِ أَوْ عَلَى الأَقْلَى فِي تَارِيخِنَا ، وَهِيَ السَّفَاراتُ  
الْأَرْغُونِيَّةُ أَوْ غَيْرُهَا إِلَى تُونسِ فِي شَأنِ تَنظِيمِ الْعَلَاقَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَالسُّلْطَانِيَّةِ بَيْنِ الْجَانِبَيْنِ .

كان ابن الأثّار شخصية قوية مفرطاً في الإعجاب بنفسه ، وزادته الغرابة حدةً في طبعه مما جعله يحاجر بالشكوى . وكان يثّ هده الشكوى خلال قصائده الاعتذارية وخلال نقاشاته الحزينة التي كانت أشواقاً لوطنه ووصفاً لحملاته ، وترددًا لذكريات حمبة في رياضه وحلقاته العلمية ومجالس أصحابه ومدارج أعيانه :

يقول شاكيرا ضياعه ، وأرجح أن تكون هذه الآيات في تونس أو بجاية [الكامل]<sup>(27)</sup> :

لَأَمِ الْمُحَبَّوْنَ الْفَسَرَاقُ وَلَمْتَهُ لَكَنْهُمْ شَمَرا وَلَمْأَأَأَمَّ  
ظَعَنْوَا وَهُمْ قَدْ دُعُوا أَوْ سَلَمُوا وَطَعَسْتَ غَيْرَ مُرَدِّعٍ : مُسْلِمٌ  
فَعَلَيَّ فَلَكَسْتَ الْبَوَّاكيِّ اشْتَيِي أُخْرِجْتُ مِنْ رَطْبِي دَلَّتْ بِنَخْرِمٍ  
رَأْضَتْ يَوْمَ وَضَعَتْ فِي أَرْضِي بِهَا يَغْلُبُ الْفَصْبَعُ مَعْطِنَا لِلْأَغْرِمِ  
لَا أَسْتَرِسْحُ بِغَيْرِ لَبِسِلِ الْتَّلِيِّ اشْكُو ئَطَّاولَهُ وَنَوْمِ لَبِسِمْ

وقد مررت على الشاعر الوزير حفت كان الحديث فيها عن نفسه ممزوجاً بوطنه وقضيته . فالجراح منكت عليه جوارحه واستبدت بها لا تخلي حارحة من جرح ينزف

(25) د/ص 152

(26) د/ص 3-272

(27) د/ص 292

دماء، فلا أمل في شفائه ذلك لأنّه كروشه عار أعزل أمام هجمات الخطوب والكوارث المتهددة ، وهو في صحراء فاحلة لا ماء ولا شجر بل إنه يسير في مناهاتها ليس له من سبل ولا فدرة على التخلص من الهلاك الذي يتربصه في كل ناحية كعطاير مهيب الجناج . وحديّه عن وطنه مفعتم أبداً بالأسى والكمد إذ أسلّم إلى العلو الذي هو عليه بسيفه كالسفاح في حين غاب عنه منصوري الذي كان يحمي حماه وبحرمه بالأمن والأمان . يقول في ندب بلنسية [الكامل]<sup>(28)</sup> :

مَلَكتْ جوارحَه عَلَيْهِ جراحَه فَشَفَّاؤه لَا يُرَئِجُسْنَى وَسَارحَه  
عَارِ لَا يَكَارِ الْخَطُوبِ وَعُونَهَا غَيَضَتْ مَسْوَارُهُ وَهَيَضَ جَنَاحَه  
لَمْ يَعْتَرِضْهُ مَسَاؤه بِسَمَاءَه إِلَّا وَضَاعَهُ اغْلَقَسْهُ صَبَاحَه  
وَحَدِيشَه كَمَدَّ عَنِ الْأَفْقِ الْذِي تَصَفُّ الْجَنَانَ بِلَاغَهُ وَبِطَاحَه  
يَجْرِي حَيْثِسَا تَحْتَهُ أَهْمَارَهُ وَتَمِيسِي لَيْسَافُوقَهُ أَدْوَاهُ  
وَهُوَ أَسْبَرُ شَوْقَهُ لِبَلْسِيَّهُ وَهَدَائِهَا وَجَنَاتِهَا وَلَا بِمَا الرِّصَافَهُ وَالْغَدَيرِ  
[الخفيف]<sup>(29)</sup> :

لَا تَصِدُوا فِرَّيْمَاسَاتِهَا مُسْتَهْلِكَامِ الْمُلْسُورَهُ مَسَا نَصْدُى  
جَعَلَ السَّهَدَ فِي رِضا كَمْ كَرَاهَهُ وَأَنْتَشَى فِي هُوا كَمُ الْقُسْمُ بُزْدَا  
نَمْ يَقُولُ<sup>(30)</sup> :

يَا سَقِيَ اللَّهِ لِلرِّصَافَهُ عَهْدًا كَتَبَسِمِ الصَّبَّهَا بَرْقُ وَبَثَدِي  
وَجَنَائِهَا فِيهَا أَهْمَمُ حَنَائَا يَنْدَأَهُ خَرِمتُ فِيهِنُ خَلْدَهَا  
مُسْتَهْلَكَادَمُعَيِّي يَرْوَمَ وَدَغَهَ ثُثَرَاهَا الثَّفَاخَ مِسْكَانَهَا  
أَيَّشَ شَعْرِي هَلْ يُرْجِعُ الدُّفَرُ عَيْشَا يَشْهَدُ الطَّبِيبُ أَنَّهُ كَانَ شَهْدَهَا  
وَكَثِيرًا ما رَدَدَ تَعْلِقَهُ بِوْطَنِهِ وَبِخَاصَّةِ بَلْسِيَّهُ ، وَهُوَ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى السُّلُوْعِ عَنْهَا ، لِأَنَّهَا

(28) د/ص 131

(29) د/ص 175

(30) د/ص 176

مائلة في قلبه ونفسه وهي ملء السمع والبصر لأن ذكرياته فيها جميلة لا تنسى أبدا .  
[الوافر]<sup>(31)</sup> :

إلى أوطانه حسنه العميد فظل كأنه غصن يعمر  
ومسقط رأسه ذكر اشتياقا فذاب فؤاده وفرو الحديدا  
ولورام السلوأيت عليه مقاهد عهدهما الماضي حبيب

ويشبه نفسه بالشاعر العربي : الصمة بن عبد الله القشيري الأموي [الوافر]<sup>(32)</sup> :

ضئيري وأحمد بهسوى «المصلّى» كوجد أخي تشير بالضمار  
لأصل به حست وطابت كما حدثت عن نور الغرار  
وما جار الغرام على حسى تأكيد تيشا سبب الجوار

وهو يذكر بذكرى بلده يهيجه قربها ، فإذا ابتعد عنها تتمثل ذكرياتها ، لذلك كانت  
آياتها كؤوس خمر تغيب عن الكؤوس المدار [الوافر]<sup>(33)</sup> :

يعيشك عاطني آباء داري بها أغنى عن الفلاح المدار  
إذا قررت يهيج لها اشتياقى وإن نزحت يمثلها أذكري

وهو في غربته كالحمام لا يفتر عن التواح كلما ذكر شرق الأندلس . وتسخ عيونه  
بالدموع كأنما تسكب منها المعام كلما لمع برق من تلك الجهات ، حتى أصبح  
محسودا على بكائه ونوحه من العطر والحمام [الطوبل]<sup>(34)</sup> :

أنسخ حماما كلما ذكر الشرق وأبكى غماما كلما لمع البرق  
ويُعطي في سكب أدمعني العينا وتخيدني في تذبذب أربعني الورق

وفي القطعة (186 ص 400) آيات حزينة على الماضي الجميل الجليسية وراucherها  
الحالك ، لذلك فهو ينبعها ندب الطول المدرسة مع أنها آهنة بالسكان ولكن أي

(31) د/ص 177

(32) د/ص 200

(33) د/ص 200

(34) د/ص 392

سكن؟ ويتوجه باكيًا ونادياً بلده ويُحْسِن منها عنديه مائة وسبعينا [الطويل]<sup>(35)</sup> :  
 تلمسه بـأعذَّة الماء والجنسِ سُبُّيت — وإن أشقيت — صوب الرُّواجِسِ  
 أحَبَ وأقسى متنبَّ حَالاً وَمَاضِيَا بـشُورِجَةَ الْسَّوَرِ يَعْهُدُ الأَوَارِسِ  
 ومن عجب أنَّ الدِّيارَ أَوَاهِيلٌ وأندَبَها نَدَبُ الطَّلَولِ الدَّوَارِسِ  
 وهكذا نجد ابن الأبار يربط بلده ووطنه الكبير والصغير ، لذلك تجاوز ذكر  
 الأندلس في ديوانه ثلاثين مرة ، وبنسبة بملاعبها وبياناتها ومصالها وجسرها ورصافتها  
 حرالي ثلاثين مرة أيضًا ، وأبيضه ومرسيه وجيان مرتين ، كما ذكر كلًا من فرطبة  
 ومالقة والمرية وميرقة وشلَب وإشبيلية بالإضافة إلى سبتة ، كما عبر برموز كثيرة عن  
 أماكن لهوده وأصيابه في وطنه الصغير بنسيمة .

ونو بقى لنا ديوانه كاملاً لرأينا أكثر من ذلك وأصرح ، غير أنَّ الرجل لم يكن  
 في جو من الحرية ليعلن عن جميع شعره الذي عبر به عن خوالج نفسه كشخصية  
 أندلسية فنَّة لاقت حجورًا من ثلاثة لم تُقدِّر مواهبه العظيمة ولا مكانه العلمية الكبيرة  
 ولا انتقامه الحضاري الرفيع .

ومهما يكن من شيء فإنَّ بعض مؤلفاته أيضًا مما يكشف لنا عن شديد تعلقه بوطنه  
 كالنكلصلة ، والحللة السيراء ومعاجمه لشِيرخ الأندلس واعصار الهبوب في ذكر الوطن  
 المحبوب ، وخضراء السنديس في شعراء الأندلس ، وإبعاض البرق في شعراء الشرق .

كما يعبر درر السُّمْطِ ومعدن المَجْعُونِ عن الآثار الأدبية التي بكى فيها الأندلس عبر  
 بكائه الحسين رَأَى آيتَ .

لذلك وطن نفسه وألزمها أن تظل دائمًا وفية للوطن وذكري مواطنه : بسكب  
 الدمع وتصعيد زفات الأسى والحزن ، وقد أصبح بذلك مشهوراً إذ يحمل راية  
 الأشجار رغم كبر سنه وضعف جسمه .

يقول في قصيدة رائعة له مخاطباً نفسه [البساط]<sup>(36)</sup> :

وَطَنَ عَلَى الدَّائِيْنِ : الدَّمْنَعُ وَالشَّجَنُ بـأَنَادِبَ الْذَاهِيْنِ الْأَفْلَى وَالْوَطَنُ  
 هَذَا فَرَادِيَ كـالْمَرْقَ الْحَفْوَقِيَ أَسَى وَهَذِهِ أَدْمَعِي كـالْعَارِضَ الْهَبَّيْنِ  
 بـالْحَنْجَيِي رَأِيَّةُ الْأَشْجَانِ أَخْمَلَهَا وَإِنْ هَذَا الْجِسْمُ وَهَنَالِبِسْ يَخْمُلُهُسِ

(35) د/ص 400

(36) د/ص 320

# دار التركي للنشر

68، شارع الحبيب بورقيبة — 2000 باردو — تونس  
 الهاتف : 222.536 / 222.502 تلکس : 13.664 TN  
 كتب تشرف الأدب العربي : أصالة وفتحا

آخر ما صدر :

(16 × 24) 380	تبية الحكم على مأخذ
9973.715.03.9	الأحكام لمحمد بن عيسى بن المناسف (القرن السابع
السعر : 8 د.ت. / 15	المجري) تحقيق عبد الحفيظ منصور
(24 × 15,5) 311	2 — بینات النبوة الخاتمة من القرآن والسنة والأخبار
9773.715.18.7	تأليف مصطفى نقرة
السعر : 8 د.ت / 15	3 — الصخرة العالية
(21 × 14) 125	(مجموعة أسايير من التراث التونسي)
9973.715.10.1	تأليف العاشر قيفة
السعر : 4 د.ت. / 8	4 — أصوات على الشبعة
(24 × 16) 268	المادي حمو
9973.715.09	
السعر : 8 د.ت. / 15	5 — أبو الحسن الشاذلي
(21 × 14) 208	محمد بوذينة
9973.715.12.8	6 — كلبلة ودمنة (مختارات)
السعر : 7 د.ت. / 14	تقديم البشير المجدوب
(24 × 16) 216	
9973.715.06	7 — أبو منصور الماتريدي
السعر : 5 د.ت. / 10	بلغاس المغالي
(21 × 14) 324	
9973.715.07.1	8 — شرح منازل السائرين إلى الحق المبين
السعر : 8 د.ت. / 15	تحقيق عبد الحفيظ منصور
جزء (1) 324 ص	
جزء (2) 312 ص	
(24 × 16)	
9973.715.16.0	
9973.175.17.0	
السعر : 7 د.ت. / 14 ج 1	
7 د.ت. / 14 ج 2	



دار التركي للنشر

de l'autre côté de Gibraltar. La prise de Valence eut lieu le 17 Safar 636. Ibn-al-'Abbār, assumant de nouveau sa responsabilité, repartit à Tunis, pour tenter une nouvelle fois, de convaincre le monarque hafside de la nécessité d'intervenir en Andalousie pour sauver ses coreligionnaires de Valence. Il utilisa pour y parvenir son génie politique et sa veine poétique.

Ni l'accueil favorable et chaleureux que lui avait réservé Abū Zakariyyā, ni le poste de chef de chancellerie qu'il lui avait décerné dans la capitale hafside, n'arrivèrent à lui faire oublier la cause de sa patrie. Sa fidélité à Balansiya et à al-Andalus était totale. Il finira sa vie à Tunis et consacrera tous ses écrits (notamment *K.al Takmila* et *K.al Hullā al-Siyarā'*) et toute sa poésie à chanter l'amour éternel qui le liait à son pays natal, à savourer une nostalgie qui ne cessait de croître, et à glorifier et pleurer son paradis à jamais perdu. Sa fidélité presque légendaire à sa patrie a certainement été à l'origine de son renom et probablement aussi, l'une des causes de sa disgrâce et de sa fin tragique.

### c) **Ibn al-'Abbār, a poet faithful to his homeland**

The purpose of this paper is to study one of the most attractive and original aspects of Ibn al-'Abbār's personality, namely his faithfulness to his homeland al Andalus and to his hometown Balansiya, the Spanish Orient of Moslem rule. In fact, Abū 'Abd Allah Muḥammad Ibn al-'Abbār al-qudā'i (died in 658/1260) was not a simple and conservative historian or an ordinary court poet. He was rather a brilliant minister, a courageous and lucid statesman and a militant poet. Following the siege of Valence by King Jack I of Aragon in 635/1238, Ibn al-'Abbār headed a delegation to the Hafsid Ifrikyia in order to secure some help from the ruler of Tunis, Abu Zakarya, who was then at the top of his strength and glory. He read in the presence of the Hafsid prince, his famous poem rhyming in «sīn» (Siniya) in which he mourned his homeland and depicted his besieged hometown; he urged the Moslem prince to help save Islam which was threatened from the other side of Gibraltar. Valence fell on 17 Safar 636. Ibn al-'Abbār, once again made a journey to Tunis to try to convince the Hafsid monarch of the necessity to save his moslem brothers in Valence. To reach his goal, he used his political cunning and his poetry.

Neither the warm and favourable welcome by Abū Zakariya, nor the post of head of chancellery he was offered in the Hafsid capital resulted in his forgetting the plight of his homeland. From Tunis, where he died, he recorded in his writings (*K. Takmila* et *al-Hullā as-siyarā'*) and in his poetry the eternal love for his homeland. His almost legendary faithfulness towards his lost paradise was certainly at the origin of his fame; it was also probably one of the causes of his disgrace and tragic death.

poeta militante y comprometido. Después del asedio de Valencia por el rey Jaime I de Aragón en el año 1238, Ibn al-Abbár, a la cabeza de una delegación, hizo rumbo a la Ifriqiyya hafsi para pedir ayuda al soberano de Túnez, Abú Zakariyya, que, en aquel entonces, estaba en el pináculo del poderío y de la gloria. Recitó ante el emir hafsi su famoso poema cuyos versos tienen como rima común la letra «sín» (Siniyya). En él, lloraba la pérdida de su patria, bosquejaba un cuadro conmovedor de su ciudad natal asediada, e incitaba al emir musulmán a que salvase al Islam del peligro y amenaza que se cernían sobre él, procedentes del otro lado de Gibraltar. Valencia fue conquistada el 17 de Safar del año 636 de la era musulmana. Asumiendo de nuevo su responsabilidad, Ibn al-Abbár volvió a Túnez para tratar, otra vez, de persuadir al monarca hafsi de que su intervención en al-Andalus era imprescindible para salvar a sus correligionarios de Valencia. Para ello se valió de su instinto político y de su vena poética.

Ni la acogida favorable y calurosa que le había dispensado Abú Zakariyya, ni el puesto de canciller que le había otorgado, en la capital hafsi, consiguieron que abandonara su causa. Su fidelidad a Valencia y al-Andalus era absoluta.

pasó los últimos años de vida en Túnez y consagró todos sus escritos (especialmente: al Takmila y. al Hullaal-Siyarā) y toda su poesía a cantar el amor eterno que le unía a su país natal, a saborear una nostalgia que no cesaba de crecer y a glorificar y llorar su patria perdida para siempre. El renombre de Ibn al-Abbár era, sin duda, el resultado de esa legendaria fidelidad a la patria que, probablemente, era también una de las causas de su desgracia y final trágico.

### b) **Ibn al-'Abbàr : un poète fidèle à sa patrie**

L'article se propose d'étudier à travers la poésie d'Ibn al-'Abbár un des aspects les plus attrayants et les plus originaux de sa personnalité à savoir sa fidélité à sa patrie al-Andalus et à sa ville natale Balansiyya, métropole du levant espagnol, le Šarq-al Andalus de l'époque musulmane. En effet, Abù Abd Allah Muhammad Ibn al-'Abbár-al qudātī (mort en 658/1260) n'était pas un simple historien traditionaliste ou un poète de cour ordinaire ; c'était plutôt un ministre brillant, un homme d'Etat, courageux et lucide, et un poète militant et engagé. Après le siège de Valence par le roi d'Aragon Jacques 1<sup>er</sup> en 635/1238, Ibn al-'Abbár prit le chemin de l'Ifriqiyya hafside, à la tête d'une députation pour solliciter aide et secours du souverain de Tunis, Abū Zakariyyā, alors au faîte de sa puissance et de sa gloire. Il récita, devant l'emir hafside, son fameux poème rimant en sin (Siniyya) dans lequel il pleurait sa patrie, brossait un émouvant tableau de sa ville natale assiégée et invitait l'émir musulman à venir en aide à l'Islam menacé

3 — However, besides the subjective and official aspects, a third one can be pointed out, the personal aspect : the poet earnestly evokes his misfortunes in Moslem spain and Ifriqiyya, misfortunes which led to his killing by El Mustansir El-Hafsi.

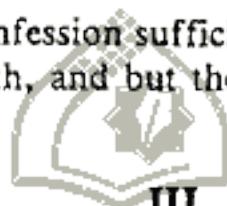
We do not claim to have found a lot of things differing from what is found in history books, but there are details in Ibn al-'Abbār's poetry which historians did not mention. There are also precisions added to the poet's biography. Most important is the fact that one finds in Ibn al-'Abbār's poetry an explanation of events — especially those about Ifriqiyya — from a special viewpoint. Such an explanation might not be found in history books.

Had an opposite poetry — for example that relating the Muwahdine dynasty point of view — been discovered, there would be enough room for comparison. The Muwahdines had numerous poets in Marrakech (2). The reader is invited to examine the following lines where Ibn al-'Abbār regrets having distorted reality in his poetry (3) :

1 — I have been deprived of reason since I awkwardly served kings who are slaves.

2 — In my desires, I lied to them ; my desires should have been addressed to whom I pray.

Isn't Ibn al-'Abbār's confession sufficient enough for us to be careful if we want to know the truth, and but the truth ?



جامعة مراكش

### a) **Ibn al-'Abbār: Un poeta fiel a su patria**

El propósito de este artículo consiste en estudiar, a través de la poesía de Ibn al-'Abbār, una de las facetas más atrayentes y originales de la personalidad de este poeta, a saber, su fidelidad a la patria, al-Andalus, y a su ciudad natal, la metrópoli del Levante español o del Šarq al-Andalus, Valencia. En efecto, Abú Abd Allah Muḥammad Ibn al-'Abbār al-Qudāt, muerto en el año 1260 (correspondiente al año 658 de la era musulmana), no era un simple historiador tradicionalista o un ordinario poeta cortesano sino, más bien, un ministro brillante, un estadista valiente y lúcido y un

(2) See a second sample of this poetry in part II of our thesis : «Troubles and Wars and their effect in Andalusian poetry», (page 204) when we compare between the poetry relating el Ma'mūn El Muwahhidi's viewpoint ant the opposite poetry relating the point of view of his rival about ruling i. e. his nephew Yaḥyā El Mu'taṣim.

(3) Ibn al-'Abbar's diwān page 178.

rétractant et regrettant amèrement ce qu'il avait exprimé dans son *Diwān*, de façon contraire à la vérité, dit :

J'étais dans l'égarement, et, par sottise,  
J'avais servi les rois, alors qu'ils ne sont que des esclaves (3)  
Quel malheur que de les avoir suppliés.  
Que n'aurais-je supplié celui que j'adore.

Cette attitude du poète suffirait-elle comme mise en garde, si nous tenons à atteindre la vérité, toute la vérité?

### c) The documentary value in Ibn al-Abbār's *diwān*

Professor Abdelssalim Harras has, for the first time, critically edited the works of the poet Ibn al-Abbār. He has used the unique copy held at the royal library in Morocco under number 4602. Professor Harras' work constitutes a major contribution to the history of Andalusian poetry, for Ibn al-Abbār was among the great personalities of the 7th/13th century, both on the political and literary levels in Moslem Spain and Ifriqiyya.

A literary work may lend itself to two kinds of study :

1 — For a critic or a stylist it is the esthetic aspect of the work which matters.

2 -- For a literature historian or a thought investigator, it is the documentary value of the text which counts.

Since the documentary value of a literary text has proved worthwhile after many studies on Andalusian poetry (1), we have tried to apply this methodology on Ibn al-Abbār's *diwān*. This is how historical events stand out in this poetic work belonging to the 7th/13th century. Ibn al-Abbār's poetry has subjective and official aspects :

1 — Subjective as regards Moslem Spain : the poet conveys his feelings about his lost homeland.

2 -- Official as regards Ifriqiyya : the poet supported the hafside policy ; he praised its princes and severely attacked its foes ; he encouraged and valued its faithful allies.

---

= dans la poésie Andalouse p. 204). Dans notre comparaison entre la poésie exprimant le point de vue de Ma'mun l'Almohade et la poésie correspondante de son adversaire et concurrent pour le Califat, son neveu Yahyā al Mu'tasim.

(3) *Diwān* p. 178.

(1) See for example our articles:

- The documentary value in Ibn al-Khatib's poetry (Faculty of Letters Review of Tatouane volume 2 n° 2/1987 page 19).
- The documentary value in Abdelkarim el-qaysī al-Andalousi's poetry (Annals of the university of Tunis n° 27/1988 page 118).
- The documentary value in Youssef II's poetry (*Ibid.* n° 28 / 1988 page 185).

1) Pour le critique, ou le linguiste, il s'agit d'en saisir la valeur esthétique.

2) Quant à l'historien de la littérature ou le chercheur de la pensée, leur but serait d'en déduire la valeur documentaire.

Et comme nous avons fini, après l'étude de maints recueils de poésie andalouse<sup>(1)</sup>, par admettre la valeur documentaire du texte littéraire, nous avons essayé d'appliquer cette méthode à l'étude du *Diwān* d'Ibn al-Abbār. Donc comment, nous parurent les évènements historiques dans ce texte poétique du 7<sup>e</sup> siècle (de l'Hégire)/13<sup>e</sup> siècle (de J.C.)?

Ce *Diwan* est un recueil de poésie particulières et officielles :

1) Particulières, par rapport à l'Andalousie. En effet, le poète pleure sa patrie perdue, traduit sa tristesse, clame sa souffrance pour ce malheur ; il exprime sa nostalgie et son désir de la retrouver ; il la défend et exhorte les Hafsides à la récupérer.

2) Officielles, par rapport à l'*Ifriqiyya*. En effet, il s'intéressa à la politique de la dynastie Hafside, loua ses princes, invectiva ses ennemis, encouragea et glorifia ses alliés.

3) Cependant le *Diwān* comporte, entre le subjectif et l'officiel, un troisième aspect : il s'agit de l'aspect personnel. Le poète y exprime avec toute sa sincérité, les malheurs et les vicissitudes, qu'il rencontra aussi bien en Andalousie, qu'en *Ifriqiyya*, notamment les calamités qui, en *Ifriqiyya*, auront pour dénouement tragique sa mort par ordre d'al Mustansir le Hafside.

Bien que n'ayant pas la prétention d'avoir découvert dans le *Diwān* d'Ibn-al-Abbār beaucoup d'éléments qui diffèrent de ce qui existe déjà dans les livres d'histoire, nous pouvons soutenir qu'il contient des détails qui ont été négligés par les historiens. De même, y a-t-il sur la vie du poète, des précisions qui ont été déduites et ajoutées.

Le plus important, c'est que nous y découvrons une explication des événements, surtout concernant l'*Ifriqiyya*, selon un point de vue particulier.

Ce qui manque dans les livres d'histoire.

Le domaine de la comparaison serait vaste s'il y avait une poésie, correspondante à celle d'Ibn al-Abbār, c'est-à-dire, celle exprimant le point de vue de la dynastie Almohade par exemple ; celle-ci avait d'ailleurs de nombreux poètes à Marrakech<sup>(2)</sup>. ET voici, Ibn al-Abbār, lui-même qui, se

(1) Cf. à titre d'exemple:

— La valeur documentaire du *Diwān* d'Ibn al-Hatib (in Revue de la Fac. des lettres de Tétouan - Année 2 n° 22 / 1987 p. 291).

— La valeur documentaire du *Diwān* de Abdelkérim al-Qaysi al-Andalousi (Annales de l'université de Tunis n° 27 / 1988 p. 119).

-- La valeur documentaire du *Diwān* de Youssef III (Annales n° 28 / 1988 p. 185).

(2) Cf. Un deuxième spécimen de cette poésie: Tome II de notre Thèse (troubles et guerres

=

— En el tercero y último grupo hablaba, con mucha sinceridad, de la serie de desgracias y vicisitudes que le habían sobrevenido en al-Andalus y sobre todo en Ifriqiyya donde tendría un final trágico : al-Mustansir al-Hafsi ordenaría su muerte.

Los elementos históricos que hemos descubierto en el diván de Ibn al-Abbár y que difieren de lo ya tratado en los libros de historia no son numerosos. No obstante, constatamos que contiene acontecimientos y detalles que los historiadores han descuidado. Por otra parte, hemos podido deducir otros elementos referentes al poeta que nos han permitido, por tanto, agregar nuevos datos y precisiones sobre su vida.

Pero lo más importante de esta obra es, sin duda, esa explicación peculiar de los acontecimientos ocurridos, sobre todo en Ifriqiyya, de la que carecen los libros de historia. El ámbito de la comparación sería amplio si existiera otra poesía opuesta a la de Ibn al-Abbár; es decir, una poesía que expresase, por ejemplo, el punto de vista de la disastrosa almohade que contaba con muchos poetas en Marraquex<sup>(2)</sup>. Y he aquí al propio Ibn al-Abbár desengañado y arrepentido retractándose de lo que había escrito antes porque no correspondía a la realidad<sup>(3)</sup>:

Servia a los reyes desacertada y neciamente,  
y a que los reyes no son más que esclavos.

Cometí un grave error al implorarles ;  
debi implorar a los que adoro.

Es suficiente esta actitud del poeta para que estemos sobre aviso a fin de no confundir entre la pura verdad y la verdad alterada.

b) **La valeur documentaire de l'œuvre  
d'Ibn al-Abbár.**

Le professeur 'Abdessalâm al Harras entreprit pour la première fois le rétablissement du Diwân d'Ibn al-Abbár en se fondant sur l'unique texte (manuscrit) déposé à la Bibliothèque Royale du Maroc sous le n° 4602. Par cet excellent travail, le professeur vient de combler une lacune non négligeable dans l'histoire de la poésie Andalouse. En effet, l'auteur du Diwân est une personnalité célèbre du 7<sup>e</sup> siècle (de l'hégire)/13<sup>e</sup> siècle (de J.C) sur les deux plans : politique et littéraire, aussi bien en Andalousie, qu'en Ifriqiyya.

D'une façon générale, le texte littéraire, pourrait être consulté sous deux angles :

(2) Cf. otro modelo de esta poesía en el segundo tomo de nuestra tesis (*Disturbios y guerras en la poesía andaluza* p. 204), cuando hacemos una comparación entre la poesía que expresa el punto de vista de Ma'mun el almohade y la opuesta; es decir, la de su adversario y rival para el califato, su sobrino Yahyâ al-M'utâsim.

(3) *Divân Ibn al-Abbár* p. 178.

grammar, eloquence, genealogy, etc... Tunis became then the center of scientists, doctors, engineers, technicians, teachers, men of letters and historians.

## II

### a) El valor documental del diván de Ibn Al-'Abbār

El profesor 'Abdeslám al-Harrás ha sido meritriamente el primero en desempolvar y glosar el diván de Ibn al-'Abbár basándose en la única copia que se conserva en la Biblioteca Real de Marruecos bajo el número 4602. Con ello se ha llenado una laguna no despreciable en la historia de la poesía andalusí ya que Ibn al-'Abbár era en el siglo XIII de la era cristiana una de las personalidades notables en los campos político y literario tanto en al-Andalus como en Ifriqiyya.

De un modo general, se investiga un texto literario desde dos puntos de vista distintos: mientras que los especialistas en crítica literaria o en estilística procuran apreciar su valor artístico y estético, el objetivo de los que se dedican a la historia de la literatura o a estudiar el pensamiento del autor consiste en intentar captar su valor documental.

Después del estudio de varias obras de poesía andalusí<sup>(1)</sup>, hemos terminado, nosotros también, por reconocer este valor documental de los textos literarios y, por lo tanto, hemos procurado deducir el que se desprende del diván de Ibn al-'Abbár. Cuáles son, pues, los acontecimientos históricos que se infieren de esta obra poética del siglo XIII (correspondiente al siglo VII de la era musulmana).

Los poemas de que consta este diván pueden agruparse por temas:

— En el primer grupo el poeta lloraba la pérdida de su patria, al-Andalus, la anoraba, expresaba su tristeza y dolor por esa desgracia e incitaba vehementemente a los hafsiés a que la reconquistasen.

— En el segundo, se interesaba por la política de la dinastía hafsi, alababa a sus príncipes, increpaba a sus enemigos, alentaba y enaltecía a sus aliados.

(1) Cf. entre otros estudios:

- El valor documental del diván de Ibn al-Hatib (in Revista de la Facultad de Letras de Tetuán — Año 2, n.º 22/1987, p. 291).
- El valor documental del diván de Abdelkarim al-Qaysi al-Andalusi (in Anales de la Universidad de Túnez nº 27/1988, p. 119).
- El valor documental del diván de Yusef III (in Anales de la Universidad de Túnez nº 28/1988, p. 185).

The sixth element deals with the attitudes of the Andalusian immigrants in general in Tunisia. They had an attitude of superiority over the local inhabitants. They were also conscious of their scientific and civilisational superiority, which caused them to live in closed small communities.

The seventh element was primarily political, and had the greatest impact on the decision of killing Ibn al-'Abbár. Some historians mention that what happened to Ibn al-'Abbár can be considered one part of the struggle between the Andalusians and Tunisians in high rank administrative positions. Upon that also lay the accusation against him that he expected « mishap and disaster to the Dynasty », and that he used to belittle al-Mustansir... who disfavoured him. Add to that Ibn al-'Abbár's preference for an Andalusian hegemony.

It is our opinion that the ingratitude of Ibn al-'Abbár towards his masters in Tunisia was based on political divergences. The only explanation for Ibn al-'Abbár's attitude is that he was motivated by political reasons. A reasonable explanation, if one considers that he was the only Andalusian on whom such a severe punishment fell. Ibn al-'Abbár was ambitious for power, rank and glory. Moreover, in one of his history books were found harmful remarks concerning the Khalifa al Mustansir and poems satirizing him.

We think that all those elements together caused Ibn al-'Abbár's loss and not just one single element of them. But among them all, the political element was the strongest.

The Andalusian immigration to Tunisia started since the beginning of the 13 cent. A.D. under the reign of Abu Zakariyya al-Hafsi, who encouraged them to live in Tunisia, and who allured them with favors so much the new Dynasty needed their knowledge in the various scientific, literary, administrative and artistic domains. A renaissance had started in Tunisia which distinguished that century from the other eras in that country, so much so that we can call it the Era of Tunisian Renaissance.

The Andalusians kept influencing Tunisia during centuries afterwards. This influence became part of the Tunisian-traditions. Had that influence been limited to the courts of princes and notables, it would have vanished. Their knowledge therefore flourished so much so that Tunis, the capital, became the goal of those who aspired for sciences and arts.

The Andalusians renewed many aspects, and introduced new ways, systems and specialisations which had an immediate and strong impact over the cultural life and modernisation in Tunisia. Especially in educational subject matters, in building modern and great schools, libraries, book shops. They were the most important professors and authors in Tunisia during that period. They were famous for their distinguished scientific experiments and discoveries, in medicine, education, architecture, history,

of January 6, 1260 in Tunis, upon the order of al-Khalifa al-Mustansir bi Allah al-Hafsi (d. 1277).

The second aspect upon which I will concentrate is to bring to light the importance of the presence of Andalusian scholars in Tunisia, and their impact on the various sciences and specialisations there.

Concerning the first element of our study, I should notice that Ibn al-'Abbâr reached Tunis in 1238. His misfortune was that his stay in Tunis coincided with the rule of its greatest Hafsi rulers, even of the founders of the dynasty itself. This fact makes the rulers very merciless towards any incident which may sap their rule.

I should notice first, in the tragedy of Ibn al-'Abbâr, that the norms of racial strengths in the Islamic society had started to change after the superiority of the Arab race, the situation became different and the strong ruling families changed especially in the countries of North Africa.

The Hafsid princes were Berbers originating from the High Atlas mountains of Morocco. They had their own Berber ways which showed clearly in their strict rule in the interior or in their fierce confrontation with the outside powers endangering their interests and peace.

We can therefore easily imagine the fire of fury with which the Khalifa burned those un loyal to the ruler. Absolute fidelity to the Dynasty and personal self denial in order to secure its internal and external integrity were conditions not entirely part of Ibn al-'Abbar's character.

The second element was racial. Ibn al-'Abbâr originated from an old Arab family deep rooted in its Kudhâ'i ancestry. He was very proud of his noble Arab origins and felt superior over those who were not Arabs, no matter what their positions were. So it was most probable that the relation of Ibn Al-'Abbâr, the distinguished Arab, with his masters, the Berber Bani Hafṣ, was a relation of ethnic competition in which the examination of intentions and of ethnic belongings was included.

The third element concerns the excellent training of Ibn al-'Abbâr in administrative affairs, a struggle for high posts in Tunis started. As a result, the Khalifa feared Ibn al-'Abbâr's betrayal and treachery.

The fourth element has to do with his feeling of superiority and with his stubborn positions and his pride in them. This made him an easy target for criticism and finally annihilation. He was finally accused of having expected « mishap and disaster to the Dynasty ».

The fifth element is that Ibn al-'Abbâr was accused of tashayyu, or having Shiite leanings towards Ali Ibn Abi Talib and his family. Although it is quite difficult to believe such an accusation for several reasons, the context it was put in was one causing a death sentence. It is worthwhile mentioning, that the Tunisian Dynasty is considered among the strongest opponents of Shiism, especially at that time in Tunisia, after the complete extermination of the Fatimids in Tunis at the hands of the Maliki Sunnis.

Sixième point compromettant : Ibn al-Abbar faisait partie de ces immigrants andalous qui, conscients de la supériorité de leur culture sur celle de la population d'origine locale, finissaient par se constituer en société à part et à vivre en petites communautés closes sur elles-mêmes.

Cette dernière constatation nous amène à une septième cause de la condamnation d'Ibn al-Abbar. Ainsi que le pensent quelques historiens, l'aventure d'Ibn al-Abbar n'est qu'un épisode de la lutte entre Andalous et Tunisiens dans les hautes sphères de l'administration. D'autant plus qu'Ibn al-Abbar ne se privait pas de critiquer al-Mustansir lorsque ce dernier manifestait à son égard quelque défaveur.

A notre avis, la prise de distance d'Ibn al-Abbar envers les maîtres de la Tunisie était surtout basée sur des divergences de vues politiques, et c'est là que gît l'explication ultime du sort qui, seul parmi les Andalous, le frappa finalement. Ibn al-Abbar était ambitieux ; il aspirait au pouvoir, aux hautes dignités, à la gloire. Ne découvrit-on pas dans un de ses livres d'histoire des réflexions — et jusqu'à des poèmes satiriques — qui ne pouvaient qu'offenser le Khalifa al-Mustansir ?

C'est l'ensemble de ces données qui, nous le pensons, expliquent la perte d'Ibn al-Abbar, mais un ensemble de données où domine tout de même, on le voit, la réalité politique.

L'immigration en Tunisie des Andalous commença au début du XIII<sup>e</sup> siècle sous le règne de Abou Zakariyya al-Hafsi qui les attira par la promesse d'avantages particuliers. Le nouvel Etat avait besoin de leurs services dans les domaines scientifique, littéraire, administratif et artistique. Ce fut le point de départ d'une renaissance qui valut à la Tunisie une de ses plus belles époques. Tunis, la capitale, devint un centre d'attraction pour quiconque aspirait à la science et aux arts.

Les Andalous furent les précieux agents d'un considérable renouveau civilisationnel et technique en Tunisie : rénovation des études, construction d'écoles, de bibliothèques, installation de librairies. C'était l'époque où professeurs et écrivains célèbres vivaient et produisaient en Tunisie, ainsi devenue centre de rayonnement culturel où se multipliaient expériences scientifiques, découvertes en médecine, où se fondaient les institutions les plus variés d'enseignement : architecture, histoire, grammaire, éloquence, science heraldique, etc. Tunis était à cette époque la *kāba*, le foyer d'un véritable univers culturel arabo-musulman.

### c) Ibn al-'Abbâr and his epoch in Tunisia

I have tried in this study to concentrate upon two aspects that have been on my mind for a long time. The first is the elements behind the death sentence and the killing of the scholar Ibn al-'Abbâr (killed in the morning

dynastie. Les dirigeants politiques en Tunisie ne s'en montraient que plus intransigeants en face de tout ce qui était susceptible de porter atteinte à leur pouvoir.

Il convient de noter ensuite — et ceci n'est pas sans rapport avec la tragédie d'Ibn al-Abbar — qu'à cette époque l'équilibre ancien des forces raciales dans la société islamique avait commencé à se modifier. La race arabe avait désormais à compter avec de puissantes familles régnantes sur les pays d'Afrique du Nord et qui n'étaient point arabes.

Les princes hafsidés étaient des berbères originaires du Haut-Atlas marocain. Ils avaient leurs propres coutumes qui se reflétaient dans les rigueurs de leur politique intérieure et dans la dureté de leur confrontation avec les forces étrangères qui pouvaient mettre en danger leurs intérêts et la paix intérieure de leurs Etats. Le khalifa réagissait violemment à toute tentative de résistance et n'hésitait pas à livrer au feu leurs auteurs. L'intégrité interne et externe de l'Etat exigeait, aux yeux des souverains, une fidélité absolue et une totale abnégation personnelle, toutes dispositions qui n'étaient pas spécialement inscrites au tempérament d'Ibn al-Abbar.

Rappelons, en second lieu, qu'Ibn al-Abbar était originaire d'une vieille famille arabe bien enracinée dans sa souche ancestrale. Il était très fier de ses nobles origines arabes et éprouvait à l'égard des non arabes, quelle que fût l'échelle de leur position sociale, un véritable sentiment de supériorité. Il est fort probable que son comportement d'arabe distingué envers ses maîtres Banū Hafs berbères n'ait pas été exempt de toute prétention ethnique pour laquelle il importait de faire valoir ses titres de noblesse.

Ibn al-Abbar — et nous touchons ici une troisième cause — avait de remarquables talents d'administrateur et manifesta la prétention d'accéder, coûte que coûte, aux plus hauts postes du pays. Le khalifa ne pouvait, bien sûr, qu'en prendre ombrage et même se méfier des fins, à ses yeux sans doute perfides, poursuivies par Ibn al-Abbar.

En quatrième lieu, au sentiment de supériorité dont était animé Ibn al-Abbar s'ajoutait la fière obstination avec laquelle il défendait ses propres vues, ce qui faisait de son personnage une cible exposée à la critique et à la vengeance qui tue. Ne l'a-t-on pas finalement accusé d'avoir prédit les malheurs et finalement la chute de l'Etat ?

Un cinquième motif de la condamnation d'Ibn al-Abbar fut l'accusation de « *taṣhayyu'* », c'est-à-dire de préférence pour « Ali et sa famille. Il y a, certes, plusieurs raisons de mettre en doute le bien fondé d'une telle accusation. Il reste qu'elle fut formulée de telle façon qu'elle ne pouvait qu'aboutir à une sentence de mort. Il ne faut pas oublier, en effet, qu'à cette époque, après l'extermination complète en Tunisie des Fatimides, les sunnites malékites, nouveaux maîtres du pays, étaient de farouches adversaires du shiïisme.

En efecto, Ibn al-Abbár se aferraba orgullosamente a sus ideas y opiniones y se exponía, por consiguiente, a las críticas y a la venganza y represalia. Además, se le acusaba de «*tashyyu'*»; es decir, de ser partidario de Ali y sus descendientes. No olvidemos que después del total exterminio de los *fatimíes* en Túnez, los nuevos jefes del país, sunnitas malikitas, eran enemigos mortales del chiísmo.

Por otra parte, Ibn al-Abbár, administrador de talento, tenía empeño en desempeñar uno de los altos cargos políticos del país. Estaba dominado por la ambición de poder y gloria y era natural que el califa se sintiera celoso y ofendido y desconfiara de sus pretensiones «périfidas».

Estos eran, creo, los motivos más importantes que contribuyeron a la desgracia y final trágico de Ibn al-Abbár.

La inmigración de los andalusíes en Túnez empezó a principios del siglo XIII bajo el reinado de Abú Zakariyya al-Hafṣí quien los atrajo prometiéndoles ciertas ventajas particulares. El nuevo Estado necesitaba de sus servicios en los campos científico, literario, administrativo y artístico. Fue el arranque de un renacimiento que proporcionó a Túnez una de sus épocas más resplandecientes y la capital se convirtió en un punto de atracción tanto para científicos como para artistas.

Los andalusíes emprendieron considerables renovaciones culturales y técnicas en Túnez: renovaron la enseñanza, construyeron escuelas y bibliotecas, instalaron librerías etc... El país se convirtió en un centro de esplendor cultural en el que se multiplicaban las experiencias científicas, se realizaban notables hallazgos médicos y en el que se dio un fuerte impulso a los estudios sobre todas las ramas del saber: arquitectura, historia, gramática, oratoria, ciencia heráldica etc... La capital era, en aquel entonces, un foco de un verdadero universo cultural arabo-musulmán.

## b) **Ibn Al-Abbar et son époque en Tunisie**

J'ai essayé dans cette étude de synthétiser mes recherches autour de deux axes majeurs : les motifs de la condamnation à mort de Ibn al-Abbar, et l'impact de la présence andalouse en Tunisie.

Comment en est-on arrivé à la sentence de mort portée contre l'érudit Ibn al-Abbar et à son exécution au matin du 6 janvier 1260, à Tunis, sur les ordres de al-Khalifa al-Mustansir bi-Allah al-Hafsi (m. 1277) ?

Rappelons d'abord qu'Ibn al-Abbar arriva en Tunisie en 1238. La malchance voulut que son séjour y ait coïncidé avec le règne du plus puissant des Hafsidés, plus puissant même que ne le furent les fondateurs de la

# **Les Résumés**

## I

### a) **Ibn al-Abbár y su época en Túnez**

En el presente estudio he procurado sintetizar mis investigaciones y centrarlas en dos puntos principales: los motivos de la condena a muerte de Ibn al-Abbár y los efectos de la presencia andalusí en Túnez.

El califa al-Mustansir bi Alá al-Hafṣí (muerto en 1277) sentenció a muerte al erudito Ibn al-Abbár y lo ejecutó en la mañana del 6 de enero de 1260 en Túnez. Influieron en esta decisión, entre otros, los siguientes motivos:

Recordemos, primero, que la llegada de Ibn al-Abbár à Túnez en el año 1238 coincidió desafortunadamente con el reino más poderoso y rigoroso de la dinastía hafṣí y que el antiguo equilibrio de las fuerzas raciales en la sociedad islámica empezó, por aquel entonces, a modificarse:

En efecto, los intransigentes dirigentes hafṣíes se distinguían en aquella época por el rigor de su política interna y por la dureza de su lucha contra las fuerzas extranjeras que intentaran poner en peligro sus intereses. Para preservar la paz y la integridad del Estado, el califa no vacilaba en eliminar y ejecutar a todos los rebeldes y disidentes y exigía de los ciudadanos una fidelidad y una abnegación absolutas, y ello era inconciliable con el carácter de Ibn al-Abbár.

Por otra parte, los emires hafṣíes y las poderosas familias que reinaban en el norte de África no eran árabes sino bereberes originarios de Alto Atlas marroquí. Ibn al-Abbár, en cambio, descendía de una vieja familia castizamente árabe y, por tanto, se vanagloriaba siempre de su noble origen profesando un verdadero sentimiento de superioridad con relación à los no árabes cualquiera que fuese su posición social.

Era asimismo uno de aquellos inmigrantes andalusíes que, concientes de la superioridad de su cultura respecto a la de los nativos, se recluían en comunidades aisladas constituyendo una sociedad aparte.

Además del rigor de los dirigentes hafṣíes y del sentimiento de superioridad que Ibn al-Abbár profesaba hacia ellos, la divergencia de tendencias y opiniones entre éste y aquéllos y, sobre todo, las pretensiones políticas de éste eran otros motivos importantes que influyeron en esta decisión:

**moriscos » y « La problemática morisca a través de los escritos occidentales y árabo-musulmanes. »**

Vemos un gran parecido entre estos encuentros modernos y aquellos que, entanto, ocurrían entre los hombres más versados en las distintas ramas del saber. En efecto, estos hombres de sapiencia se avianban de lo necesario y emprendían largos y penosos viajes, yendo en ciudad y de país en país, en busca de otros ilustres sabios, maestros o alfaquies para recibir nuevos conocimientos, intercambiar luminosas enseñanzas y ampliar horizontes. Así, el mismo sabio que en su tierra veíamos rodeado de discípulos, contestando a sus preguntas y dudas y juzgando sus aptitudes, lo veíamos en otros lugares convertido en un alumno que intentaba, a su vez, satisfacer su sed y anhelo de saber recibiendo enseñanzas sobre materias y cuestiones determinadas y, al final del cursillo, procurando demostrar su suficiencia ante sus nuevos maestros. Estos modestos sabios de antano, con sus alumnos eran tan generosos cual una fuente inagotable y, con sus maestros, tan ávidos de saber cual una sed inextinguible.

Algo semejante ocurre con los distinguidos talentos contemporáneos. El investigador moderno que sube al estrado y diserta sobre cierta materia embargando la atención de los presentes y demás participantes en el encuentro, cual un alumno, vuelve a su asiento a prestar oídos y enriquecer sus conocimientos con la disertación investigativa de otro maestro que hace un momento aprendió de él.

Como acabamos de ver, estos encuentros modernos tienen raíces muy antiguas y no creemos, por tanto, que los medios de comunicación actuales, tan desarrollados y tan rápidos, que van acostumbrando a la gente a desarrollar una actividad pasiva de exclusiva recepción matando así sus facultades intelectuales, puedan desbancar a esta lucrativa y secular tradición que tiene un encanto especial y cuyo fruto es, ante todo, el progreso de la investigación científica.

**El Director de la revista  
CHEIKHA Djomaâ**

## Presentación

Pese al difícil mercado de la prensa especializada y a los obstáculos, previstos e imprevistos, que hemos encontrado, he aquí la revista DIRĀSAT ANDALUSIYYA que cumple su promesa y reaparece sin ningún retraso. En efecto, nos mantendremos siempre fieles a nuestro propósito y dichos obstáculos, lejos de frenarnos, nos alientan a proseguir nuestra tarea que consiste en velar por un inmarcesible patrimonio humano cuyo néctar seguimos libando.

Entre diciembre de 1988 y junio de 1989, fechas de la aparición del primer y segundo número de nuestra revista, se han celebrado tres encuentros que dejan sobrada constancia del interés y la atención creciente que se está prestando a los estudios andalusíes :

— En Túnez y a lo largo de una semana (del 3 al 10 de febrero de 1989), universitarios españoles y tunecinos participaron en un segundo encuentro, organizado por el Centro de Estudios y de Investigaciones Económicas y Sociales de Túnez, sobre « El patrimonio andalusi y su influencia, tanto en el pasado como en la actualidad, en la cultura árabe y española. »

— Por otro lado, la Universidad de Alicante, con el patrocinio de la Consejería de Cultura, Educación y Ciencia de Valencia y la colaboración del Ayuntamiento de Onda, organizó en esta maravillosa ciudad andaluza, del 20 al 22 de febrero de 1989, un encuentro sobre la figura del gran poeta e historiador valenciano Ibn al-Abbār<sup>(1)</sup>.

— Por último, el Centro de Estudios y de Investigaciones otomanas, moriscas, de documentación y de información (CEROMDI) celebró en Túnez, del 15 al 19 de marzo de 1989, el IV Simposium Internacional de Estudios Moriscos que versó sobre « El Pensamiento religioso de los

---

(1) La revista «SARQ AL-ANDALUS» se comprometió a publicar las ponencias pronunciadas en español o francés mientras que «DIRĀSAT ANDALUSIYYA» prometió dedicar un número especial a Ibn al-Abbār e incluir en él las ponencias pronunciadas en árabe.